

الفدية

في

شرح الأربعين النووية

تأليف

أبي عبد الرحمن

خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فإن من الأمور المهمة لطالب العلم أن يكون له عناية بمتون الحديث، فإن حفظ الأحاديث النبوية الصحيحة، والعناية بها، من فضائل الأعمال ومحاسنها، وأجل العبادات، ويكفي في معرفة فضل ذلك ما رواه الترمذي عن عبد الله بن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ

حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ». صححه الألباني في صحيح الجامع.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: دَعَا لَهُ بِالنَّصَارَةِ وَهِيَ النُّعْمَةُ، وَالْمُرَادُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ النَّصْرَةَ وَهِيَ الْحُسْنُ وَخُلُوصَ اللَّوْنِ أَيْ جَمَلَهُ وَزَيَّنَهُ وَأَوْصَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَصْرَةِ الْجَنَّةِ أَيْ نَعِيمِهَا وَنَصَارَتَهَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ إِلَّا وَفِي وَجْهِهِ نَصْرَةٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

فالعناية بأحاديث النبي ﷺ شأن طالب العلم المجتهد، فَإِنَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ داخل في الوحي الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ بعد القرآن، ولهذا قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». رواه أحمد عن المقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٦٤): يَعْنِي -المقصود بالحديث- السُّنَّةُ. وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ لَا أَنَّهَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ. وَالْغَرَضُ أَنَّكَ تَطْلُبُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مِنْهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَمِنْ السُّنَّةِ. اهـ

فإذا كانت هذه منزلة أحاديث النبي ﷺ؛ كان مما ينبغي على طالب العلم أن تكون له عناية بحفظ حديث رسول الله ﷺ، وقد قال الشافعي رحمه الله: من عرف الحديث قويت حجته. (١)

وإنَّ من أنفع متون الحديث وأسهلها لطالب العلم المبتدئ؛ هو متن الأربعين التي انتقاها الإمام النووي رحمه الله، فهي مع سهولتها وقلة عددها فقد حوت علماً غزيراً، واشتملت على قواعد عامة من قواعد الإسلام، مع ما فيها الفوائد التي يحتاجها طالب العلم، وقد قال عنها النووي رحمه الله: ومن العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين وبعضهم في الفروع وبعضهم في الجهاد وبعضهم في الزهد وبعضهم في الآداب وبعضهم في الخطب وكلها مقاصد صالحة رضي الله تعالى عن قاصديها، وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين، قد وصفه العلماء بأنَّ مدار الإسلام عليه أو هو نصف الإسلام أو ثلثه، وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف في هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن تدبره. اهـ

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣ / ١٥١)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذه الأربعين التي جمعها النووي القبول، فاشتهرت، وكثر حفظها، ونفع الله بها مما يدل على إخلاص جامعها، وحسن قصده رحمه الله.

ومع اشتهاار هذه الأربعين فقد كُثرت شروحها ما بين شرح متوسّع ومتوسط ومختصر، وما بين متقدم ومتأخّر.

وقد رأيت أن أدلو بدلوي في شرح هذه الأربعين لعل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به كما نفع بأصله، فذكرت أولاً أهمية الحديث، ثم ترجمة مختصرة لراوي الحديث، وإن كان الحديث في إسناده كلام بينت ذلك، ثم شرحت ألفاظ الحديث دون توسع في شرحها، فالقصد تعريف القارئ بالمقصود من الحديث، ثم عرّجت على استخلاص بعض فوائد الحديث سواء من شروح السابقين أو اللاحقين، أو مما فتحه الله سبحانه وتعالى على عبده، ثم ختمت ذلك بذكر بعض الأمور التي ينبغي لطالب العلم معرفتها عند الوقوف على الحديث، وهي أمور تتمم الفائدة على الحديث، وتكسب طالب العلم مزيد خير وعلم، ولما كان كذلك أسميته **"الهدية"**

في شرح الأربعين النووية فهو هديتي لإخواني ممن أرجو أن ينفعني الله وإياهم بهذا الشرح المختصر.

فالحمد لله الذي يَسِّرُ وأعان ووفق، وحتى إن لم يكن لهذا الشرح بين المؤمنين رواجٌ؛ فإني لأرجو أن يكتب الله سبحانه وتعالى الأجر في كل وقتٍ صرفته في كتابته، وفي كل تعبٍ وسهرٍ وتفكيرٍ، وفي كل ما نشرته لأجله، فهو خير من سُئِلَ، وخير من رُجِيَ سبحانه، وعنده جَلٌّ جلاله لا يضيع مثاقيل الذر، وإنما الخوف أن يكون العمل لغير وجهه الكريم، وأعوذ بالله من ذلك، فأسأل الله التوفيق لصلاح النية والقصد فيما أردت، وأعول في أمري كله عليه، وأبرأ من الحول والقوة إلا إليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ترجمة مختصرة للنووي

اسمه ولقبه وكنيته:

هو أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بن شرف بن مري الحَزَامِي الحُورَانِي الشَّافِعِي.

لقب بمحيي الدين إلا أنه روي عنه أنه قال: "لا أجعل في حلٍّ مَنْ لَقَبَنِي (مُحْيِي

الدين)".

وكنيته: أبو زكريا، ولم يتزوج ولم يكن له ولد، وما ذاك إلا لانشغاله بالعلم

وانهماكه الشديد فيه، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْهُوْمَانِ لَا يَشْبَعَانِ، مَنْهُوْمٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ

مِنْهُ، وَمَنْهُوْمٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا". رواه البيهقي في الشعب عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و (النووي) نسبة إلى (نوى) وهي قاعدة الجولان الآن، من أرض حوران من

ضواحي دمشق، فهي منطقة معروفة تقع جنوب أرض سورية.

مولده:

كان مولده في شهر المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة من الهجرة، بنوى، وهي

من ضواحي دمشق.

نشأته:

"عاش النووي في كنف أبيه ورعايته، وكان أبوه في دينه مستور الحال مباركاً له

في رزقه، فنشأ النووي في ستر وخير"

قَالَ الشَّيْخُ يَاسِينَ بنُ يُوْسُفَ الزَّرْكَشِيِّ: رَأَيْتُ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ

سِنِينَ بنوى وَالصَّبِيَّانَ يَكْرَهُونَهُ عَلَى اللَّعْبِ مَعَهُمْ وَهُوَ يَهْرَبُ مِنْهُمْ وَيَبْكِي لِأَكْرَاهِهِمْ

وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي تِلْكَ الْحَالِ فَوْقَ فِي قَلْبِي حَبَهُ وَجَعَلَهُ أَبُوهُ فِي دَكَانٍ فَجَعَلَ لَا يَشْتَغَلُ
بِالْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ عَنِ الْقُرْآنِ قَالَ فَأَتَيْتُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَوَصِيَّتُهُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ هَذَا
الصَّبِيِّ يُرْجَى أَنْ يَكُونَ أَعْلَمُ أَهْلَ زَمَانِهِ وَأَزْهَدَهُمْ وَيَنْتَفِعَ النَّاسُ بِهِ فَقَالَ لِي مِنْجُمُ
أَنْتَ فَقُلْتُ لَا وَإِنَّمَا أَنْطَقْنِي اللَّهُ بِذَلِكَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَوَالِدِهِ فَحَرَصَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ خَتَمَ
الْقُرْآنَ وَقَدْ نَاهَزَ الْإِحْتِلَامَ.

قَدِمَ بِهِ وَالِدُهُ إِلَى دِمَشْقَ وَعَمَرَهُ تِسْعَةُ عَشْرَةَ سَنَةً، حَيْثُ بَدَأَ رَحِلَتَهُ فِي طَلَبِ
الْعِلْمِ.

مناقبه ومكانته العلمية:

برع رحمه الله في شتى صنوف العلم، من فقه وحديث ولغة. واشتهر بالزهد
والتقوى والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للأئمة.
وهو من كبار محققي المذهب الشافعي، قال عنه السيوطي: "محرر المذهب
ومهذه، ومحققه ومُرتبه. إمام أهل العصر علماً وعبادة، وسيد أوانه ورعاً وسيادة"،
وقال: "فيه ثبَّتَ الله أركان المذهب والقواعد، وبَيَّنَّ مهمَّات الشرع والمقاصد"،
وقال: "أثنى عليه الموافق والمخالف، وقَبِلَ كلامه النَّائِي والآلِف، وشاع ثناؤه
الحَسَنَ بين المذاهب"

وقال عن نفسه: "حفظت كتاب "التنبيه" في نحو أربعة أشهر ونصف، وحفظت رُبْع العبادات من "المهذب" في باقي السنة" و"التنبيه" و"المهذب" من أشهر كتب الشافعية.

قال العطار: ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، أُوحد دهره، وفريد عصره، الصَّوَّام، القوام، الرَّاهِد في الدنيا، الرَّاغِب في الآخرة، صاحب الأخلاق الرضيَّة، والمحاسن السنيَّة، العالم الرَّبَّاني المتَّفَق على علمه وإمامته وجلالته وزهده وورعه وعبادته وصيَّانته في أقواله وأفعاله وحالاته، له الكرامات الطافحة، والمكرمات الواضحة، والمؤثرُ بنفسه وماله للمسلمين، والقائم بحقوقهم وحقوق ولاية أمورهم بالنُّصح والدُّعاء في العالمين، وكان كثيرَ التلاوة والذكر لله تعالى. اهـ

محبته للدرس:

قال النووي: "كنتُ أقرأ كلَّ يومٍ اثنتي عشر درساً على المشايخ؛ شرحاً وتصحيحاً: درسين في "الوسيط"، ودرساً في "المهذب"، ودرساً في "الجمع بين الصحيحين"، ودرساً في "صحيح مسلم"، ودرساً في "اللمع" لابن جُنِّي في النحو، ودرساً في "إصلاح المنطق" لابن السَّكَّيت في اللغة، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه؛ تارة في "اللمع" لأبي إسحاق، وتارة في "المنتخب" لفخر الدين الرازي، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين".

قال: "وكنْتُ أعلِّقُ جميعَ ما يتعلّقُ بها؛ من شرح مُشكِـلٍ، ووضوح عبارة، وضبط لغة".

قال: "وبارك اللهُ لي في وقتي، واشتغالي، وأعانني عليه".

قال: "وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشتريتُ كتاب "القانون"، وعزمتُ على الاشتغال فيه، فأظلم عليَّ قلبي، وبقيتُ أياماً لا أقدر على الاشتغال بشيءٍ، ففكرتُ في أمري، ومن أين دخل عليَّ الداخل، فألهمني اللهُ تعالى أن سببه اشتغالي بالطبِّ، فبِعتُ في الحال الكتاب المذكور، وأخرجتُ من بيتي كلَّ ما يتعلّق بعلم الطب، فاستنار قلبي، ورجع إليَّ حالي، وعدتُ إلى ما كنتُ عليه أولاً".

قال: "كنت مريضاً بالمدرسة الرواحية، فبينما أنا في بعض الليالي في الصُفَّة الشرقية منها، ووالدي وإخوتي وجماعة من أقاربي نائمون إلى جانبي؛ إذ نشَّطني اللهُ، وعافاني من ألمي، فاشتاقْتُ نفسي إلى الذكر، فجعلتُ أسبِّح، فبينما أنا كذلك بين الجهر والإسرار؛ إذا شيخٌ حسنُ الصورة، جميلُ المنظر، يتوضَّأ على حافَّةِ البركة وقتَ نصفِ الليل، أو قريب منه، فلما فرغ من وضوئه؛ أتاني، وقال لي: يا ولدي! لا تذكر اللهُ تعالى وتهوَّش على والدك وإخوتك وأهلك ومن في هذه المدرسة. فقلتُ: يا شيخ! مَنْ أنت؟ قال: أنا ناصحٌ لك، ودَعْنِي أكونُ مَنْ كنتُ. فوقع في نفسي أنه إبليس، فقلتُ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، ورفعتُ صَوْتِي بالتسبيح، فأعرَضَ، ومشى إلى ناحية باب المدرسة، فانتبه والدي والجماعة على صوتي، فقمْتُ إلى باب

المدرسة، فوجدته، مقفلاً، وفشتتها، فلم أجد فيها أحداً غير مَنْ كان فيها فقال لي والدي: يا يحيى! ما خبرك؟ فأخبرته الخبر، فجعلوا يتعجبون، وقعدنا كُلُّنا نسبح ونذكر.

عنايته بوقته:

كان لا يضيع له وقتاً في ليل ولا نهار؛ إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطُّرق ومجيئه يشتغل في تكرار محفوظه، أو مطالعة، وأنه بقي على التحصيل على هذا الوجه نحو ستِّ سنين.

ثم إنَّه اشتغل بالتصنيف، والإشغال، والإفادة، والمناصحة للمسلمين وولاتهم، مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الفقه، والاجتهاد على الخروج من خلاف العلماء وإن كان بعيداً، والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب؛ يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة.

وكان محققاً في علمه وفنونه، مُدقّقاً في علمه وكلِّ شؤونه، حافظاً لحديث رسول الله ﷺ، عارفاً بأنواعه كلها؛ من صحيحه وسقيمه، وغريب ألفاظه وصحيح معانيه، واستنباط فقهه، حافظاً لمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين، واختلاف العلماء، ووافقهم، وإجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه، وما هُجر، سالكاً في كلّها ذكر طريقة السلف، قد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل، فبعضها للتصنيف، وبعضها للتعليم، وبعضها للصلاة، وبعضها للتلاوة، وبعضها للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قَالَ ابْنُ الْعَطَّار: قَالَ لِي الشَّيْخُ فَلَمَّا كَانَ لِي تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً قَدِمَ بِي وَالِدِي إِلَى دِمَشْقَ سَنَةً تِسْعَ وَأَرْبَعِينَ فَسَكَنْتُ الْمَدْرَسَةَ الرَّوَاحِيَّةَ وَبَقِيتُ نَحْوَ سِتِّينَ لَمْ أَضَعْ جَنْبِي إِلَى الْأَرْضِ وَكَانَ قُوَّتِي بِهَا جَرَايَةَ الْمَدْرَسَةِ لَا غَيْرَ وَحَفِظْتُ التَّنْبِيْهَ فِي نَحْوِ أَرْبَعَةِ ثَمَّ إِنَّهُ اشْتَغَلَ بِالتَّصْنِيفِ، وَالْإِشْغَالِ، وَالْإِفَادَةِ، وَالْمُنَاصَحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَوُلَاتِهِمْ، مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَجَاهِدَةِ لِنَفْسِهِ، وَالْعَمَلِ بِدَقَائِقِ الْفَقْهِ، وَالْاجْتِهَادِ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ خِلَافِ الْعُلَمَاءِ وَإِنْ كَانَ بَعِيداً، وَالْمُرَاقَبَةِ لِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَتَصَفِيَّتِهَا مِنَ الشَّوَابِّ؛ يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى الْخَطَرَةِ بَعْدَ الْخَطَرَةِ.

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ إِلَّا أَكْلَةً وَاحِدَةً بَعْدَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا شُرْبَةً وَاحِدَةً عِنْدَ السَّحْرِ، وَكَانَ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ الْمُبْرَدَ.

شيوخه:

لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ شَيْوُخٌ كَثِيرُونَ فِي كُلِّ عِلْمٍ اشْتَغَلَ بِهِ، مِنَ الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَصُولِ وَفِي النُّحُوِّ وَاللُّغَةِ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَأَمَّا أَنَا فَأَخَذْتُ الْفَقْهَ قِرَاءَةً وَتَصْحِيحاً وَسَمَاعاً وَشَرْحاً وَتَعْلِيْقاً عَنْ جَمَاعَاتٍ، أَوَّلَهُمْ شَيْخِي الْإِمَامُ الْمُتَّفَقُ عَلَى عِلْمِهِ وَزَهْدِهِ، وَوَرَعِهِ وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهِ، وَعَظَمِ فَضْلِهِ وَتَمَيِّزِهِ فِي ذَلِكَ عَلَى أَشْكَالِهِ، أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ الْمَغْرِبِيِّ ثُمَّ الْمَقْدِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ أَحِبَابِنَا فِي دَارِ كِرَامَتِهِ مَعَ مَنْ اصْطَفَاهُ. ثُمَّ شَيْخُنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نُوحٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى الْمَقْدِسِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ، الْإِمَامُ الْعَارِفُ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ الْوَرَعَ الْمُتَّقِنُ، مَفْتِي

دمشق في وقته رحمه الله. ثم شيخنا أبو حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الربيعي الإربلي الإمام المتقن رضي الله عنه. ثم شيخنا أبو الحسن سلاّر بن الحسن الإربلي ثم الحلبي ثم الدمشقي، المجمع على إمامته وجلالته وتقدمه في علم المذهب على أهل عصره بهذه النواحي رضي الله عنه". اهـ

قال ابن العطار: "قرأ في الأصول على جماعة، أشهرهم وأجلهم العلامة القاضي أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي بن محمد التفليسي الشافعي رحمه الله، قرأ عليه المنتخب للإمام فخر الدين الرازي، وقطعة من كتاب المستصفى للغزالي، وقرأ غيرهما من الكتب على غيره". اهـ

مصنفاته:

ألّف النووي رحمه الله في علوم شتى، وقد حُكي عنه أنه كان يكتب حتى تكل يده فتعجزه.

ومن مصنفاته التي أتمها: شرح صحيح مسلم، المنهاج، رياض الصالحين، روضة الطالبين، التنبيه، الأذكار، التقريب، الأربعين، مناقب الشافعي، مختصر أسد الغابة، التبيان في آداب حملة القرآن، وغيرها.

ومن المصنفات التي مات قبل أن يتمها في حياته: المجموع، تهذيب الأسماء واللغات، الخلاصة في أحاديث الأحكام، وغيرها.

تُوِّفِّي رحمه الله "ليلة الأربعاء، الثالث الأخير من الليل، رابع وعشرين من رجب، سنة ست وسبعين وستمائة، بنوى، ودُفِنَ بها صبيحة الليلة المذكورة ٦٧٦ هـ". (١)
ولما تُوِّفِّي رحمه الله ودُفِنَ؛ أرادَ أهلُه وأقاربه وجيرانُه أن يبنوا على ضريحه قُبَّةً، وأجمعوا على ذلك؛ إذ جاء رحمه الله في النوم إلى أكبر امرأة من قرائبه وقال لها: "قولي لأخي والجماعة لا يفعلوا هذا الذي قد عَزَمُوا عليه من البنيان؛ فإنه كُلُّما بنوا شيئاً؛ يَهْدَمُ عليهم".

فانتبهتُ منزعةً، فقَصَّصْتُ عليهم الرؤيا، فامتنعوا من البنيان، وحوَّطُوا على قبره بحجارةٍ تمنع الدَّوَابَّ وغيرها.

الكلام على عقيدة النووي:

النووي رحمه الله وقع منه تأويلٌ لبعض الصفات في كتبه، وخصوصاً شرح صحيح مسلم.

وهو من أهل السنة وإن كان قد وافق الأشاعرة في بعض اعتقاداتهم.
والسبب في ذلك أنه عاش في بيئةٍ أشعرية فتأثر بها.

سئلت اللجنة الدائمة: "موقفنا من أبي بكر الباقلاني، والبيهقي، وأبي الفرج بن الجوزي، وأبي زكريا النووي، وابن حجر، وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى، أو فَوَّضُوا في أصل معناها: أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع

(١) انظر تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين لابن العطار، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/

الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله، سواء تأولوا الصفات الذاتية، وصفات الأفعال، أم بعض ذلك.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم " انتهى. الشيخ عبد العزيز بن باز. الشيخ عبد الرزاق عفيفي. الشيخ عبد الله بن قعود " فتاوى اللجنة الدائمة " (٣/ ٢٤١).

قال العلامة العثيمين في شرح الأربعين النووية (ص: ١):

" وهو ﷺ مجتهدٌ، والمجتهد يخطئ ويصيب، وقد أخطأ ﷺ في مسائل الأسماء والصفات، فكان يؤول فيها لكنه لا ينكرها، فمثلاً: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ يقول أهل التأويل معناها: استولى على العرش، لكن لا ينكرون: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ﴾، لأنهم لو أنكروا الاستواء تكذيباً لكفروا، أما من ينكر إنكار تأويل وهو لا يجحدها فإن كان لتأويله مساغ في اللغة العربية فإنه لا يكفر، أما إذا لم يكن له مسوغ في اللغة العربية فهذا موجب الكفر. مثل أن يقول: ليس لله يدٌ حقيقة، ولا بمعنى النعمة، أو القوة، فهذا كافر؛ لأنه نفاها نفيّاً مطلقاً. فهم يصدقون به ولكن يحرفونه.

ومثل هذه المسائل التي وقع منه **رحمته الله** خطأ في تأويل بعض نصوص الصفات إنه لمغمور بما له من فضائل ومنافع جمّة، ولا نطن أن ما وقع منه إلا صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ - ولو في رأيه - وأرجو أن يكون من الخطأ المغفور، وأن يكون ما قدّمه من الخير والتّفع من السعي المشكور، وأن يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسَيَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤].

فالنووي نشهد له فيما نعلم من حاله بالصلاح، وأنه مجتهد، وأن كل مجتهد قد يصيب وقد يخطئ، إن أخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران". اهـ

وقال العلامة الفوزان:

من كان عنده أخطاء اجتهادية تأوّل فيها غيره، كابن حجر، والنووي، وما قد يقع منهما من تأويل بعض الصفات: لا يُحكم عليه بأنه مبتدع، ولكن يُقال: هذا الذي حصل منهما خطأ، ويرجى لهما المغفرة بما قدماه من خدمة عظيمة لسنة رسول الله **صلّى الله عليه وسلّم**، فهما إمامان جليلان، موثوقان عند أهل العلم " انتهى. "المنتقى من فتاوى الفوزان" (٢/ ٢١٢).

وقال العلامة الألباني:

مثل النووي، وابن حجر العسقلاني، وأمثالهم، من الظلم أن يقال عنهم: إنهم من أهل البدع، أنا أعرف أنهما من "الأشاعرة"، لكنهما ما قصدوا مخالفة الكتاب والسنة، وإنما وهما، وظنوا أنها ورثوه من العقيدة الأشعرية: ظنوا شيئين اثنين:

أولاً: أن الإمام الأشعري يقول ذلك، وهو لا يقول ذلك إلا قديماً؛ لأنه رجع عنه.

وثانياً: توهموه صواباً، وليس بصواب. اهـ من شريط بعنوان: "من هو الكافر ومن هو المبتدع".

وقد أورد الحافظ ابن حجر في الإصابة هذه القصة:

أن رجلاً قال لعمر بن العاص رضي الله عنه ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك.

قال رضي الله عنه: إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن يوارى حلومهم الجبال فلما بعث النبي ﷺ فأنكروا عليه فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين فوق في قلبي الإسلام.

فائدة:

النووي أدرك المجد ابن تيمية ولم يدرك تقي الدين ابن تيمية.
بينما تلميذه ابن العطار، الذي كان يسمّى (مختصر النووي) هو أخو الإمام
الذهبي من الرضاعة، وقد أدرك شيخ الإسلام.
ولما لقي ابن تيمية رجع عما أخذه عن النووي، وقرر عقيدة السلف في كتابه
(الاعتقاد في نفي الشك والارتباب) ورد فيه عن الأشاعرة.
وله ترجمة مطوّلة للنووي سَمّاها (تحفة الطالبين في ترجمة الشيخ محيي الدين) ذكر
فيها أنّ وفاة النووي كانت في رجب ٦٧٦، فيكون بين وفاة النووي وتأليف هذا
الكتاب قريب من ٧ أشهر.



أصل الأربعين النووية:

أصل الأربعين النووية أَنَّ الإمام أبا عمرو بن الصلاح^(١) أملى بعض الأحاديث التي عليها مدار الإسلام وكانت (٢٦) حديثًا، ثم أكملها الإمام النوويُّ إلى (٤٢) حديثًا، ثم أكملها الإمام ابن رجب الحنبلي إلى (٥٠) حديثًا.

قال الحافظ ابن رجب: وأملى الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح مجلسًا سمَّاه "الأحاديث الكلية"، جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يُقال: إِنَّ مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فاشتمل مجلسه هذا على ستَّة وعشرين حديثًا، ثم إِنَّ الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحيى النوويَّ - رحمه الله عليه - أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثًا وسمَّى كتابه بـ "الأربعين"، واشتهرت هذه الأربعين التي جمعها وكثُر حفظها، ونفع الله بها ببركة نيَّة جامعِها وحسن قصده - رحمه الله تعالى... وأنَّ أضْمَّ إلى ذلك كلُّه أحاديث أُخر من جوامع الكَلِم الجامعة لأنواع العلوم والحِكَم؛ حتى تكتَمِل عدة الأحاديث كلها خمسين حديثًا؛ انتهى.

(١) وهو الإمام الحافظ المحدِّث تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح الدمشقي، كان أستاذًا كبيرًا ورعًا حسن الاعتقاد، صاحب المقِيَّمة المشهورة باسمه في علم الحديث، تُؤفِّي سنة (٦٤٣ هـ) - رحمه الله تعالى.

قلتُ: وُسِّمَتْ بـ"الْحَمْسِينَ الرَّجَبِيَّةَ"؛ نسبةً لمؤلفها الإمام ابن رجب الحنبلي، وأشار مؤلفها إلى ذلك في المقدمة قائلاً: "وسميته: "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"؛ انتهى.

عدد الأحاديث:

"هي ليست أربعين، بل هي اثنان وأربعون، لكن العرب يحذفون الكسر في الأعداد فيقولون: أربعون. وإن زاد واحداً أو اثنين، أو نقص واحداً أو اثنين. اهـ^(١)

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٢)

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " رواه إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة.

التعريف بالراوي:

هو أمير المؤمنين أبو حفص، والحفص في اللغة: الأسد، وقيل إن أول من كناه بذلك رسول الله ﷺ. واتفقوا على تسميته بالفاروق؛ لفرقانه بين الحق والباطل بإسلامه وظهور ذلك؛ ولأن الشيطان يفر منه. وهو أول من سُمِّي أمير المؤمنين عمومًا، أسلم سنة ست من النبوة بعد أربعين بلا خلاف. (١).

كان إسلامه عزًا، وهجرته نصرًا، وإمامته رحمة، وشهد بدرًا والمشاهد كلها.

(١) قاله ابن الجوزي

ببيع له بالخلافة يوم موت الصديق، وهو يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بوصاية الصديق إليه، فسار بأحسن سيرة، وزين الإسلام بعدله، وفتح الله به الفتوح الكبيرة كبيت المقدس وجميع الشام، ودوّن الدواوين في العطاء ورتّب الناس فيه، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وهو أول من ضرب بالدرّة وحملها، ومصرّ الأمصار، وكسر الأكاسرة، وقصر القياصرة، وأخّر المقام إلى موضعه الآن، وكان ملصقًا بالبيت، ونور المساجد لصلاة التراويح، وأول من أرخ التاريخ من الهجرة، وأول قاضٍ في الإسلام، ولّاه الصديق القضاء، وأول من جمع القرآن في المصحف.

روي له عن النبي ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على ستة وعشرين منها، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة وغيرهم.

ولي الخلافة عشر سنين وخمسة أشهر أو ستة أشهر قولان، واستشهد يوم الأربعاء لأربع أو ثلاث أو لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين على الصحيح.

قتله أبو لؤلؤة غلام مجوسي للمغيرة بن شعبة، وهو في صلاة الصبح، طعنه ثلاث طعنات بسكين مسموم ذات طرفين فقال: قتلني الكلب وطعن معه ثلاثة عشر

رجلاً، فمات منهم تسعة، وفي رواية سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً^(١)، فلما ظن أنه مأخوذ نحر نفسه، فصار إلى لعنة الله وغضبه.

ثم حُمل عمر إلى منزله، وبقي ثلاثة أيام وقيل: سبعة، ومات - رضي الله عنه - وعناً - به وكان وافر العلم.

قال ابن مسعود حين توفي عمر: ذهب تسعة أعشار العلم. ومن زهده وتواضعه أنه كان في قميصه أربع عشرة رقعة إحداها من آدم.

من أخرج الحديث:

رواه إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، ونسبته إلى الجعفي نسبة ولاء، ونسبة الولاء تكون أحياناً بالعتق، وتكون - أيضاً - بسبب الإسلام، ونسبة البخاري إلى الجعفيين نسبة ولاء بسبب الإسلام؛ لأن أحد أجداده دخل في الإسلام على يد رجل من الجعفيين، ولهذا يقولون في ترجمته: الجعفي مولا هم.

وأما مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري فهو قشيري، وهو منهم نسبة أصل وليست نسبة ولاء، ولهذا يقولون عنه: القشيري من أنفسهم، فإذا كان الشخص ينسب نسبة ولاء قالوا: مولا هم.

^(١) ((البرنس)): هو كل ثوب رأسه منه ملتصق به.

وإذا كان فيهم أصلاً أتوا بكلمة (من أنفسهم) أي أنه ينتسب إليهم نسبة أصل،
ولست نسبة ولاء، فمسلم بن الحجاج من بني قشير، وأما البخاري فنسبته إلى
الجعفيين نسبة ولاء، وليست نسبة أصل. (١)

أهمية الحديث:

قد تواتر النقل عن الأئمة الأعلام بعموم نفع هذا الحديث، وعظيم وقعه، حتى
قال بعض أهل العلم: ليس في الأحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه.

قال ابن الملقن: هذا الحديث عظيم الموقع كثير الفائدة أصل من أصول الدين.

قال ابن دقيق العيد: أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

قال أحمد والشافعي: "يدخل في حديث الأعمال بالنيات ثلث العلم". نقله

البيهقي.

قال ابن دقيق العيد: وسبب ذلك أن كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وجوارحه

والنية أحد الأقسام الثلاثة. اهـ

قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ كِتَابًا، فَلْيَبْدَأْ بِحَدِيثِ "الأعمالُ

بِالنِّيَّاتِ".

قال أبو داود السجستاني: نظرت في الحديث المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث

ثم نظرت فإذا مدار أربعة آلاف حديث على أربعة أحاديث: حديث النعمان بن بشير:

(١) شرح العلامة العباد الدرر الأول.

"الحلال بيّن والحرام بيّن" وحديث عمر هذا، وحديث أبي هريرة: "إن الله طيب" وحديث أبي هريرة أيضاً: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، قال: فكل حديث من هذه الأربعة ربع العلم. اهـ

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ طَاهِرُ بْنُ مُقَوِّزٍ الْمُعَاوِيَّ الْأَنْدَلِسِيُّ:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا لَيْسَ يَغْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بَيْنَهُ

شرح ألفاظ الحديث:

هذا الحديث العظيم قاعدة من قواعد الإسلام، وأصل من أصول الشريعة، وموضوعه الإخلاص في العمل وبيان اشتراط النية وأثر ذلك، وبه صدر البخاري كتابه الصحيح وأقامه مقام الخطبة له إشارة إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا والآخرة.

إِنَّمَا: (إنما): أداة حصرٍ تفيدُ ثبوتَ الحكمِ في المحصورِ وتُقَوِّي الحكمَ المذكورَ بعدها وتؤكدُهُ.

الأعمال: يشمل الأقوال والأعمال؛ فيدخل فيه كل ما يتعلق بالإيمان؛ لأن الإيمان: قول وعمل؛ قول اللسان وعمله، وقول القلب وعمله وعمل الجوارح. والمراد بالأعمال: الأعمال الشرعية التي تفتقر إلى النية.

لا يدخل فيها الأعمال التي لا تشترط لها النية، مثل: أنواع التروك، وإرجاع المظالم، تطهير النجاسة، وأمثال ذلك.. مما لا يشترط له النية؛ لأنه ترك ونحوه.

بِالنِّيَّاتِ: الباء هنا سببية، النية: القصد والإرادة، يقال: نوى الشيء، ينويه، نية، أي: قصده وأراده.

والمعنى: أن الأعمال تكون صحيحة أو فاسدة، مقبولة أو مردودة بسبب النيات. **وإنما لكل امرئ:** (اللام) هذه لام الملكية يعني لا يملك ولا يكون له من ثواب عمله إلا ما نواه.

وهذا الحكم عام في جميع الأعمال من العبادات والمعاملات والأعمال العادية، فمن قصد بعمله منفعة دنيوية لم ينل إلا تلك المنفعة ولو كان عبادةً، فلا ثواب له عليها، ومن قصد بعمله التقرب إلى الله تعالى وابتغاء مرضاته، نال من عمله المثوبة والأجر ولو كان عملاً عادياً، كالأكل والشرب.

ما نوى: يعني: ما قصد بقلبه وأراد بقلبه هذا الشيء، فالأعمال مشروطة بإرادة القلب وقصده، وفي هذا دلالة على أن النية محلها القلب، وليس اللسان.

فمن كانت: (الفاء) هذه تفصيلية، تفصيل لمثال من الأعمال التي تكون لله وتكون لغير الله، فذكر مثالا وهو الهجرة.

هجرته: الهجرة معناها: الترك، (هَجَرَ) يعني: ترك، وأصل الهجرة: هجرة إلى الله جل وعلا وإلى رسوله ﷺ.

إلى الله ورسوله: تكون الهجرة إلى الله جل وعلا بالإخلاص وابتغاء ما عنده، والهجرة إلى النبي ﷺ باتباعه ﷺ، والرغبة فيما جاء به ﷺ.

وتدخل فيها الهجرة الخاصة، التي هي ترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

فهجرته إلى الله ورسوله: أي أن من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله ثواباً وأجرًا.

ثم بين الصنف الثاني فقال:

ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها: أي من هاجر لكي يكسب مالاً.

أو امرأة يتزوجها: جعلها قسيماً للدنيا مُقابلاً لها تعظيماً لأمرها لكونها أشد فتنة فأو للتقسيم وهو أولى من جعله عطف خاص على عام لا لما قيل من أن لفظ دنيا نكرة وهي لا تعم في الإثبات مدفوع بأنها في سياق الشرط تعم.

فهجرته إلى ما هاجر إليه: يعني من حيث أنه لا ثواب له فيها ولا أجر، وقد يكون عليه فيها وزر.

وفي قوله: "إلى ما هاجر إليه" تحقير لما طلبه من أمر الدنيا، واستهانة به، حيث لم يذكر بلفظه.

فوائد الحديث:

١. أن كل عمل لا بد له من نية.
٢. في الحديث خبر عن حكم شرعي، وهو أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها.

٣. أنَّ حظَّ العامل من عمله نيته، فإنَّ كانت صالحة، فعمله صالح، فله أجره، وإنَّ كانت فاسدة، فعمله فاسد، فعليه وزره.

٤. أنَّ النية تنوع كما تنوع الأعمال كمن قصد بعمله وجه الله أو تحصيل موعوده أو اتقاء لوعيده.

٥. أنَّ لفظ العمل يتناول فعل الجوارح حتى اللسان فتدخل الأقوال.

٦. أنَّ النية محلها القلب دون اللسان، وأنَّ التلفظ بها بدعة، وهذا باتفاق أئمة المسلمين الأئمة الأربعة وغيرهم. (١)

٧. الإخبار عن عظيم الهجرة، وأنَّها من أعظم الأعمال لمن أخلص فيها لله.

٨. أنَّ من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيَّةً وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله ثواباً وأجرًا.

فإنَّه لَمَّا كَانَتِ الْهَجْرَةُ لَهَا مَبْدَأٌ وَبَاعْثٌ مِنَ الْقَلْبِ وَمَصْدَرٌ وَغَايَةٌ فِي الْجَوَارِحِ كَانَ مَصْدَرُهَا وَغَايَتُهَا فِي الْخَارِجِ تَبَعًا لِمَبْدِئِهَا فِي الْقَلْبِ.

٩. فِيهِ أَنَّ الْأُمُورَ بِمَقَاصِدِهَا وَهِيَ قَاعِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ، مِنَ الْقَوَاعِدِ الْفَقْهِيَّةِ الْخَمْسَةِ الْكِبَارِ.

١٠. الْحِكْمَةُ مِنَ الْبَدْءِ بِهَذَا الْحَدِيثِ التَّنْبِيهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَتَصْحِيحِ النِّيَّةِ مِنْ كُلِّ طَالِبِ عِلْمٍ وَمُعَلِّمٍ أَوْ مُتَعَلِّمٍ، وَأَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ عَامَّةً وَالْحَدِيثُ خَاصَّةٌ بِمَنْزِلَةِ الْمُهَاجِرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ.

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢١٨/٢٢)

ما ينبغي معرفته:

١. هَذَا الْحَدِيثُ تَفَرَّدَ بِرَوَايَتِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التِّيمِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.
قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: وَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ تَصِحُّ غَيْرُ هَذَا الطَّرِيقِ. اهـ
وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: لَا أَعْلَمُ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ.

فمن هذا الباب عُدَّ هذا الحديث حديثاً غريباً، أي جاء من طريق واحدة، فرواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يروه عن عمر إلا علقمة بن وقاص الليثي، ولم يروه عن علقمة بن وقاص الليثي إلا محمد بن إبراهيم التيمي، ولم يروه عن محمد بن إبراهيم التيمي إلا يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم كثر الآخزون والراوون له عن يحيى بن سعيد حتى قيل: إن الذين روه عنه يبلغون السبعين وقيل: إنهم يبلغون المائتين.

٢. اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ وَتَلَقُّيهِ بِالْقَبُولِ.
 وَصَدَّرَ بِهِ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ "الصَّحِيحَ" وَأَقَامَهُ مَقَامَ الْخُطْبَةِ لَهُ، إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ لَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَسَنِ الْقَصْدِ وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الْعَمَلِ.

وقد فعل ذلك -أيضاً- بعض المؤلفين فبدءوا بها بدأ البخاري به صحيحه، ومنهم: النووي رحمه الله في هذه الأربعين وفي كتابه المجموع وفي الرياض والأذكار،

والبغوي في كتابيه (شرح السنة) و (مصاييح السنة)، والسيوطي في كتابه (الجامع الصغير)، وعبد الغني المقدسي في كتابه (عمدة الأحكام).

وقال النووي: وكان السلف وتابعوهم من الخلف رحمهم الله يستحبون استفتاح المصنفات بهذا الحديث، تنبيهاً للمُطالع على حسن النية، واهتمامه بذلك والاعتناء به. اهـ.

٣. قصة مهاجر أم قيس التي يذكرها بعضهم سبباً للقصة. القصة رواها سعيد بن منصور قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله هو بن مسعود قال: من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له: مهاجر أم قيس. ا. هـ. وقد رواها أيضاً الطبراني في المعجم الكبير (٩/١٠٣) فقال: حدثنا محمد بن علي الصائغ، ثنا سعيد بن منصور به. ا. هـ. وهذا إسناد صحيح. لكن ليس فيه أن القصة وردت سبباً لحديث إنما الأعمال بالنيات:

فقد قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٧٤):

وقد اشتهر أنَّ قصةَ مهاجر أم قيسٍ هي كانت سببَ قول النبي ﷺ: من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يَنكحها، وذكر ذلك كثير من المتأخرين في كتبهم، ولم نر لذلك أصلاً بإسناد يصح، والله أعلم. ا. هـ.

وقال الحافظ في الفتح (١٦/١):

لكن ليس فيه أن حديث الأعمال سيق بسبب ذلك، ولم أر في شيء من الطرق ما يقتضي التصريح بذلك. ١. هـ.

ومما يدل على ذلك أن حديث إنما الأعمال بالنيات لم يصح من غير طريق عمر رضي الله عنه كما مر بنا. والله أعلم.

٤. قوله: "إنما الأعمال بالنيات" يرجع إلى معنيين: أحدهما: تجريد العمل من الشرك بالله بخالص التوحيد، والآخر: تجريده بخالص السنة.

٥. وقع في معظم الروايات بإفراد النية ووجهه أن محل النية القلب وهو متحد فناسب أفرادها بخلاف الأعمال فأنها متعلقة بالظواهر وهي متعددة فناسب جمعها ولأن النية ترجع إلى الإخلاص وهو واحد للواحد الذي لا شريك له. الحافظ

٦. قوله: "وإنما لكل امرئ ما نوى" إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيراً حصل له خير، وإن نوى به شراً حصل له شر.

فالفرق بين الجملتين: أن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده.

والجملة الثانية دلت على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة.

فالجملة الأولى تختص بالعمل، والثانية بالعامل.

٧. العمل لغير الله أقسام:

أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ رِيَاءً مُحْضًا، بِحَيْثُ لَا يُرَادُ بِهِ سِوَى مُرَاءَاتِ الْمَخْلُوقِينَ لِعَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ، كَحَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]. وَهَذَا الْعَمَلُ لَا يَشْكُ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ الْمُقْتَمَ مِنَ اللَّهِ وَالْعُقُوبَةَ. وَهَذَا الرِّيَاءُ الْمُحْضُ لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرَضِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الْوَاجِبَةِ أَوْ الْحَجِّ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوِ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ،

أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ لِلَّهِ، وَيُشَارِكُهُ الرِّيَاءُ، فَهُوَ عَلَى قَسَمَيْنِ: إِنْ شَارَكَهُ مِنْ أَصْلِهِ فَالْنُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ تَدُلُّ عَلَى بُطْلَانِهِ وَحُبُوطِهِ أَيْضًا. وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرِيكَهُ".

وَخَرَجَ النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ "أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا شَيْءَ لَهُ فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا شَيْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ".

وَأَمَّا إِنْ كَانَ أَصْلُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّةُ الرِّيَاءِ، فَإِنْ كَانَ خَاطِرًا وَدَفَعَهُ، فَلَا يَضُرُّهُ بَغَيْرُ خِلَافٍ، وَإِنْ اسْتَرْسَلَ مَعَهُ

أَمَّا إِذَا عَمِلَ الْعَمَلُ لِلَّهِ خَالِصًا، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، فَفَرِحَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاسْتَبَشَرَ بِذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ.

٨. أَنَّ النِّيَّةَ مُحَلُّهَا الْقَلْبُ، وَالتَّلَفُّظُ بِهَا بَدْعٌ، فَلَا يَجُوزُ التَّلَفُّظُ بِالنِّيَّةِ فِي أَيِّ قُرْبَةٍ مِنَ الْقُرْبِ.

فَالْجَهْرُ بِالنِّيَّةِ بَدْعٌ مُنْكَرٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا.

وَمِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعِبَادَاتِ التَّحْرِيمُ، وَلَا تَثْبُتُ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِنَصٍّ.

قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٩٦/٢):

"الجهر بالنية في الصلاة من البدع السيئة ليس من البدع الحسنة وهذا متفق عليه بين المسلمين لم يقل أحد منهم أن الجهر بالنية مستحب ولا هو بدعة حسنة فمن قال ذلك فقد خالف سنة الرسول ﷺ وإجماع الأئمة الأربعة وغيرهم وقائل هذا يستتاب فإن تاب وإلا عوقب بما يستحقه.

لا يستحب التلفظ بها فإن النبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يتلفظون بها لا سرا ولا جهرا والعبادات التي شرعها النبي ﷺ لأمته ليس لأحد تغييرها ولا إحداث بدعة فيها". اهـ

فَالْجَهْرُ بِالنِّيَّةِ بَدْعٌ مُنْكَرٌ لَيْسَتْ مِنْ هَذِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٩. النية في الشريعة بعامة يراؤها أحد معنيين:

أولاً: تمييز العبادات بعضها عن بعض؛ كتمييز الظهر عن العصر، والفرض عن النفل، ونحو ذلك.

ثانياً: تمييز المقصود بالعمل هل هو لله وحده أم لغيره؟

فإن كان نوى بعمله الله والدار الآخرة؛ يعني: أخلص لله - جل وعلا-، فعمله صالح، وإن كان عمله للدنيا؛ فعمله فاسد.

ولما ذكر ﷺ أن الأعمال بحسب النيات، وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر، وهاتان كلمتان جامعتان، وقاعدتان كليتان، لا يخرج عنهما شيء، ذكر بعد ذلك مثالا من أمثال الأعمال التي صورتها واحدة، ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات، وكأنه يقول سائر الأعمال على حدو هذا المثال.

١٠. قوله: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله". فالهجرة

الأولى التي هي في مقام الشرط هي فعل العبد للهجرة، والهجرة الثانية التي في مقام الجزاء يراها صحة هجرته وأنها هجرة صحيحة مقبولة عند الله.

الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمُسْتَوَلُّ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْخُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَذَرِي مَنْ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" رواه مسلم.

شرح ألفاظ الحديث:

بينما: ظرفية تدل على المفاجأة؛ ولهذا تأتي بعدها "إذ" المفيدة للمفاجأة.

إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ: إذ وإذا ظرفان، يضافان إلى الجمل، إلا أن إذ: لما مضى، وتضاف للجملتين الفعلية والاسمية، وإذا: لما يستقبل، ولا تُضاف إلا إلى الفعلية، وقد يقعان للمفاجأة كما وقعت إذ ههنا.

وفي قوله رجل: معناه أن جبريل جاء بصورة رجل.

شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر: زاد في رواية ابن حبان **شديد سواد اللحية**؛ وبهذا تبين أنه لم يكن أمردا، بل عليه وقار اللحية وسمتها.

قال القاري على رواية ابن حبان وذكر اللحية: وبها يتبين محمل الشعر المذكور في الحديث المشهور.

وَقَدَّمَ الْبَيَاضَ عَلَى السَّوَادِ لِأَنَّهُ خَيْرُ الْأَلْوَانِ، وَحُيِّطُ بِالْأَبْدَانِ، وَلِئَلَّا يَفْتَتِحَ بَغْتَةً بَلَوْنِ مُتَوَحِّشٍ، وَجَمَعَ الثِّيَابَ دُونَ الشَّعْرِ إِشْعَارًا بِأَنَّ جَمِيعَهَا كَذَلِكَ.

لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ: من ظهور التعب، والغبار، وتفرق الشعر، وتكسر الثياب، فالمراد بالأثر ظهور التعب والتغير والغبار.

وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ: بمعنى أنه ليس من أهل المدينة، وإنما استند عمر في قوله هذا إلى صريح قول الحاضرين، ففي رواية لأحمد: فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا: ما نعرف هذا، والمعنى تعجبنا من إتيانه وترددنا في أنه من الملك والجن، إذ لو كان بشرا من المدينة لعرفناه، أو كان غريبا لكان عليه أثر السفر.

حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: ظاهره أنه لم يسلم على النبي ﷺ، إلا أن الحديث قد رواه النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر وفيه: قال: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مُحَمَّدٌ، فَرَدَّ ﷺ** قال: **أَدْنُوا يَا مُحَمَّدُ؟** قال: **أَدْنُهُ،** فما زال يقول: **أَدْنُوا مَرَارًا،** ويقول: **أَدْنُ.**

فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ: أي جلس على ركبته، وألصق ركبتيه بركبتي النبي ﷺ، وذلك لأن الجلوس على الركبة أقرب إلى التواضع، والأدب، وإيصال الركبة بالركبة أبلغ من الإصغاء، وأتم من حصول حضور القلب، وأكمل في الاستئناس، وألزم لمسارعة الجواب، ولأن الجلوس على هذه الهيئة يدل على شدة حاجة السائل، وإذا عرف المسئول حاجته، وحرصه اعتنى، وبادر إليه.

وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ: معناه أن الرجل الداخل وضع كفيه على فخذي نفسه وجلس على هيئة المتعلم. بهذا قال النووي وغيره.

إلا أنه قد جاء في رواية لسليمان التيمي: ليس عليه سحناء السفر وليس من البلد فتخطى حتى برك بين يدي النبي ﷺ كما يجلس أحدنا في الصلاة ثم وضع يده على

ركبتي النبي ﷺ وكذا في حديث بن عباس وأبي عامر الأشعري ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ فأفادت هذه الرواية أن الضمير في قوله على فخذه يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وبه جزم البغوي وإسماعيل التيمي لهذه الرواية ورجحه الطيبي بحثاً لأنه نسق الكلام، خلافاً لما جزم به النووي ووافقه التوربشتي لأنه حمّله على أنه جلس كهيئة المتعلم بين يدي من يتعلم منه وهذا وإن كان ظاهراً من السياق لكن وضعه يديه على فخذي النبي ﷺ صنيع منبه للإصغاء إليه، والظاهر أنه أراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن بأنه من جفأة الأعراب ولهذا تخطى الناس حتى انتهى إلى النبي ﷺ كما تقدم ولهذا استغرب الصحابة صنيعه ولأنه ليس من أهل البلد وجاء ماشياً ليس عليه أثر سفر. قاله الحافظ.

قلت: وفي رواية النسائي وفيه: «حتّى وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ».

قال القرطبي في المفهم (١/ ٥٦): وقد بين فيه: أن جبريل - عليه السلام - وضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ، فارتفع الاحتمال الذي في لفظ "كتاب مسلم"؛ فإنه قال فيه: فوضع كففيه على فخذه، وهو محتمل.

وإنما فعل جبريل ذلك - والله أعلم - ليقندي به السائل؛ تنبيهاً على ما ينبغي للسائل من قوة النفس عند السؤال، وعدم المبالاة بما يقطع عليه خاطره، وإن كان

المسؤول مِمَّنْ يُحْتَرَمُ وَيُهَابُ، وعلى ما ينبغي للمسؤول مِنَ التواضع والصَّفْحِ عن السائل، وإنْ تعدَّى ما ينبغي من الاحترام والأدب. اهـ

وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: ولم يقل: يا رسول الله أخبرني؛ صنع كصنيع أهل البادية الأعراب؛ لأن الأعراب إذا جاؤوا إلى النبي ﷺ يقولون: يا محمد.

...أما الذين سمعوا أدب الله عز وجل لهم فإنهم لا يقولون: يا محمد، وإنما يقولون: يا رسول الله، لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ لِيُنْذِرَكُمْ كَدُّ دُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [سورة النور: ٦٣].

وهذا يشمل دعاءه عند النداء باسمه، ويشمل دعاءه إذا أمر أو نهي، فلا نجعل أمره كأمر الناس: إن شئنا امتثلنا وإن شئنا تركنا، ولا نجعل نهيته كنهي الناس: إن شئنا تركنا وإن شئنا فعلنا. ففعل جبريل ذلك تعمية على حاله.

أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ: ما هو؟ وما حقيقته وما هيئته شرعاً؟ وقوله (أَخْبِرْنِي) فيه دلالة على أن النبي ﷺ مخبر، يعني أنه ينقل أيضاً الخبر عن الإسلام، وهذا موافق لما هو متواتر في الشريعة أن النبي ﷺ إنما هو مُبَلِّغٌ؛ مُبَلِّغٌ للدين عن الله جل وعلا، قال (أَخْبِرْنِي) يعني اجعل كلامك لي خبراً، فأخبرني بذلك، والنبي ﷺ أيضاً مخبر عن ربه جل وعلا في ذلك، كما جاء في بعض الأحاديث القدسية قد قال عليه الصلاة والسلام فيما يُخبر به عن ربه جل وعلا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا". هذا تعريف للإسلام بأركانه وحدوده.

وقوله تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أي أن تُقَرَّ بلسانك وتعتقد بقلبك أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وهما ركنٌ واحدٌ؛ لكونهما مُتلازمَينِ لا تَنفَكُ إحداهما عن الأخرى. ومعنى الشَّهادَتَيْنِ: أن يَنطِقَ العبدُ بهما مُعترِفًا ومُقرًّا بوحِدانيَّةِ الله واستحقاقِهِ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ ما سِوَاهُ، وبرِسالَةِ مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ اللهِ، مُصدِّقًا بقلبه بهما، مُعتَقِدًا لَمَعْنَاهُمَا، عامِلًا بِمُقْتَضَاهُمَا؛ هذه هي الشَّهادةُ الَّتِي تَنفَعُ صَاحِبَهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، فيَفوزُ بِالْجَنَّةِ، وَيَنجو مِنَ النَّارِ.

وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ: المرادُ بِإِقَامَتِهَا: المُحَافَظَةُ على أداءِ الصَّلَوَاتِ الحَمْسِ الْمَفْرُوضَاتِ في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وهي: "الفجرُ، والظُّهرُ، والعَصْرُ، والمغربُ، والعِشاءُ" في أوقَاتِهَا، بِشُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَوُجُوبَاتِهَا.

وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ: والزكاةُ عِبَادَةُ مَالِيَّةٌ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ مالٍ بَلَغَ المِقْدَارَ والحدَّ الشرعيَّ، وَحَالَ عَلَيْهِ الحَوْلُ وَيَدْخُلُ فِيهَا زَكَاةُ الْأَنْعَامِ وَالْمَاشِيَةِ، وَزَكَاةُ الزُّرُوعِ وَالثَّمَارِ، وَعُرُوضِ التِّجَارَةِ، وَزَكَاةُ الرِّكَازِ، وَهُوَ الْكَنْزُ الْمَدْفُونُ الَّذِي يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ أَنْصَابِهَا، وَوَقْتِ تَزَكِّيَّتِهَا.

وَتَصُومَ رَمَضَانَ: وهو: الإمساكُ بِنِيَّةِ التَّعَبُّدِ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَوَطْءِ النِّسَاءِ،
وسائرِ الْمُفْطَرَاتِ، من طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.

وَتَحَجَّ الْبَيْتَ: وهو قَصْدُ الْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَةِ لِإِقَامَةِ الْمَنَاسِكِ، تَعَبُّدًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ.

إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا: وهذا شرط وجوبه، وهو الْقُدْرَةُ وَالِاسْتِطَاعَةُ الْمَالِيَّةُ
وَالْبَدَنِيَّةُ.

قَالَ: صَدَقْتَ: أي نَطَقْتَ بِكَلَامٍ صَادِقٍ صَحِيحٍ.

قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ: قال القرطبي إنما عجبوا منه

لأن ما جاء به النبي ﷺ لا يعرف إلا من جهته وليس

هذا السائل ممن عرف بقاء النبي ﷺ ولا بالسمع

منه ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه بأنه يخبره بأنه صادق فيه

فتعجبوا من ذلك تعجب المستبعد لذلك.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ: أي ما هو الإيمان وما حقيقته.

قَالَ: "أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ: هو أن يعتقد المرء اعتقادا جازما بقلبه بأن الله تعالى

موجودٌ وجودا حقيقيا بذاته، وأنه هو الذي خلق الكون بما فيه بلا شريك، وأنه تعالى

موصوفٌ بصفات الكمال كلّها، ومنزّهٌ عن صفات النقص والعيوب، وأنه لا شبيهَ ولا مثيلَ له من خلقه، وأنه وحده المستحقُّ للعبادة بكل أنواعها دون أن يشرك معه في ذلك أحدٌ غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

وهو أساس للإيمان بكلّ ما يجب الإيمان به، ولهذا أضيف إليه الملائكة والكتب والرسل، ومن لم يؤمن بالله لا يؤمن ببقية الأركان، والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده وربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه وتعالى متّصفٌ بكلّ كمال يليق به، منزّهٌ عن كلّ نقص، فيجب توحيده بربوبيّته وألوهيّته وأسمائه وصفاته.

وَمَلَائِكَتِهِ: هو التصديق الجازم بأن لله ملائكةً موجودين، مخلوقين من نور، وأنهم عبادٌ مكرمون يسبحون الله في الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ثم إنهم ليسوا بالبشر، فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناسلون، وإنهم قائمون بوظائف متنوعة أوكل الله تعالى إليهم القيام بها.

وَكُتُبِهِ: معنى الإيمان بالكتب هو: التصديق الجازم بأن كلّها منزل من عند الله تعالى، على رسله صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، إلى عباده بالحق والهدى، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأنه تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء.

وَرُسُلِهِ: الإيمان بالرسول هو: التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رُسُلًا مِنْ الْبَشَرِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ الْإِيمَانَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا، وَالْأَنْفِرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَأَنَّ خَاتَمَهُمُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ بِهِ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ، وَيَتَّبِعَ شَرِيعَتَهُ، وَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَتِهِ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَيَسْتَلْزِمُ الْإِيمَانُ بِهِمُ: الْإِيمَانَ بِأَنَّهُمْ هُدَاةٌ مُهْتَدُونَ، صَادِقُونَ فِي مَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدَهُمُ بِالْمُعْجَزَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا عَنِ اللَّهِ رِسَالَتَهُ، وَبَيَّنَّا لِلْمُكَلَّفِينَ مَا أَمَرَهُمْ بِبَيَانِهِ، دُونَ كِتْمَانٍ، أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، وَأَنَّهُ يَجِبُ حُبُّهُمْ، وَتَعْظِيمُهُمْ وَتَوْقِيرُهُمْ، وَنَصْرُهُمْ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِمْ.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: اليوم الآخر: هو يوم القيامة، وهو اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين للجزاء والحساب.

وتعريفه: هو التصديق الجازم بكل ما أخبر به الله - سبحانه وتعالى - في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان، والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعاً.

وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ: القدر هو ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأن الله تعالى قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى الصفة التي يريد لها سبحانه.

والإيمان بالقدر له أربعة مراتب، يجب الإيمان بها جميعاً واعتقادها اعتقاداً جازماً،

وهي:

الأول: الإيمان بعلم الله تعالى.

الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة.

الرابع: خلقه تبارك وتعالى لكل موجود، ولا شريك له في خلقه.

قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ: الإحسان لغة: مشتق من الحسن

ويطلق على الإتقان والإجادة، فإذا أتقن الشيء فهو محسن فيه، وإذا أجاد الشيء فهو

محسن فيه.

قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" ذكر النبي ﷺ

مرتين للإحسان:

الأولى: مرتبة المشاهدة أو المعاينة: (أن تعبد الله كأنك تراه)؛ بأن يبلغ يقين العبد وإيمانه بالله؛ كأنه يُشاهد الله جل جلاله عياناً؛ لكمال اليقين وكمال الإخلاص، فيعبد ربه عبادة المشاهد للمشهود، بحيث لو كُشفت الحجب لم يزدد عما هو عليه، ومن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، والله جل وعلا لا يُرى في الدنيا، وإنما يُرى في الآخرة، ولكن يراه بقلبه؛ حتى كأنه يراه بعينه، ولذا يُجازى أهل الإحسان بالآخرة بأن يروه سبحانه وتعالى، فإذا عبدوه وكأنهم يرونه في الدنيا، جازاهم بأن يروه بأبصارهم في دار النعيم، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي: النظر لوجه الله جل وعلا، فلما أحسنوا في الدنيا أعطاهم الله الحسنَى، وهي الجنة، وزادهم رؤية الله عز وجل.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨]. (أي متقنون) الأعمال والاعتقادات.

الثانية: مرتبة المراقبة: (فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)، يعني: إذا لم يتحقق شهوده بقلبه، فليعبد عبادة من يعلم أنه مطلع عليه، فالعبد لا يرى ربه، ولكن الله يراه، فينبغي للعبد استحضار مراقبة الله جل وعلا له وإطلاعه عليه، فيعبد الله جل وعلا على مقام الإحساس بمراقبة الله للعبد بأن يعلم أن الله يراه، ويعلم حاله، وما تخفيه نفسه، وإطلاع الله جل وعلا ورؤيته وعلمه لا يقتصر على حال الإنسان الظاهرة،

بل يشمل الظاهر والباطن، فلا يليق بالعبد أن يعصيه، وأن يخالف أمره، وهو يراه ويطلع عليه، وهذا إحسان في العمل على سبيل المراقبة والخوف والرجاء، ولهذا فإن العبد حينما يقترب بعض المعاصي، فإنه يبعد عن مرتبة الإحسان، وبعض العلماء يُسمي هذه المرتبة بمقام الإخلاص؛ لأن العبد إذا استحضر في عمله مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، فإن ذلك يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، فيعبد الله لا يبتغي إلا هو سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدَيْنِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [سورة الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

والدرجة الأولى هي العظمى؛ لأن الدرجة الثانية درجة عامة؛ وذلك لأن الله جل وعلا يرى جميع الخلق، لكن الدرجة الأولى لا تكون إلا لصاحب الإحسان الذي يعبد ربه كأنه يراه.

المقصود بمقام المشاهدة مشاهدة الصفات لا مشاهدة الذات؛ ويُعنى بها مشاهدة آثار صفات الله جل وعلا في خلقه،

فهو مقام حاصل من معاينة آثار أسماء الله وصفاته تعالى في الكون، بحيث يترتب على ذلك تنور القلب وتعلقه بالله سبحانه.

فإن العبد المؤمن كلما عَظُمَ علمه وعظم يقينه بصفات الله جل وعلا وبأسمائه أرجع كل شيء يحصل في ملكوت الله إلى اسم من أسماء الله جل وعلا أو إلى صفة من صفاته.

فإذا رأى حسناً أمامه أرجعه إلى صفة من صفات الله وإلى أثر من آثار أسمائه الحسنی في ملكوته، وإذا رأى سيئاً أرجعه إلى صفة من صفات الله، وإذا رأى خلقاً فيه كذا أرجعه إلى صفة من صفات الله، وإذا رأى طاعة أرجعها إلى صفة، وإذا رأى معصية، وإذا رأى مصيبة، وإذا رأى حرباً، وإذا رأى قتلاً، وإذا رأى علماً، أي حالة من الحالات يراها في السماء أو في الأرض فإن مقام مشاهدته لصفات الله تقتضي أنه يُرجع كل شيء يراه إلى آثار أسماء الله جل وعلا وصفاته في خلقه، ولهذا يحصل هذا المقام لمن عَظُمَ علمه بأسماء الله جل وعلا وبصفاته وبأثرها في ملكوته، فيأتي لعظم علمه بذلك حتى يشهد صفة إحاطة الله جل وعلا بالعبد، وأن الله جل وعلا رقيب عليه وأنه محيط به، وأنه شاهد عليه، فيعظم ذلك في نفسه حتى يستحي أن يكشف عورته في خلوة لا يراها إلا هو، كما جاء في الحديث، قال في كشف العورة "إن الله أحق أن يستحي منه"؛ هذا لأجل مقام المشاهدة العظيمة.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ: الساعة في أصل الوضع: مقدار ما من الزمان، غير معين ولا محدود لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوَ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الروم: ٥٥].

وفي عرف أهل الشرع: المقصود به يوم القيامة، وهو المراد به هنا، فَإِنَّ السَّائِلَ يسأل عن اليوم الذي تقوم فيه القيامة.

قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ": معناه: إن الناس كلهم في وقت الساعة سواء، وكلهم غير عالمين به على الحقيقة، وجاء في الحديث: "في خمس لا يعلمهن إلا الله" ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ٣٤]. وهذه مفاتيح الغيب الذي لا يعلمها إلا الله.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا: أي عن أشراطها وعلاماتها، قال القرطبي: "الأشراط: هي الأمارات والعلامات، ومنه قوله تعالى: {جَاءَ أَشْرَاطُهَا} (١) وبها سُمِّيَ الشَّرْطُ لأنهم يَعْلَمُونَ أنفسهم بعلامات يعرفون بها".

فلما كان العلم بوقت الساعة المسئول عنه غير ممكن انتقل منه إلى ذكر أشراطها وهي علامتها الدالة على اقترانها.

قال ابن رجب: وأما جبريل: فالظاهر - والله أعلم - أنه أراد بسؤاله عن الساعة إظهار انفراد الله بعلمها دون خلقه حتى ينقطع السؤال عنها، فقد كان النبي (ﷺ) كثيراً يسأل عنها حتى نزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لِوَفِيهَا إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٧].

قال: "أَنَّ تِلْدَ الْأُمَّةِ رَبَّتَهَا، وَأَنَّ تَرَى الْخُفَاءَ الْعُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ". ذكر هنا علامتين للساعة:

العلامة الأولى: أَنَّ تِلْدَ الْأُمَّةِ رَبَّتَهَا: قيل: هذا إشارة إلى كثرة العقوق، بحيث يُعامل الولد أمه مُعاملة السيّد أُمته. وقيل: هو أن تكثُر الفتوح في بلاد الكفار، وجلب الرقيق، حتّى تُجلب المرأة من بلاد الكفر صغيرة، فتعتق في بلد الإسلام، ثم تُجلب أمها بعدها، فتشتريها البنت وتستخدمها جاهلة كونها أمها، وقد وقع ذلك في الإسلام، وقيل: إنَّ الإماء تلدن الملوك، فتكون أمه من جملة رعيته، وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته، وولي أمورهم.

والعلامة الأخرى: «أَنَّ تَرَى الْخُفَاءَ» وهو من لا نعل له، «العرأة» الذين لا ثوب يسترهم، «العالة» وهم الفقراء، «رِعَاءَ الشَّاءِ» أي: رعاة الغنم، وخصّ رِعَاءَ الشَّاءِ بالذكر؛ لأنهم أضعف أهل البادية. «يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، أي: يتنافسون في ارتفاعه

وَكَثَرَتْهُ؛ بَعْدَ أَنْ يَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ، فَيُوسِّعَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَمَعِيشَتِهِمْ، فَيَتَنَافَسُونَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَسَدَّاهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ فَقْرِهِمْ. أَوْ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَتَمَلَّكُونَ الْأَمْرَ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ، فَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ وَتَتَّسِعُ فِي حُطَامِ الدُّنْيَا أَمَالُهُمْ، فَتَنْصَرِفُ هِمَّتُهُمْ إِلَى تَشْيِيدِ الْمَبَانِي وَهَدْمِ الدِّينِ وَشَرِيفِ الْمَعَانِي، وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا وَجِدَ كَانَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسَعْدُ النَّاسِ بِالْدُّنْيَا لُكْعَ ابْنِ لُكْعٍ».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا: أي زمانا بعد انصرافه فكأن النبي ﷺ أعلمهم

بذلك بعد مضي وقت ولكنه في ذلك المجلس؟

قال الحافظ في الفتح: جاء في رواية النسائي والترمذي فلبثت ثلاثا لكن ادعى بعضهم فيها التصحيف وأن مليا صغرت ميمها فأشبهت ثلاثا لأنها تكتب بلا ألف وهذه الدعوى مردودة فإنَّ في رواية أبي عوانة فلبثنا ليالي فلقيني رسول الله ﷺ بعد ثلاث ولابن حبان بعد ثلاثة ولابن منده بعد ثلاثة أيام وجمع النووي بين الحديثين بأن عمر لم يحضر قول النبي ﷺ في المجلس بل كان ممن قام إما مع الذين توجهوا في طلب الرجل أو لشغل آخر ولم يرجع مع من رجع لعارض عرض له فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال ولم يتفق الإخبار لعمر الا بعد ثلاثة أيام ويدل عليه قوله فلقيني وقوله فقال لي يا عمر فوجه الخطاب له وحده بخلاف إخباره الأول وهو جمع حسن. اهـ

ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ": أي: قواعد دينكم، أو كليات دينكم؛ قال القاضي: وهذا الحديث قد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة؛ من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه.

فوائد الحديث:

١. فِيهِ اسْتِحْبَابُ الْبَيَاضِ، وَالنَّظَافَةِ فِي الثِّيَابِ، وَعناية طالب العلم بشيابه ونظافته فإنه ينشرح صدره للطلب.
٢. فِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الثِّيَابِ وَالهَيْئَةِ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَالْمُلُوكِ؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ عليه السلام أَتَى مُعَلِّمًا لِلنَّاسِ بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ.
٣. فِيهِ أَنَّ زَمَانَ طَلَبِ الْعِلْمِ أَوْ أَنَّ الشَّبَابَ لِقُوَّتِهِ عَلَى تَحْمِيلِ أَعْبَائِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى تَعَلُّمِ أَدَائِهِ، لِقَوْلِهِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الشَّبَابِ، بِدَلَالَةِ الرِّوَايَةِ الْآخَرَى: شَدِيدُ سَوَادِ اللَّحْيَةِ.
٤. فِيهِ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى مُتَعَلِّمًا وَمُعَلِّمًا؛ مُتَعَلِّمًا مِنْ جِهَةِ الْهَيْئَةِ وَالسُّؤَالِ وَالْأَدَبِ، وَمُعَلِّمًا حَيْثُ سَأَلَ لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَفِيدَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَتَسْتَفِيدَ الْأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ.

٥. فيه استغلال اجتماع الناس لتعليمهم.
٦. فيه حرص الصحابة على التعلم، وسماع ما يلقي على النبي ﷺ من الأسئلة التي ينتفعون بها.
٧. فيه إشارة لما ينبغي للمسئول من التواضع والصفح عما يبدو من جفاء السائل.
٨. بيان حسن أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ.
٩. أنه يسن للداخل أن يعم بالسلام، ثم يخص من شاء بالكلام، لما ورد في بعض طرق الحديث من ذكر السلام.
١٠. وفي الحديث: بيان أركان الإسلام الخمسة.
١١. وفيه: بيان أركان الإيمان الستة.
١٢. وفيه: بيان بعض آداب طالب العلم من التواضع وغيره.
١٣. وفيه: دليل على بركة العلم، وأن العلم يتنفع به السائل والمجيب.
١٤. فيه دليل على أن الدين ثلاث مراتب الأولى: الإسلام وهي مرتبة الأعمال الظاهرة. والثانية: الإيمان وهي مرتبة الاعتقادات الباطنة.

والثالثة: الإحسان وهي مرتبة إتقانها؛ أي: عمل الباطن وعمل الظاهر،
وحقيقة هذه المرتبة: عبادة الله على مقام المشاهدة أو المراقبة، وتُسمى الإحسان.

١٥. أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ وَالْإِحْسَانَ يُسَمَّى دِينًا فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران: ١٩] المرادُ بِهِ الْكَامِلُ، وَكَذَا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

١٦. فيه دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً وتعليماً، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ومع ذلك فقد سماه معلماً.

١٧. فيه دليل على أن الله تعالى مكن الملائكة من أن يتمثلوا فيها شأؤوا من صور بني آدم؛ كما قد نص الله تعالى على ذلك في قوله تعالى: فتمثل لها بشراً سوياً.
١٨. وفيه الإخبار عن تبدل الحال وتغيره؛ بأن يستولي أهل البادية على أهل الحاضرة، ويتملكوا بالقهر والغلبة، فتكثر أموالهم، وتتسع في حطام الدنيا آماهم، فتصرف هممتهم إلى تشييد المعاني، وهدم الدين وتحريف المعاني، وأن ذلك إذا وُجد، كان من أشرط الساعة.

١٩. فيه: دليل على كراهية ما لا تدعو الحاجة إليه؛ من تطويل البناء وتشيدِه؛
وقد قال - ﷺ -: يُؤْجَرُ ابْنُ آدَمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مَا يَضَعُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ، ومات

رسول الله ﷺ. ولم يَضَعْ حَجَرًا على حجرٍ ولا لَبَنَةً على لبنَةٍ، أي: لم يشيّد بناءً، ولا طَوَّلَه، ولا تَأَنَّقَ فيه.

٢٠. فيه الإشارة إلى ضرورة تعلم الدين، وكذا تعليمه للناس.

٢١. فيه مدى قوة حافظة الصحابة (رضي الله عنهم)، فقد حفظوا الأحاديث بفصها ونصها، كما هو حال عمر (رضي الله عنه) في هذا الحديث.

ما ينبغي معرفته:

١. بدأ الإمام النووي رحمه الله أحاديث الأربعين بحديث عمر إنما الأعمال بالنيات، وهو أول حديث في صحيح البخاري، وثني بحديث عمر في قصة مجيء جبريل إلى النبي ﷺ، وهو أول حديث في صحيح مسلم، وقد سبقه إلى ذلك الإمام البغوي في كتابيه شرح السنة ومصابيح السنة، فقد افتتحهما بهذين الحديثين. وحديث جبريل عن عمر انفراد بإخراجه مسلم عن البخاري، واتفقا على إخراجه من حديث أبي هريرة.

وكان هذا الصنيع من النووي رحمه الله - والله أعلم - من الوفاء لهذين الإمامين.

٢. أن هناك قصة أوردتها في مسلم في بداية هذا الحديث، وهو ما تفرد به مسلم عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال بالقدر

في البصرة معبد الجهني ت ٨٠ هـ (قتله الحجاج) فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث بطوله ."

٣. أن الجامع لمعاني الإسلام والإيمان والإحسان، أن الإسلام يتعلق بالعمل الظاهر، والإيمان يتعلق بعمل القلب، والإحسان هو الغاية في عمل القلب وعمل الظاهر، فالإحسان هو المنتهى في أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

٤. إيراد الأفعال المضارعية لإفادة الاستمرار التجديدي لكل من الأركان الإسلامية، ففي التوحيد المطلوب الاستمرار الدائم مدة الحياة، وفي الصلاة دونه، ثم في الصوم، والزكاة دونهما، وقدم الصوم لتعلقه بجميع المكلفين، وآخر ما وجب في العمر مرة. قاله القاري

٥. أن الإيمان والإسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا ؛ كما دل عليه حديث جبريل هذا وغيره ؛ وهذا هو الأصل في الأسماء المختلفة وهو أن يدل كل واحد منها على خلاف ما يدل عليه الآخر، غير أنه قد توسع الشرع فيهما: فأطلق اسم الإيمان على حقيقة الإسلام ؛ كما في حديث وفد عبد القيس الآتي بعد هذا، وكقوله: " الإيمان بضع وسبعون بابا، أدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: لا إله إلا الله ". وقد أطلق الإسلام مريدا به مسمى الإسلام والإيمان، بمعنى التداخل، كقوله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام [آل عمران: ١٩].

وقد أطلق الإيمان كذلك أيضا.

فيكون الإسلام والإيمان إذا اجتمعا تفرقا فصار معنى الإسلام الأعمال الظاهرة ومعنى الإيمان الأعمال الباطنة.

وإذا تفرقا اجتمعا وشمل كل منهما الآخر.

٦. سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان والإسلام بلفظ: ما - كما في حديث أبي هريرة -، يدل على أنه إنما سأل عن حقيقتيهما عنده، لا عن شرح لفظهما في اللغة، ولا عن حكمهما؛ لأن ما في أصلها إنما يُسأل بها عن الحقائق والماهيات. ولذلك أجابه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: أن تؤمن بالله، وبكذا وكذا؛ فلو كان سائلا عن شرح لفظهما في اللغة، لكان هذا جوابا له؛ لأن المذكور في الجواب هو المذكور في السؤال. القرطبي

الحديث الثالث

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مَا قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

التعريف بالراوي:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ الْعَدَوِيُّ، الْإِمَامُ، الْقُدُّوَةُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيُّ، الْعَدَوِيُّ، الْمَكِّيُّ، ثُمَّ الْمَدَنِيُّ. أَسْلَمَ وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ لَمْ يَحْتَلِمَ، وَاسْتُصْغَرَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَوَّلُ غَزَوَاتِهِ الْخَنْدَقُ، وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. وَأُمُّهُ وَأُمُّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ: زَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعُونٍ؛ أُخْتُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيِّ.

رَوَى: عَلِمًا كَثِيرًا نَافِعًا عَنْ: النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم - وَعَنْ: أَبِيهِ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَبِلَالٍ، وَصُهَيْبٍ، وَعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَزَيْدِ عَمَّةٍ، وَسَعْدٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَعُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، وَأَسْلَمَ، وَحَفْصَةَ أُخْتِهِ، وَعَائِشَةَ، وَغَيْرِهِمْ.

ثَبَّتَ أَنَّهُ قَالَ: عُرِضْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجْزِنِي.

وَرَوَى: سَالِمٌ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا رَأَى رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَكُنْتُ غُلَامًا عَزَبًا شَابًّا، فَكُنْتُ أَنَا فِي الْمَسْجِدِ.

فَرَأَيْتُ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَتَيَانِي، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبُرِّ، وَلَهَا قُرُونٌ كَقُرُونِ الْبُرِّ، فَرَأَيْتُ فِيهَا نَاسًا قَدْ عَرَفْتُهُمْ.

فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِينَا مَلَكًا، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ.

فَذَكَرْتُهَا لِحَفْصَةَ، فَحَفَّصَتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)، وَفِي رِوَايَةٍ: (إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ).

قَالَ: فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا الْقَلِيلَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْنَا وَنَحْنُ مُتَوَافِرُونَ، وَمَا فِينَا شَابٌّ هُوَ أَمْلَكَ لِنَفْسِهِ مِنْ ابْنِ عُمَرَ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: مَا مِنَّا أَحَدٌ يُفْتَشُ إِلَّا يُفْتَشَ عَنْ جَائِفَةٍ أَوْ مُقَلَّةٍ إِلَّا عُمَرُ، وَابْنُهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَلْزَمَ لِلأَمْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ابْنِ عُمَرَ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: لَوْ شَهِدْتُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَشَهِدْتُ لِابْنِ عُمَرَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ إِلَى مَكَّةَ، فَعَرَّسْنَا، فَانْحَدَرَ عَلَيْنَا رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: أَرَاعٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِعْنِي شَاةً مِنَ الْغَنَمِ. قَالَ: إِنِّي مَمْلُوكٌ، قَالَ: قُلْ لِسَيِّدِكَ: أَكَلَهَا الذُّبُّ. قَالَ: فَأَيْنَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَيْنَ اللَّهُ! ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ اشْتَرَاهُ بَعْدُ، فَأَعْتَقَهُ!

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ، عَنْ نَافِعٍ: فَأَعْتَقَهُ، وَاشْتَرَى لَهُ الْغَنَمَ.

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: مَاتَ أَبِي بِمَكَّةَ، وَدُفِنَ بِفَخٍّ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَدْفِنَهُ خَارِجَ الْحَرَمِ، فَلَمْ نَقْدِرْ، فَدَفَنَّا بِفَخٍّ، فِي الْحَرَمِ، فِي مَقْبَرَةِ الْمُهَاجِرِينَ.

أهمية الحديث:

هذا الحديث اشتمل على أركان الإسلام الخمسة، فهو من قواعد الدين العظيمة.

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده

فإنه قد جمع أركانه. اهـ

قال النووي في شرح مسلم (١/ ١٧٩): إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي مَعْرِفَةِ

الدِّينِ وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ وَقَدْ جَمَعَ أَرْكَانَهُ. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

هذا الحديث بين أسس الإسلام وقواعده، فبين أن الإسلام كالبناء الذي يحمي صاحبه، وأن أسسه تقوم على خمسة دعائم لا بد من تحقيقها، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَاكِرٍ فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٩]

بُني: تمثيل للإسلام ببناء أقيم على خمسة أعمدة لا يستقيم إلا بها.

قال ابن رجب رحمه الله: "والمقصود تمثيل الإسلام ببنیان، ودعائم البنیان هذه الخمس، فلا يثبت البنیان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنیان، فإذا فقد منها شيء نقص البنیان، وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعاً بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين". اهـ

الإسلام: الإسلام في الكتاب والسنة له إطلاقان:

الأول: الإسلام العام: وهو دين جميع الأنبياء؛ وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا

نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ خَنِيْفًا مُسْلِمًا ﴿ [سورة آل عمران: ٦٧]. وقال سبحانه: ﴿هُوَ سَمَنَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [سورة الحج: ٧٨].

الثاني: الإسلام الخاص: وهو الذي بعث به محمد ﷺ، وهو الذي إذا أطلق لم يقصد إلا هو على وجه الخصوص.

فالمقصود في الحديث بقوله (بني الإسلام ..) يعني الإسلام الخاص الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

عَلَى خَمْسٍ: أي دعائم وصرح به عبد الرزاق في روايته وفي رواية لمسلم على خمسة أي أركان.

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: الشهادة هي الإخبار عن علم واعتقاد والمعنى أن يقر العبد عن اعتقاد جازم أن لا إله معبود بحق إلا الله سبحانه، ولا تتحقق الشهادة إلا بركنين:

الأول: نفي الألوهية والعبادة عن سائر الأنداد والآلهة والطواغيت من شجر وحجر وملك وجني وولي وغبي ذلك.

الثاني: إثبات الألوهية والعبادة الحقّة لله دون ما سواه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦]. وقال

تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ: تستلزم الإقرار بأن محمداً عبد الله وأن الله أرسله لتبليغ دينه وهداية الخلق كافة قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

ويقتضي ذلك تصديقه بما أخبر وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه.
 وإقام الصلاة: المقصود بإقامتها أداؤها تامة بشروطها وأركانها والمحافظة على أوقاتها ومراعاة سننها وآدابها.

وفرضت في السنة الثالثة قبل الهجرة حين عرج بالنبي ﷺ إلى السماء.
 وإيتاء الزكاة: المراد بإيتاء الزكاة إخراج جزء من المال على وجه مخصوص.
 وحج البيت: وهو قصد المشاعر المقدسة لإقامة المناسك، تعبدًا لله عز وجل، مرة واحدة في العمر.

وصوم رمضان: وهو: الإمساكُ بنية التعبد عن الأكل والشرب ووطء النساء، وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

١. من التزم بهذه الأركان الخمسة صار مسلماً ومن تركها جميعاً أو جحد شيئاً منها كفر.

٢. **قَالَ النَّوَوِيُّ:** حكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وإنما أضيف إليهما الصلاة ونحوها لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها وبقيامه بها يتم إسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله.

٣. هذه الأشياء الخمسة من فروض الأعيان لا تسقط بإقامة البعض عن الباقي. العيني في عمدة القاري.

٤. قدم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الشهادتين على باقي الأركان لأنها الأصل لبقية الأركان، لتوقف كل من الصلاة والزكاة وغيرهما عليهما، فقطب الأركان ومدارها على الشهادة.

٥. أن المراد من الصلاة إقامتها كما أمر الله سبحانه، لا مجرد الأداء.

٦. أن سائر خصال الإسلام الزائدة على أركانه الخمسة ودعائمه إذا زال منها شيء نقص البناء ولم ينهدم أصل البناء بذلك النقص.

ما ينبغي معرفته:

١. إن قيل الأربعة المذكورة مبنية على الشهادة إذ لا يصح شيء منها إلا بعد وجودها فكيف يضم مبنى إلى مبنى عليه في مسمى واحد أجيب بجواز ابتناء أمر

على أمر ينبنى على الأمرين أمر آخر فإن قيل المبنى لا بد أن يكون غير المبنى عليه أجيب بان المجموع غير من حيث الانفراد عين من حيث الجمع ومثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها أوسط والبقية أركان فما دام الأوسط قائما فمسمى البيت موجود ولو سقط مهما سقط من الأركان فإذا سقط الأوسط سقط مسمى البيت فالبيت بالنظر إلى مجموعه شيء واحد وبالنظر إلى افراده أشياء وأيضا فبالنظر إلى أسه وأركانه الاس أصل والاركان تبع وتكملة. الحافظ

٢. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: هما ركن واحد وذلك لأمرين: الأول: لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها، فالعبادة لا تقبل إلا بالإخلاص والمتابعة، والإخلاص تضمنته شهادة أن لا إله إلا الله والمتابعة تضمنته شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فكانت العبادات تنبنى على تحقيقهما معاً. الثاني: أن الرسول ﷺ مبلغ عن الله، فالشهادة له بالرسالة والعبودية من تمام أن لا إله إلا الله، فلا تتم الشهادة إلا بهما معاً.

٧. وقد تنازع العلماء في من ترك الصلاة بالكلية تهاونا وكسلا في قولين مشهورين والصحيح أنه يكفر بذلك لحديث جابر عن النبي ﷺ قال (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) رواه مسلم، وقال الرسول ﷺ (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) رواه أحمد بسند صحيح، وقال عمر "لا

حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة" وقال عبد الله ابن شفيق "كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة".

ذَهَبَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ، وَحَكَى إِسْحَاقُ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ! وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ: هُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَهْلِ الْحَدِيثِ. جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٧)

وأما ترك الزكاة والصوم والحج تكاسلاً ليس بكفر وإن كان جرماً عظيماً وهو مذهب عامة أهل العلم.

٣. لم يذكر النبي ﷺ الجهاد في الحديث مع أنه من أفضل شرائع الإسلام
لأمرين:

الأول: الجهاد فرض كفاية ولا يتعين إلا في حالات بخلاف سائر الأركان.

الثاني: أنه لا يكون في كل وقت، فلا يستمر فعله إلى آخر الزمان بل ينقطع حين نزول عيسى عليه السلام بخلاف سائر الأركان.

٤. إن قيل لم يذكر الإيمان بالأنبياء والملائكة وغير ذلك مما تضمنه سؤال جبريل عليه السلام أجيب بان المراد بالشهادة تصديق الرسول فيما جاء به فيستلزم جميع ما ذكر من المعتقدات.

٥. قدم في هذا الحديث الحج على صوم رمضان، وفي غيره العكس، قال الحافظ في

الفتح: وقع هنا تقديم الحج على الصوم، وعليه بنى البخاري ترتيبه، لكن وقع

في مسلم من رواية سعد بن عبيدة عن ابن عمر بتقديم الصوم على الحج، قال:

فقال رجل: والحج وصيام رمضان، فقال ابن عمر: لا؛ صيام رمضان والحج

هكذا سمعت من رسول الله ﷺ. انتهى. ففي هذا إشعار بأن رواية حنظلة

التي في البخاري مروية بالمعنى، إما لأنه لم يسمع رد ابن عمر على الرجل لتعدد

المجلس، أو حضر ذلك ثم نسيه. ويبعد ما جوزه بعضهم أن يكون ابن عمر

سمعه من النبي ﷺ على الوجهين، ونسي أحدهما عند رده على الرجل، ووجه

بُعده أن تطرق النسيان إلى الراوي عن الصحابي أولى من تطرقه إلى الصحابي،

كيف وفي رواية مسلم من طريق حنظلة بتقديم الصوم على الحج، ولأبي عوانة

من وجه آخر عن حنظلة أنه جعل صوم رمضان قبل، فتنويعه دال على أنه روي

بالمعنى، ويؤيده ما وقع عند البخاري في التفسير بتقديم الصيام على الزكاة،

أفيقال أن الصحابي سمعه على ثلاثة أوجه، هذا مستبعد. والله أعلم. اهـ

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه؛ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - : " إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ؛ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ؛ فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ - حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ - فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ - حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ - فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ؛ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

التعريف بالراوي:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ غَافِلٍ بْنِ حَبِيبٍ الْهَذَلِيُّ، الْإِمَامُ الْحَبَرِيُّ، فَقِيهُ الْأُمَّةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْهَذَلِيُّ، الْمَكِّيُّ، الْمُهَاجِرِيُّ، الْبَدْرِيُّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ. كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَمِنَ النَّجَبَاءِ الْعَالَمِينَ، شَهِدَ بَدْرًا، وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَكَانَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ عَلَى النَّفْلِ، وَمَنَاقِبُهُ غَزِيرَةٌ، رَوَى عِلْمًا كَثِيرًا. حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو مُوسَى، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، وَجَابِرٌ، وَأَنَسٌ، وَأَبُو أُمَامَةَ، فِي طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَرَوَى عَنْهُ الْقُرَاءَةُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَعُبَيْدُ بْنُ نُضَيْلَةَ، وَطَائِفَةٌ.

اتَّفَقَا لَهُ فِي (الصَّحِيحَيْنِ) عَلَى أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ.

وَانْفَرَدَ لَهُ الْبُخَارِيُّ بِإِخْرَاجِ أَحَدٍ وَعِشْرَيْنَ حَدِيثًا، وَمُسْلِمٌ بِإِخْرَاجِ خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ حَدِيثًا.

أُمُّهُ: هِيَ أُمُّ عَبْدِ بِنْتِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ سُويٍّ، مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

وَرُوي عَنْ عُلُقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

كُنَّا نِي النَّبِيِّ - ﷺ - أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَبْلَ أَنْ يُوَلَّدَ لِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَقَدْ رَأَيْتَنِي سَادِسَ سِتَّةٍ، وَمَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مُسْلِمٌ غَيْرُنَا.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَسْلَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ بَعْدَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ نَفْسًا.

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ.

كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ صَاحِبَ سِوَادِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَعْنِي سِرَّهُ - وَوَسَادِهِ - يَعْنِي فِرَاشَهُ

- وَسِوَاكِهِ، وَنَعْلَيْهِ، وَطَهُورِهِ، وَهَذَا يَكُونُ فِي السَّفَرِ.

فَقَالَ حُذَيْفَةُ: إِنَّ أَشْبَهَ النَّاسِ هَدِيًّا وَدَلًّا وَقَضَاءً وَخُطْبَةً بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ

حِينَ يُخْرَجُ مِنْ بَيْتِهِ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ، لَا أَدْرِي مَا يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ لَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ،

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُجْتَهِدُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ مِنْ أَقْرَبِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ

وَسِيلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - بِضْعًا

وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغْنِيهِ إِلَّا لَيَّيْتُهُ.

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ بِالْمَدِينَةِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ سَنَةً اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ، وَكَانَ نَحِيفًا، قَصِيرًا، شَدِيدَ الْأُذْمَةِ، وَكَذَا أَرْحَهُ فِيهَا جَمَاعَةٌ.

أهمية هذا الحديث:

هذا الحديث حديث عظيم جامع لجميع أحوال الشخص؛ إذ فيه بيان حال مبدئه وهو خلقه، وحال معاده وهو السعادة أو الشقاء، وما بينهما وهو الأجل، وما يتصرف فيه وهو الرزق.

قال ابن الملحق رحمه الله: لو أمعن الأئمة النظر في هذا الحديث كله من أوله إلى آخره، لوجدوه متضمنًا لعلوم الشريعة كلها ظاهرها وباطنها.

شرح ألفاظ الحديث:

وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: أي الصادق فيما أخبر به، الْمَصْدُوقُ فيما يأتيه من الوحي الكريم

قال الطيبي: الأولى أن تجعل هذه الجملة اعتراضية لا حالية فتعم الأحوال كلها وأن يكون من عاداته ودأبه ذلك فما أحسن موقعه هنا. اهـ

وإنما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه هذه الجملة، لأن التحدث عن هذا المقام من أمور الغيب التي تخفى، وليس في ذلك الوقت تقدم طب حتى يعرف ما يحصل.

وهناك ما هو فوق علم الطب وهو كتابة الرزق والأجل والعمل وشقي أو سعيد،
فلذلك من فقه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن أتى بهذه الجملة المؤكدة لخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: وذلك أن الإنسان إذا أتى أهله فهذا الماء المتفرق يُجمع **أَرْبَعِينَ يَوْمًا** أي قطرة من المني.

ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ويكون تكوينه شيئاً فشيئاً، فيحتمل حتى يصل إلى الغاية في الحمرة فيكون علقه، **والعلقة** هي: قطعة الدم الغليظ، وهي دودة معروفة ترى في المياه الراكدة.

ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ أي أربعين يوماً، والمضغة: هي قطعة لحم بقدر ما يعضغه الإنسان، ثم هذه المضغة تتطور شيئاً فشيئاً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: الآية ٥].

فالجميع يكون مائة وعشرين، أي أربعة أشهر.

وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: أي يؤمر الملك والأمر له هو الله عز وجل.

يَكْتُبُ رِزْقِهِ: الرزق هنا: ما ينتفع به الإنسان وهو نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به الدين.

والرزق الذي يقوم به البدن: هو الأكل والشرب واللباس والمسكن والمركوب وما أشبه ذلك.

والرزق الذي يقوم به الدين: هو العلم والإيمان، وكلاهما مراد بهذا الحديث.

وَأَجَلُهُ: أي مدة بقائه في هذه الدنيا، والناس يختلفون في الأجل اختلافاً متبايناً، فمن الناس من يموت حين الولادة، ومنهم من يعمر إلى مائة سنة من هذه الأمة. واختيار طول الأجل أو قصر الأجل ليس إلى البشر، وليس لصحة البدن وقوامه، إذ قد يحصل الموت بحادث والإنسان أقوى ما يكون وأعز ما يكون، لكن الآجال تقديرها إلى الله عز وجل، وإنما يجعل الله لبعضها أسباباً، وبعضهم يموت من غير سبب، والله الحكم البالغة.

وَعَمَلُهُ: أي ما يكتسبه من الأعمال القولية والفعلية والقلبية، فمكتوب على الإنسان ذلك العمل.

وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ: هذه النهاية، والسعيد هو الذي تم له الفرح والسرور، والشقي بالعكس من ذلك.

فوائد الحديث:

١. بيان مراحل خلق الإنسان.
٢. فيه عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.
٣. فيه علم من أعلام نبوة النبي ﷺ.
٤. فيه عظم إيمان الصحابة رضي الله عنهم إذ لم يسألوا النبي ﷺ كيف هذا، وإنما آمنوا وصدقوا، مما يدل على أن إيمانهم راسخ كرسوخ الجبال.
٥. أن هناك من الملائكة من هو مختص بالأجنة.

٦. أن نزول الملك إنما هو بأمر الله سبحانه، ففي رواية البخاري « ويبعث إليه الملك ».

٧. أن الإنسان يتقلب في مئة وعشرين يوماً، في ثلاثة أطوار، في كل أربعين منها يكون في طور، فيكون في الأربعين الأولى نطفة، ثم في الأربعين الثانية علقة، ثم في الأربعين الثالثة مضغة.

٨. أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، وهذا باتفاق العلماء. النووي

٩. الحديث أصل في إثبات القدر.

قال النووي في شرح مسلم: وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الوقائع بقضاء الله تعالى وقدره؛ خيرها وشرها، نفعها وضرها. ١. هـ.

١٠. في الحديث دلالة على أن السنة من الوحي؛ لأن مراحل تكوين الجنين في بطن أمه من الغيب، ولا سيما في ذاك الزمان، فلا بد أن الرسول ﷺ علم ذلك وحياً من الله تعالى، وهو دليل على صدقه ونبوته.

١١. كتاب الله تعالى ولوحه وقلمه: كل ذلك مما يجب الإيمان به وأما كيفية ذلك وصفته فعلمه إلى الله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [سورة البقرة:

٢٥٥]. والله أعلم. ابن الملقن.

١٢. وجوب الرضا برزق الله للعبد ولا يطلب الرزق إلا بالحلال:

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وصح عنه

ﷺ من حديث أبي الدرداء أنه قال: "إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله"،

وقال ﷺ: "إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم...".

وقوله ﷺ: "يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاقٍ؛ الترمذي.

١٣. أن العبرة بالخواتيم: فالمرء ينتهي إلى ما قدر له من السعادة أو الشقاوة،

فيموت على ذلك، والعبرة بما مات عليه، وما قبل ذلك ليس هو المعبر، فقد تكون

الحال حسنة ثم تتغير إلى حال سيئة، فيختم له بالسوء، أو قد تكون الحال سيئة ثم

يتحول إلى حال حسنة وينتهي أمره على أمر حسن، فالعبرة بالخواتيم

١٤. أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما، وأن ذلك مُقدَّرٌ بحسب الأعمال،

وأن كلاً ميسر لما خُلق له من الأعمال التي هي سببٌ للسعادة أو الشقاوة.

قال ابن دقيق العيد: الأعمال بالسوابق، لكن لما كانت السابقة مستورة عنا

والخاتمة ظاهرة، جاء في الحديث: "إنما الأعمال بالخواتيم"، ١. هـ شرح الأربعين

ما ينبغي معرفته:

١. أنه لا يترك العمل اتكالا على ما سبق من القدر؛ فقد ثبتت الأحاديث بالنهاي

عن ترك العمل اتكالا على ما سبق من القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد

بها الشرع، وكل ميسر لما خُلق له.

٢. قال الخطابي: "قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمون، وإنما معنى القدر الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتسابات العبد. اهـ. (١)

٣. أن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره، وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب، ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجترئ على العظام، فيهجم عليه الموت بغتة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة؛ نسأل الله السلامة؛ اهـ قاله الحافظ في الفتح (١١ / ٤٩٠).

٤. أن قوله ﷺ: (فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ظاهره فيه إشكال ويفسره حديث سهل بن سعد في الصحيحين برواية (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) فهذه الرواية تدل على أن ظاهر عمل الرجل يكون صالحاً وأن باطنه يكون بخلاف ذلك وأن الخاتمة السيئة تكون بسبب

(١) القدر نوعان:

(أ) قدر حتمي ليس للعبد فيه كسب واختيار، وهو ما يتعلق بالأرزاق والآجال، والصحة والمرض، ونحوها، فإنها كلها حتمية لا حيلة فيها للإنسان ولا اختيار له فيها، ولا يقع تحت مسؤوليته.

(ب) قدر للإنسان فيه كسب واختيار: وهو ما يتعلق بالأعمال من طاعة ومعصية، وكفر وإيمان، فهذه الأعمال التي قدرها الله على الإنسان، وعلم بوقوعها منه ليست حتمية عليه، ولا هو مجبور عليها، وإنما يفعلها بمحض إرادته واختياره، ولذلك كان مسؤولاً عنها، مثاباً على الخير، معاقباً على الشر.

دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس من شك أو نفاق أو رياء ونحوه من أمراض القلب فتغلب عليه تلك الخصلة السيئة عند موته وتوجب له سوء الخاتمة والعياذ بالله.

٥. أن المؤمن لا يخلد في النار إن دخلها:

قال الحافظ: "ولا يلزم من إطلاق دخول النار أنه يخلد فيها أبدًا، بل مجرد

الدخول صادق على الطائفتين". الفتح، (١١/ ٤٩٠).

الحديث الخامس

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.
وفي رواية لمسلم "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

التعريف بالراوي:

عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ أَبِي بَكْرٍ التَّيْمِيُّ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، بِنْتُ الْإِمَامِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ، خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُمَانُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ بِنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ الْقُرَشِيُّ، التَّيْمِيُّ، الْمَكِّيُّ، النَّبَوِيُّ، أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفَقَهُ نِسَاءُ الْأُمَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَأُمُّهَا: هِيَ أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرٍ بْنِ عُيُومِرٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ أُذَيْنَةَ الْكِنَانِيَّةِ.
هَاجَرَ بِعَائِشَةَ أَبَوَاهَا، وَتَزَوَّجَهَا نَبِيُّ اللَّهِ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الصِّدِّيقَةِ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِبَضْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بِعَامَيْنِ.

وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ، مُنْصَرَفَهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَهِيَ ابْنُهُ تِسْعٍ، فَرَوَتْ عَنْهُ: عِلْمًا كَثِيرًا، طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيهِ.

فقد روت عن النبي ﷺ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على: مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين.

وعائشة ممن ولد في الإسلام، وهي أصغر من فاطمة بثمانين سنين، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين.

وذكرت أنها لحقت بمكة سائس الفيل شيخاً أعمى يستعطي.

وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي ﷺ - بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد ﷺ - بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها.

عن عائشة، أنها قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله ﷺ - أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا، وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قبض ورأسه في حجري، ولقد قبرته في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببيتني، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً. رواه: أبو بكر الأجري، عن أحمد بن يحيى الحلواني، عنه. وإسناده جيد.

وَكَانَ تَزْوِجُهُ ﷺ بِهَا إِثْرَ وِفَاةِ حَدِيْجَةَ، فَتَزَوَّجَ بِهَا وَبِسُودَةَ فِي وَفْتٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ دَخَلَ
بِسُودَةَ، فَتَفَرَّدَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَعوَامٍ حَتَّى بَنَى بَعَائِشَةَ فِي شَوَّالٍ، بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَمَا تَزَوَّجَ
بِكُرًّا سِوَاهَا، وَأَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا كَانَ يَتَظَاهَرُ بِهِ، بِحَيْثُ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ - وَهُوَ
مِمَّنْ أَسْلَمَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ - سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ: (عَائِشَةُ). قَالَ: فَمِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: (أَبُوهَا).

وَهَذَا خَبَرٌ ثَابِتٌ عَلَى رَغْمِ أَنْوَافِ الرِّوَاغِضِ، وَمَا كَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيُحِبَّ إِلَّا طَيِّبًا.
فَأَحَبُّ أَفْضَلَ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ، وَأَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَمَنْ أَبْغَضَ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ
- ﷺ - فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ بَغِيضًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَحُبُّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِعَائِشَةَ كَانَ أَمْرًا مُسْتَفِيضًا، أَلَا تَرَى الصَّحَابَةَ كَيْفَ كَانُوا
يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَهَا، تَقَرُّبًا إِلَى مَرْضَاتِهِ؟

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ: (كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ
عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ
الطَّعَامِ).

تُوُفِّيَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَعُمْرُهَا ثَلَاثِينَ عَشَرَ عَامًا، وَمَاتَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ
لِلْهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ.

أهمية الحديث:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هَذَا الْحَدِيثُ مَعْدُودٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، وقاعدةٌ من قواعد الدين. اهـ

قال ابن الملقن: من أعظم قواعد الدين وأعمها نفعاً وينبغي حفظه وإشاعته واستعماله في إبطال المنكرات. وكذا قال النووي.

وقال ابن رجب رحمه الله: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، كَمَا أَنَّ حَدِيثَ "الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ فِي بَاطِنِهَا، وَهُوَ مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ فِي ظَاهِرِهَا. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

مَنْ أَحَدَّثَ: أي: مَنْ ابْتَدَعَ وَاسْتَحْدَثَ شَيْئاً لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ، لَا فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وفي حديث العرباض: "كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ".

ويكون الإحداث:

- في الأقوال؛ كالتلفظ بالنية.

- ويكون في الأفعال؛ كاحتفالات الموالد، والذهاب لما يُسمى المزارات، والدعاء بعد الصلوات بطريقة جماعية، وهكذا.

والبِدْعَةُ: هِيَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمَا لَمْ يُشَرِّعْهُ اللَّهُ، وَبِمَا لَيْسَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى: ٢١]

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْتَدِينَ الرَّاشِدِينَ" الْحَدِيثَ.

فِي أَمْرِنَا: أَيُّ: دِينِنَا الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ مَا أَمَرَنَا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ أَكْمَلَ اللَّهُ الدِّينَ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣] الْآيَةَ.

وَمَا تَرَكَ ﷺ خَيْرًا إِلَّا دَلَّ عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا حَذَرَ مِنْهُ؛ فَقَدْ تَرَكْنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا.

فَهُوَ رَدٌّ: أَيُّ: مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ إِثْمُهُ وَإِثْمُ مَنْ تَبِعَهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَكَانَ لَهُ فِي الدِّينِ، وَلَوْ كَانَ فِي وُجُودِهِ خَيْرٌ لَشَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَجَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

وَفِي رَوَايَةٍ مُسْلِمٍ "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا" تُفِيدُ: أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ مِنَ الشَّرْعِ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ كَاتِنًا مِنْ كَانَ، فَلَا بُدَّ مِنْ اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي الْعَمَلِ.

فوائد الحديث:

١. الحديث أصلٌ في الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع.

٢. رد كل محدثة في الدين لا توافق الشرع، وفي الرواية الثانية التصريح بترك كل محدثة سواء أحدثها فاعلها أو سبق إليها، فإنه قد يحتج بعض المعاندين إذا فعل البدعة يقول: ما أحدثت شيئاً، فيحتج عليه بالرواية الثانية "مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ".

٣. في الحديث تحذير من أهل البدع والضلالات.

٤. كل مَنْ أحدث شيئاً، ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه: فهو ضلالة، والدين منه بريء. "جامع العلوم والحكم" (٢ / ١٢٨).

٥. يفهم من الحديث أن أركان البدعة ثلاثة:

أ. الإحداث. (مَنْ أحدث)

ب. أن يضاف هذا الإحداث إلى الدين. (في أمرنا)

ج. ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي يدل عليه. (ما ليس منه)، (ليس

عليه أمرنا)

٦. فيه دلالة على أن منشأ جميع البدع هو الجهل بالأدلة.

٧. فيه دعوة إلى معرفة السنن والتمسك بها، ومعرفة البدع والبعد عنها.

٨. فيه دعوة إلى طلب العلم الشرعي؛ إذ لا سبيل إلى معرفة البدع إلا بالعلم.

٩. أن الدين كامل ولا يحتاج إلى تكميل.

١٠. أن مَنْ عمل عملاً ليس عليه دليل فهو باطل، وإن كان صاحبه مخلصاً فيه.

١١. أن في تحذير النبي ﷺ من البدع إخبارًا منه بأن هناك من سيحدث في هذا الدين، فهو علمٌ من أعلام نبوته، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». رواه أحمد وغيره عن العرياض رضي الله عنه.

ما ينبغي معرفته:

١. معرفة البدعة من السنة والمشروع من أهم الأمور وأصعبها، وهي موقوفة على أمرين:

الأول: معرفة الكتاب والسنة والإجماع، وما أخذ من ذلك بوجه معتبر.

الثاني: على معرفة أقوال الراسخين في العلم، وكم من بدع بالجهل تجعل سنناً، وكم من سنن به تعتقد بدعاً.

وهي أقبح المعاصي؛ لما فيها من الإدخال في الدين الذي لا يجوز إدخال غيره فيه، وإيهام أنه ناقص يحتاج إلى الزيادة - وقد أكمله الله تعالى - واعتقاد الباطل حقاً. وقد ظهرت في زماننا البدع والفتن، وماتت السنن، فقلما ترى أحداً خالياً عن دنسها والله الحافظ. قاله السندي

٢. الفرق ما بين البدعة ومخالفة السنة.

من أخطأ في عمل من الأعمال في العبادات وخالف السنة فيه فإنه إن كان يتقرب به إلى الله فنقول له هذا الفعل منك مخالف للسنة، فإن التزمه بعد البيان أو كان ملتزماً

له، دائماً يفعل هذا الشيء فهذا يدخل في حيز البدع، وهذا ضابط مهم في الفرق ما بين البدعة ومخالفة السنة. قاله الشيخ صالح آل الشيخ.

٣. الفرق بين البدعة وبين المصلحة المرسلّة: (١).

١- البدعة في الدين متجهة إلى الغاية وأما المصلحة المرسلّة فهي متجهة إلى وسائل تحقيق الغايات.

٢- أن البدعة قام المقتضي لفعلها في زمن المصطفى ﷺ ولم تُفعل، والمصلحة المرسلّة لم يتم مقتضاها.

٣- أنها إحداث ليس في الدين وإنما هو في الدنيا لمصلحة شرعية تعلق بهذا العمل، لم يتم المقتضي لفعلها في زمن النبي ﷺ.

فإذا: إذا نظرنا مثلاً إلى جمع القرآن: جمع القرآن، جُمع بعد النبي -عليه الصلاة والسلام-، وفي عهده عليه الصلاة والسلام لم يجمع فهل نقول جمع القرآن بدعة؟ العلماء أجمعوا من الصحابة فمن بعدهم أن جمع القرآن من الواجبات العظيمة التي يجب أن تقوم بها الأمة، هنا في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- ما قام المقتضي للفعل؛ لأنّ الوحي يتنزل فلو نسخ القرآن كاملاً لكان هناك إدخال للآيات في الهوامش أو بين السطور، وهذا عرضة لأشياء غير محمودّة.

(١) معنى المصالح المرسلّة أن هذا العمل أرسل الشارع حكمه باعتبار المصلحة، فإذا رأى أهل العلم أن فيه مصلحة فإن لهم أن يأذنوا به لأجل أن الشارع ما علّق به حكماً.

فكان من حكمة الله - جل وعلا - أنه ما أمر نبيه بجمع القرآن في كتابٍ واحد في حياته - عليه الصلاة والسلام - وإنما لما انتهى الوحي بوفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام جمعه أبو بكر ثم جُمع بعد ذلك، وفي أشياء شتى من إنشاء دواوين الجند ومن استخدام الآلات، ومن تأليف العلوم ومن الاهتمام بعلوم مختلفة، وأشباه ذلك من فتح الطرقات وتكوين البلديات والوزارات وأشباه هذا في عهد عمر - رضي الله عنه - وفي عهد أمراء المؤمنين فيما بعد ذلك.

إذاً فالخاصل من هذا أن المصلحة المرسله محدثة ولكن لا ينطبق عليها هذا الحديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" لأن هذه ليست في الأمر وإنما هي في وسيلة تحقيق الأمر فخرجت عن شمول هذا الحديث لها من هذه الجهة، ومن جهة ثانية أنها إحداث ليس في الدين وإنما هو في الدنيا لمصلحة شرعية تعلق بهذا العمل، سمّاها العلماء مصالح مرسله وجُعِلت مطلوبة من باب تحقيق الوسائل؛ لأنّ الوسائل لها أحكام الغايات، فهي واجبة ولا بد من عملها؛ لأنّ لها حكم الغاية. قاله الشيخ صالح آل الشيخ.

٤. ضوابط الأخذ بالمصلحة المرسله عند القائلين بها

الأول: ألا تكون المصلحة مصادمة لنص أو إجماع.

الثاني: أن تعود على مقاصد الشريعة بالحفظ والصيانة.

٥. أَنَّ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ التَّزَيُّتُ وَعَدَمُ التَّسْرُعِ بِالْحُكْمِ عَلَى الْعَمَلِ بِالرَّدِّ وَعَدَمُ الْقَبُولِ اسْتِدْلَالًا بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَأَنْ يَطَّلَعَ عَلَى أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَيَعِيَ الضُّوَابِطَ وَالْأَصُولَ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا يَحْكُمُ عَلَى الْعَمَلِ بِالرَّدِّ وَعَدَمِ الْقَبُولِ.

٦. أَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ لَا يُؤَفَّقُ لِلتَّوْبَةِ غَالِبًا؛ لِأَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ الشَّيْءَ حَقًّا لَا يَتُوبُ عَنْهُ؛ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَذَا السِّرُّ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنْ اللَّهُ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ.

٧. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٢٠ / ١٠٣): إِنْ أَهْلَ الْبِدْعِ شَرُّ مَنْ أَهْلُ الْمَعَاصِي الشَّهْوَانِيَّةِ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ. اهـ
ثم ذكر استدلالاً طيبة راجعها إن علت همته.

الحديث السادس

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنُ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنُ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

التعريف بالراوي:

النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ، الْأَمِيرُ، الْعَالِمُ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ صَاحِبِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ - الْأَنْصَارِيُّ، الْخَزْرَجِيُّ، ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ. له مائة وأربعة عشر حديثاً، اتَّفَقَا لَهُ عَلَى خَمْسَةٍ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيثٍ، وَمُسْلِمٌ بِأَرْبَعَةٍ.

شَهِدَ أَبُوهُ بَدْرًا، وَوُلِدَ النُّعْمَانُ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ؛ وَسَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعُدَّ مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّبْيَانِ بِاتِّفَاقٍ. وَكَانَ مِنْ أَمْرَاءِ مُعَاوِيَةَ؛ فَوَلَّاهُ الْكُوفَةَ مُدَّةً، ثُمَّ وَلِيَ قَضَاءَ دِمَشْقَ بَعْدَ فَضَالَةَ، ثُمَّ وَلِيَ إِمْرَةَ حِمَصَ.

قَالَ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ: كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ - وَاللَّهِ - مِنْ أَخْطَبِ مَنْ سَمِعْتُ.
 قِيلَ: إِنَّ النُّعْمَانَ لَمَّا دَعَا أَهْلَ حِمَصَ إِلَى بَيْعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، ذَبَحُوهُ.
 وَقِيلَ: قُتِلَ بِقَرْيَةِ بَيْرِينَ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ خَلِيٍّ بَعْدَ وَقْعَةِ مَرْجِ رَاهِطٍ.
 فَإِنَّهُ بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ بَايَعَ النُّعْمَانَ ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَتَنَكَّرَ لَهُ أَهْلُ حِمَصَ، فَخَرَجَ، فَتَبِعَهُ
 خَالِدُ بْنُ خَلِيٍّ الْكَلَاعِيُّ فَقَتَلَهُ سَنَةَ (٦٥هـ) وَلَهُ (٦٤) سَنَةً (رَوَاهُ اللَّهُ).

أهمية الحديث:

قال ابن دقيق العيد: أجمع العلماء على عظيم موقعه وكثير فوائده.
 قال الإمام الشوكاني: "واعلم أن العلماء قد عظموا أمر هذا الحديث، فعدوه
 رابع أربعة تدور عليها الأحكام"
 قال أبو داود: نظرت في الحديث المُسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت،
 فإذا مدار الأربعة آلاف حديث على أربعة أحاديث: حديث النعمان بن بشير:
 "الحلال بين والحرام بين"، وحديث عمر: "إنما الأعمال بالنيات"، وحديث أبي
 هريرة: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً"، وحديث: "من حسن إسلام المرء تركه
 ما لا يعنيه".

وقال الحافظ أبو الحسن طاهر المعافري الأندلسي:

عُمدة الدِّين عندنا كلماتٌ	أربعٌ من كلام خير البرية
أتق السُّبُهات وازهد ودع ما	ليس يعينك واعملنّ بنيه

شرح الفاظ الحديث:

"إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ: أي واضح لا يحتاج إلى بيانه، ويشترك في معرفته كل أحد.

والمعنى أَنَّهُ ظاهر بالنظر إلى ما دل عليه بلا شبهة.

وإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ: أي ظاهر بالنظر إلى ما دل عليه بلا شبهة.

والمراد أن الحلال والحرام بينان واضحان في عينهما ووصفهما بأدلتها الظاهرة، وأن كل واحد منهما مبين بأدلتها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ تأصيلاً وتفصيلاً. فمن وقف على ما في كتاب الله والسنة من ذلك وجد فيها أموراً جلية التحليل وأموراً جلية التحريم.

وبينهما أمورٌ مشتبّهات: المشتبهات هي كل ما تنازعته الأدلة من الكتاب والسنة وتجاذبته المعاني فوجه منه يعضده دليل الحرام ووجه منه يعضده دليل الحلال، فهذا الذي قال فيه عليه السلام: «وبينهما أمور مشتبّهة». ابن بطال

لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس: أي: لا يعلم حكمهن من التحليل والتحريم، وإلا فالذي يعلم الشبهة يعلمها من حيث أنها مشكلة، لتردها بين أمور محتملة، فإذا علم بأي أصل تلحق زال كونها شبهة، وكانت إما من الحلال، أو من الحرام.

فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ: أي: من ترك ما يشبهه عليه سلم دينه مما يفسده، أو ينقصه. وعرضه مما يشينه، ويعيبه، فيسلم من عقاب الله وذمّه. ويدخل في زمرة المتقين الفائزين بثناء الله تعالى وثوابه.

وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ: أي إذا تساهل في الوقوع في المشتبهات قد يجزئه ذلك إلى الوقوع في المحرّمات الواضحات.

قال النووي: "قوله ﷺ: "فَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ" يحتمل أمرين: أحدهما: أن يقع في الحرام وهو يظنُّ أنه ليس بحرام.

والثاني: أن يكون المعنى قد قارب أن يقع في الحرام، وكما قال: المعاصي يريد الكفر؛ لأنَّ النفس إذا وقعت في المخالفة تدرّجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها، قيل: وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٢]، يريد أنهم تدرّجوا بالمعاصي إلى قتل الأنبياء، وفي الحديث: "لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده"، أي: يتدرّج من البيضة والحبل إلى السرقة". اهـ

وقال القرطبي في المفهم في قوله ﷺ: وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ: وذلك يكون بوجهين:

أحدهما: أن من لم يتق الله تعالى، وتجراً على الشبهات، أفضت به إلى المحرمات بطريق اعتياد الجرأة، والتساهل في أمرها، فيحمله ذلك على الجرأة على الحرام المحض؛ ولهذا قال بعض المتقين: الصغيرة تجر إلى الكبيرة. والكبيرة تجر إلى الكفر. وثانيهما: أن من أكثر من مواقعة الشبهات أظلم عليه قلبه، لفقدان نور العلم، ونور الورع، فيقع في الحرام، ولا يشعر به. وإلى هذا النور الإشارة بقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]. وإلى ذلك

الإِظْلَام الإشارة بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]

كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ: مثلُ ضربه النَّبِيُّ ﷺ لمن

يتجنب الشبهات ومن يقع فيها، فإنه إذا كان بعيداً من الحمى سلم من وقوع ما شئته في الحمى، وإذا كان قريباً منه أوشك أن تقع ما شئته فيه وهو لا يشعر.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى: المراد بالحمى ما يحميه الملوك وغيرهم من الأراضي

المخصبة، ويمنعون غيرهم من قربها، فالذي يرعى حولها يوشك أن يقع فيها، فيعرض نفسه للعقوبة.

أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ: أي أَنَّ حِمَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ المحارم التي حرَّمها، فيجب

على المرء الابتعاد عنها، وعليه أن يتبعد عن المشتبهات التي قد تؤدِّي إليها.

أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: المضغة: القطعة من اللحم. وهي قدر ما يمضغه

الماضغ؛ يعني بذلك: صغير جرمها، وعظيم قدرها.

إذا صلحت: انشُرحت بالهداية.

صلح الجسد كُلُّهُ: أي استعملت الجوارح في الطاعة لأنها متبوعة له.

وإذا فسدت: أظلمت بالضلالة.

فسد الجسد كُلُّهُ: باستعماله في المنكرات.

فعلى هذه المضغة مدار عمل الجوارح؛ صلاحاً وفساداً.

ألا وهي القلب: هذا اللفظ في الأصل مصدر: قلبت الشيء، أقلبه، قلبًا: إذا رددته على بدأته. وقلبت الإناء: إذا رددته على وجهه. وقلبت الرجل عن رأيه: إذا صرفته عنه، وعن طريقه، كذلك. ثم نقل هذا اللفظ، فسُمِّي به هذا العضو الذي هو أشرف أعضاء الحيوان، لسرعة الخواطر فيه، ولترددها عليه. وقد نظم بعض الفضلاء هذا المعنى فقال:

ما سُمِّي القلب إلا من تقلبه فاحذر على القلب من قلبٍ
ولهذا قال بعض السلف: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في القوب، وصدقته الأعمال.

فوائد الحديث:

١. بيان تقسيم الأشياء في الشريعة إلى حلال بيّن، وحرام بيّن، ومشتبه متردّد بينهما.
٢. حكمة الله عز وجل في ذكر المشتبهات؛ حتى يتبين من كان حريصًا على طلب العلم ومن ليس بحريص.
٣. أنّ أكل الحلال ينور القلب ويصلحه، وأكل الحرام والشبهة يفسده، ويقسيه، ويظلمه.
٤. ترك إتيان المشتبه حتى يُعلم حلّه.
٥. أنّ الإنسان إذا وقع في الأمور المشتبهة هان عليه أن يقع في الأمور الواضحة.
٦. أنّ فساد الظاهر دليلٌ على فساد الباطن.

٧. وفيه بيان عظم شأن القلب في الجسد، وأنه ملك الأعضاء، وأنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

٨. أن في اتقاء الشبهات محافظة الإنسان على دينه من النقص، وعرضه من العيب والثلب.

٩. فيه دليل أن من لم يتق الشبهات المختلف فيها وانتهك حرمتها فقد أوجد السبيل إلى عرضه ودينه، وأنه يمكن أن يُنال من عرضه بذلك.

١٠. فيه دليل: على أن الشبهة لها حكم خاص بها، عليه دليل شرعي، يمكن أن يصل إليه بعض الناس، فمن ظفر به فهو المصيب.

١١. أن قوله عليه السلام "من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه" أصل في الورع.

١٢. أن في مواقعة المشتبهات استهانة بحمي الملك، وكفى به جرماً.

١٣. أن الراسخين في العلم يمكن أن يعلموا بعض هذه الشبهات لقوله: "لا

يعلمها كثير من الناس" فدل أنه يعلمها قليل منهم، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ

يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨٣]

١٤. أن العقل والفهم إنما هو في القلب وهو موطن الرشد، وما في الرأس منه إنما هو عن القلب ومنه سببه.

١٥. صرف المهمة إلى الاعتناء بأحوال القلب وصفاته؛ بتحقيق علومه، وتصحيح مقاصده وعزومه، وتطهيره عن مذموم الصفات، واتصافه بمحمودها.
١٦. أن الاعتناء بإصلاح القلب وبصفاته مقدم على الأعمال بالجوارح؛ لتخصيص القلب بالذكر مقدماً على الأعمال، وإنما كان ذلك لأن أعمال القلوب هي المصححة للأعمال.
١٧. ضرب الأمثال لتقريب الفهم للطلاب.

ما ينبغي معرفته:

١. أسباب الاشتباه بأربعة:

الأول: قلة العلم: فقلة العلم توجب الاشتباه؛ لأن واسع العلم يعرف أشياء لا يعرفها الآخرون.

الثاني: قلة الفهم: أي ضعف الفهم، وذلك بأن يكون صاحب علم واسع كثير، ولكنه لا يفهم، فهذا تشبه عليه الأمور.

الثالث: التقصير في التدبر: بأن لا يتعب نفسه في التدبر والبحث ومعرفة المعاني بحجة عدم لزوم ذلك.

الرابع: سوء القصد: وهو أعظمها؛ بأن لا يقصد الإنسان إلا نصر قوله فقط بقطع النظر عن كونه صواباً أو خطأً، فمن هذه نيته فإنه يُجرم الوصول إلى العلم، نسأل الله العافية؛ لأنه يقصد من العلم اتباع الهوى.

٢. أن هذا الاشتباه لا يكون على جميع الناس بل على بعضهم بدليلين:

أحدهما: قوله ﷺ: "لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ" وهم عامة الناس، فيفهم منه: أن كثيرا أيضا يعلم حكمها بدليله، وهم العلماء وفحول طلبة العلم.

والثاني: من المعنى، فلو كانت النصوص مشتبهة على جميع الناس، لم يكن القرآن بيانا ولبقي شيء من الشريعة مجهولا، وهذا متعذر وممتنع.

٣. قسّم النبي ﷺ الأشياء إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الحلالُ البين، كالحبوب والثمار وبهيمة الأنعام، إذا لم تصل إلى الإنسان بطريق الحرام.

الثاني: الحرامُ البين، كشرب الخمر وأكل الميتة ونكاح ذوات المحارم، وهذان يعلمهما الخاص والعام.

الثالث: المشتبهات المترددة بين الحل والحرم، فليست من الحلال البين ولا من الحرام البين، وهذه لا يعلمها كثير من الناس، ويعلمها بعضهم.

فأما الراسخون في العلم، فلا يشتبه عليهم ذلك، ويعلمون من أي القسمين هي.

الحديث السابع

عن أبي رُقَيْة تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ"؛ رواه مسلم.

التعريف بالراوي:

تَمِيمُ الدَّارِيُّ أَبُو رُقَيْةَ بْنِ أَوْسٍ بْنِ خَارِجَةَ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَبُو رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سَوْدِ بْنِ جَذِيمَةَ اللَّخْمِيِّ، الْفِلَسْطِينِيُّ. وَالْدَّارُ: بَطْنٌ مِنْ لَحْمٍ، وَلَحْمٌ: فَخِذٌ مِنْ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ. وَفَدَّ تَمِيمُ الدَّارِيُّ سَنَةَ تِسْعٍ، فَأَسْلَمَ، فَحَدَّثَ عَنْهُ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى الْمِنْبَرِ بِقِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ فِي أَمْرِ الدَّجَالِ. وَلَتَمِيمٍ عِدَّةُ أَحَادِيثَ، وَكَانَ عَابِدًا، تَلَاءً لِكِتَابِ اللَّهِ. حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ مُوَهَّبٍ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَثِيرُ بْنُ مُرَّةَ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، وَزُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى، وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، وَآخَرُونَ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: لَمْ يَزَلْ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى تَحَوَّلَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ إِلَى الشَّامِ. عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ: أَبِي، وَعُثْمَانُ، وَزَيْدٌ، وَتَمِيمُ الدَّارِيُّ. وَرَوَى: أَبُو قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي الْمُهَلَّبِ: كَانَ تَمِيمٌ يَخْتُمُ الْقُرْآنَ فِي سَبْعٍ.

وَرَوَى: عَاصِمُ الْأَحْوَلُ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ: أَنَّ تَمِيمَ الدَّارِيَّ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي رَكْعَةٍ.

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَخِيكَ تَمِيمِ الدَّارِيَّ، صَلَّى لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، أَوْ كَادَ، يَقْرَأُ آيَةً يُرَدِّدُهَا، وَيَبْكِي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا

السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة الجاثية: ٢١]

عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ: أَنَّ تَمِيمَ الدَّارِيَّ نَامَ لَيْلَةً لَمْ يَقُمْ يَتَهَجَّدُ، فَقَامَ سَنَةً لَمْ يَنَمْ فِيهَا عُقُوبَةً لِلَّذِي صَنَعَ.

وَحَدِيثُهُ يَبْلُغُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ حَدِيثًا، مِنْهَا فِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ): حَدِيثٌ وَاحِدٌ.

سكن بيت المقدس ومات سنة (٤٠ هـ)، ودُفِنَ ببيت جبريل (قرية من قرى الخليل).

أهمية الحديث:

هذا الحديث له شأنٌ عظيمٌ؛ لَأَنَّهُ يُنصُّ عَلَى أَنَّ عِمَادَ الدِّينِ وَقِوَامَهُ النَّصِيحَةُ، فَبُجُودُهَا يَبْقَى الدِّينُ قَائِمًا فِي الْمُسْلِمِينَ، وَبِعَدَمِهَا يَدْخُلُ النِّقْصُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ شُؤْنِ حَيَاتِهِمْ.

قال الحافظ أبو نعيم: هذا حديث له شأنٌ، ذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: بَلْ هُوَ وَحْدَهُ مُحْصَلٌ لِعَرَضِ الدِّينِ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ مُنَحْصَرٌ فِي الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرَهَا.

وقال: " هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمُ الشَّانِ وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْإِسْلَامِ " شرح صحيح مسلم.

شرح الفاظ الحديث:

الدِّينُ: هُوَ مَا يَدِينُ بِهِ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْقِيَامِ بِأَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَبِهِ يَعُودُ إِلَى فِطْرَتِهِ وَتَظْهَرُ إِنْسَانِيَّتُهُ.

النَّصِيحَةُ: كَلِمَةٌ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ.

وَأَصْلُ النَّصْحِ: الْخُلُوصُ، وَمِنْهُ: نَصَحْتُ الْعَسَلَ، أَي: صَفَيْتُهُ مِنَ الشَّمْعِ وَخَلَصْتُهُ مِنْهُ.

وَقِيلَ: مَنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ، فَهُوَ إِصْلَاحٌ لِلْأَخْطَاءِ وَسِتْرٌ لِلْعُيُوبِ.

- وَتَكُونُ **بِالْقَوْلِ**: كَالدَّعْوَةِ.

- وَتَكُونُ **بِالْفِعْلِ**: الدَّفْعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

- وَتَكُونُ **بِالْمَالِ**: وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قلنا لمن يا رسول الله: أَي سَأَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِمَنْ تَكُونُ

النَّصِيحَةُ وَلِمَنْ تُوجَّهُ؟

قَالَ: لِلَّهِ: النَّصْحُ لِلَّهِ تَعَالَى يَكُونُ: بِتَوْحِيدِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ،

وَالِإِخْلَاصِ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَنَيْلِ مَحَبَّتِهِ، وَالْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَالِاسْتِسْلَامِ وَالِإِذْعَانِ لَهُ.

ولكتابيه: وذلك بالتصديق به، وشدة حُبِّ، وتَعْظِيمِ قَدْرِهِ، والائْتِمَارِ بِأَمْرِهِ، وترك نهيه، وتصديق خبره، والعمل به وتلاوته، ومعرفة معانيه، والدعوة إليه، وعدم تحريفه، ونشره بين العباد، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، والاستشفاء به.

ولرسوله: في حياته: ببذل المجهود في طاعته ونصرتيه ومعاونته، وبذل المال له ومحبته، وبعد وفاته: بالتصديق برسالاته وطاعته، والتمسك بسنته، والتخلق بأخلاقه، والسير على نهجه، والاقتداء به.

ولأئمة المسلمين: أي: الولاة والحكام، وذلك بإعانتهم على الحق، وطاعتهم في غير معصية الله تعالى، وعدم الخروج عليهم -إلا أن يرى كفراً بواحاً فيه برهان- وحُبِّ صلاحهم، وحُبِّ اجتماع الأمة عليهم، وتذكيرهم بالحق ودعوتهم إليه والدعاء لهم بالصلاح والرشد.

وعامتهم: أي: عموم الناس، وذلك بإرشادهم إلى صلاح دنياهم وأخراهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ويحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويؤدِّي حقوقهم.

فوائد الحديث:

١. أن النصيحة دين وإسلام، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

٢. قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاح: النَّصِيحَةُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَتَضَمَّنُ قِيَامَ النَّاصِحِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ بِوُجُوهِ الْخَيْرِ إِرَادَةً وَفِعْلًا. ^(١)

وحقيقة النصيحة شرعاً: قيام العبد بما لغيره من الحق.

٣. أَنَّ النَّصِيحَةَ بِاعْتِبَارِ مَنْفَعَتِهَا نَوْعَانِ:

أحدهما: ما منفعته مقصودة في الأصل للناصح؛ وهي الثلاث الأولى.

والثاني: ما منفعته في الأصل للناصح والمنصوح؛ وهي النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

فالمنتفع من بذل النصيحة في الأول هو الناصح، والمنتفع من بذل النصيحة في الثاني هو الناصح والمنصوح معاً.

٤. أَنَّ النَّصِيحَةَ لِلَّهِ عَلَى قَسَمَيْنِ مَفْتَرِضَةٌ وَنَافِلَةٌ: **المفترضة لله**: هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرم. **وأما النصيحة التي هي نافلة**: فهي إثثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض أمران، أحدهما لنفسه، والآخر لربه، فيبدأ بما كان لربه، ويؤخر ما كان لنفسه.

٥. عِظَمُ أَمْرِ النَّصِيحَةِ، حَتَّى جَعَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ هِيَ الدِّينَ.

٦. أَنَّ النَّاصِحَ الْحَقَّ مَنْ قَامَ بِأَمْرِ دِينِهِ كَمَا يَحِبُّ رَبَّنَا وَيَرْضَى.

٧. شَمَلَ الْحَدِيثُ جَمِيعَ مَا يَحِيطُ بِالشَّخْصِ مِنْ عِلَاقَاتٍ:

أولاً: مع ربه: وتشمل علاقته مع الله ومع رسوله ﷺ.

(١) انظر "جامع العلوم والحكم" (ص ٨٠).

ثانياً: مع المخلوقين: وتشمل علاقته مع ولاية أمره ومع عامة المسلمين.

الحديث الثامن

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

أهمية الحديث:

هذا الحديث عظيم؛ لَأَنَّهُ يَنْصُ عَلَى قَوَاعِدِ الدِّينِ وَأُصُولِهِ، مِنْ: تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَإِقَامَةِ بَاقِي وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ، كَمَا يَنْصُ عَلَى حُرْمَةِ دَمِ الْمُسْلِمِ وَمَالِهِ.

قال ابن دقيق العيد: هذا حديث عظيم، وقاعدة من قواعد الدين.

قال ابن حجر الهيتمي: هو حديث عظيم مشتمل من قواعد الدين على مهماتها.

فتح المبين (١١٤).

قال المناوي: هو أصل من أصول الإسلام.

شرح ألفاظ الحديث:

أُمِرْتُ: الْأَمْرُ لَهُ: هُوَ الرَّبُّ تَعَالَى، وَالْأَمْرُ: لِلوُجُوبِ وَالْإِلْزَامِ.
أَنْ أُقَاتِلَ: (أَنْ) تَفْسِيرِيَّةٌ تُفَسِّرُ الْأَمْرَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ وَهُوَ الْقِتَالُ، وَالْمَعْنَى: أَجَاهِدَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ مِنْ أَهْدَرِ دَمِهِ، وَرَخِصَتْ نَفْسُهُ، وَضَيَّعَ حَقَّ رَبِّهِ.

الناس: (أل) للجنس، أي: جميع الناس ممن كفر بالله، ويُسْتَنَى مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْكِتَابِ؛ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَنْ الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.

حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: (حَتَّى) لِلْغَايَةِ، أي: غَايَةُ وَنَهَايَةُ الْمُقَاتَلَةِ وَجُودُ مَا ذُكِرَ مِنَ الشَّهَادَةِ وَمَا بَعْدَهَا.

يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: أي: يَقُولُوا وَيَعْتَقِدُوا وَيَعْتَرِفُوا اعْتِرَافًا جَازِمًا أَنَّ الْمَعْبُودَ بِحَقِّ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ مَعَ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، وَالْإِخْلَاصِ وَالْانْقِيَادِ، وَالصِّدْقِ وَالْقَبُولِ، وَالْمَحَبَّةِ لِمَا يَعْتَقِدُهُ.

يَشْهَدُوا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: أي: يَعْتَرِفُوا اعْتِرَافًا جَازِمًا بظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَيُصَدِّقُوا بِمَا جَاءَ بِهِ، وَيُطِيعُوهُ فِيهِمَا أَمْرًا، وَيَجْتَنِبُوا مَا عَنْهُ نَهْيًا وَزَجْرًا، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَيُقِيمُوا: أي: يَأْتُوا بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ إِذْ يَقُولُ: "صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي".

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ: أي: يُعْطَوْنَهَا مُسْتَحِقِّيَهَا بِشُرُوطِهَا وَمَقَادِيرِهَا.

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ: أي: إِذَا جَاءُوا بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَنَعُوا دِمَاءَهُمْ مِنَ السَّفَكِ وَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ.

وَمَعْنَى (عَصَمُوا) أي: مَنَعُوا وَحَفِظُوا، وَأَصْلُ الْعِصْمَةِ مِنَ الْعِصَامِ: وَهُوَ الْخِيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ فَمُ الْقَرْبَةِ؛ لِيَمْنَعَ سَيْلَانَ الْمَاءِ.

وَأَمْوَالُهُمْ: أي: ومنعوا أموالهم، فلا تؤخذ جزية ولا تسلب غنيمة، ولا يعتدى عليهم؛ لأنها أصبحت محترمة بإسلامهم، ومصانة بإيمانهم.

إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ: المراد أن الدماء والأموال تُعصم بهذه الأمور إلا أن يأتي الإنسان بما يبيح دمه: كالزنى من الثيب، وقتل النفس عمداً بغير حق، والردة عن الإسلام.

وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: يعني أن الشهادتين مع إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة، فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقاً، أدخله الله بذلك الجنة، وإن كان كاذباً، فإنه من جملة المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

فوائد الحديث:

١. أن من شرط الإسلام التلفظ بالشهادتين.
٢. أنه يحكم بإسلام من تلفظ بالشهادتين ولو كان في نفس الأمر يعتقد خلاف ذلك، لما جاء في رواية: "أُمرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ". متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣. أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر قبل إسلامه في الظاهر وهذا قول أكثر العلماء. النووي.

٤. أنه لا يُكفُّ عن قتال المشركين إلا بالنطق بهما، وأما أهل الكتاب فيقاتلون إلى إحدى غايتين: الإسلام، أو أداء الجزية، للنصوص الدالة على ذلك.
٥. أن الدم لا يعصم بمجرد الشهادتين، حتى يقوم بحقوقهما، وأكد حقوقهما الصلاة والزكاة؛ فلذلك خصها بالذكر.
٦. وجوب قتال الكفار إذا طاقه المسلمون حتى يسلموا أو يبذلوا الجزية إن كانوا ممن تقبل منهم.
٧. وجوب مقاتلة تارك الصلاة والزكاة.
- أما قتل تارك الصلاة لأن هذا الحديث كما قال الشوكاني: دل دلالة صريحة على وجوب قتله، وأنه لا يكون معصوم الدم والمال، إلا إذا أقام الصلاة، وقد شرط الله في القرآن التخلية بالتوبة وإقام الصلاة، فقال: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فلا يخلى سبيل من لم يُقِم الصلاة " اهـ.
٨. خص التوحيد والصلاة والزكاة مع أن من أنكر غيرها من أركان الإسلام كفر لعظمها والاهتمام بأمرها؛ لأنها عبادات قلبية وبدنية ومالية.
- بالإضافة إلى أن الشهادة بالرسالة تتطلب الإتيان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ، بل نص الحديث يدل على دخول جميع الأركان في ذلك لقوله: "إلا بحق الإسلام" أي: جميع المأمورات يأتون بها.

وقيل: إنما خصّ الثلاثة بالذكر من بين الأركان وواجبات الدين لأنها أظهر وأعظم وأسرع علمًا لأن في اليوم تعرف صلاة الشخص وطعامه غالبًا بخلاف الصوم والحج كما لا يخفى.

٩. دل الحديث على أن الحكم على الناس في الدنيا يكون على ظواهرهم بدون الدخول في نياتهم، ولهذا علق النبي ﷺ عصمة الدم والمال على النطق بالشهادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكلها أفعال ظاهرة ولم يتعرض للنية بشيء.

١٠. فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في أن الأعمال من الإيمان، حيث علق العصمة على النطق بالشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وكلها من أعمال الجوارح.

١١. فيه دليل على تحريم الامتناع من دفع الزكاة وعلى تحريم إخراج الصلاة عن وقتها.

١٢. في الحديث دلالة على أن دم المسلم غال، وأن الإسلام يحفظ أهله، وأن دم الكافر رخيص مهدر، وأن المعاصي تضعف أصحابها، وترخص معادتهم.

١٣. أن ما عصم الدم والمال فهو حقيقة التوحيد.

١٤. أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم ما في القلوب، فهو علام الغيوب.

١٥. أن أحكام الإسلام إنما تُدار على الظواهر الجليّة، لا الأسرار الخفية.

١٦. يؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع.

١. سبب ورود الحديث: سببه كما في مصنف ابن أبي شيبة، عن أبي هريرة قال: قال عمر: إن النبي ﷺ قال: "لأدفعن اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، يفتح الله به"، قال عمر: ما تمنيت الإمرة إلا يومئذ، فلما كان الغد تناولت لها، فقال لعلي: "قم اذهب وقاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك"، فقال: يا رسول الله، علام أقاتل؟ قال: "حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها".

٢. إن قيل: مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد، فكيف ترك قتال مؤدي الجزية والمعاهد؟ فالجواب من أوجه:

أحدها: دعوى النسخ بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخراً عن هذه الأحاديث، بدليل أنه متأخر عن قوله تعالى؟ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ؟ [التوبة: ٥].

ثانيها: أن يكون من العام الذي خص منه البعض، لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب، فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدر في العموم.

ثالثها: أن يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله: «أقاتل الناس» أي: المشركين من غير أهل الكتاب، ويدل عليه رواية النسائي بلفظ «أمرت أن أقاتل المشركين». فإن قيل: إذا تم هذا في أهل الجزية، لم يتم في

المعاهدين، ولا فيمن منع الجزية. أجيب: بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية بدليل الآية. رابعها: أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها: التعبير عن إعلاء كلمة الله وإذعان المخالفين، فيحصل في بعض بالقتل، وفي بعض بالجزية، وفي بعض بالمعاهدة.

خامسها: أن يكون المراد بالقتال هو، أو ما يقوم مقامه، من جزية أو غيرها. سادسها: أن يقال: الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام، وسبب السبب سبب، فكأنه قال: حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم إلى الإسلام، وهذا أحسن، ويأتي فيه ما في الثالث وهو آخر الأجوبة، والله أعلم. (١)

٣. قوله: «حتى يشهدوا» جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر، فمقتضاه: أن من شهد وأقام وآتى، عُصم دمه ولو جحد باقي الأحكام. والجواب: أن الشهادة بالرسالة تتضمن التصديق بما جاء به، مع أن نص الحديث وهو قوله: «إلا بحق الإسلام». يدخل فيه جميع ذلك. فإن قيل: فلم لم يكتف به ونص على الصلاة والزكاة؟ فالجواب: أن ذلك لعظمهما والاهتمام بأمرهما، لأنها أمّا العبادات البدنية والمالية. الحافظ

(١) انظر فتح الباري (٧٥/١ - ٧٧).

٤. مَنْ أَقْرَبَ بِإِحْدَى الشَّهَادَتَيْنِ دُونَ الْأُخْرَى لَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ؛ لِأَنَّ مِنْ شُرُوطِ قَبُولِ الْعَمَلِ: الْإِخْلَاصُ، وَهُوَ فِي الشَّهَادَةِ الْأُولَى، وَالْمُتَابَعَةُ وَهُوَ فِي الشَّهَادَةِ الثَّانِيَةِ.

٥. الْحَقُّ الْمُسْتَنَى بِقَوْلِهِ: إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ: هُوَ مَا بَيْنَهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ بِقَوْلِهِ: زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ كَفَرَ بَعْدَ إِيْمَانٍ، أَوْ قَتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ. ٦. أَنَّ مَنْ شَهِدَ لِلَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَلِلرَّسُولِ بِالرَّسَالَةِ وَجْهَلْ حَالُهُ فِي بَقِيَّةِ الْأَرْكَانِ لَمْ يُقَاتَلْ؛ لِحَدِيثِ أُسَامَةَ عِنْدَمَا قَتَلَ الرَّجُلَ وَقَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّهَا عِصْمَةٌ لِلدِّمِ وَالْمَالِ وَالْعَرَضِ.

وَأَمَّا مَنْ شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ وَعُلِمَ إنْكَارُهُ لِلأَرْكَانِ الْآخَرَى وَجَبَ قِتَالُهُ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ كُلُّهُ لَا يَتَجَزَّأُ، أَوْ مَنْ أَنْكَرَ وَاحِدَةً فَقَدْ أَنْكَرَ الْجَمِيعَ، بَلْ نَاقَضَ قَوْلَهُ بِفِعْلِهِ؛ إِذْ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الشَّهَادَةِ: الْعَمَلُ بِجَمِيعِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

وَهَذَا هُوَ الْمَانِعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقِتَالِ (أَي: الشَّهَادَتَانِ).

(وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) هَذَا هُوَ الْمَانِعُ الثَّانِي مِنَ الْقِتَالِ.

- فَمَنْ أَقْرَبَ بِهَا وَلَمْ يُصَلِّ يُقَاتَلْ.

- وَمَنْ صَلَّى بَعْضَهَا وَتَرَكَ الْبَعْضَ الْآخَرَ يُقَاتَلْ.

- وَمَنْ تَرَكَ بَعْضَ أَرْكَانِهَا عَمْدًا عَالِمًا يُقَاتَلْ.

- وَمَنْ أَدَّاهَا فَقَدْ عَصَمَ دَمَهُ.

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ: هَذَا هُوَ الْمَانِعُ الثَّلَاثُ مِنَ الْقِتَالِ

- فَمَنْ جَحَدَهَا قُوتِلَ.

- وَمَنْ جَحَدَ بَعْضَهَا قُوتِلَ.

- وَمَنْ مَنَعَهَا قُوتِلَ.

لأنَّ اللهَ قَرَنَهَا بِالصَّلَاةِ، وَلِلْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، وَلأنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: (وَاللهُ لَا قَاتِلَ

مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ).

- وَمَنْ أَدَّاهَا فَقَدْ عَصَمَ دَمَهُ.

الحديث التاسع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَبَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ". رواه البخاري ومسلم.

التعريف بالراوي:

أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ، الْإِمَامُ، الْفَقِيهُ، الْمُجْتَهِدُ، الْحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، الْيَمَانِيُّ، سَيِّدُ الْحِفَاطِ الْأَثْبَاتِ. اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ عَلَى أَقْوَالٍ جَمَّةٍ، أَرْجَحُهَا: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَخْرٍ. وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ: أَنَّهُ كُنِيَ بِأَوْلَادِ هِرَّةٍ بَرِّيَّةٍ. قَالَ: وَجَدْتُهَا، فَأَخَذْتُهَا فِي كُمِّي، فَكُنَيْتُ بِذَلِكَ. قَالَ الطَّبْرَانِيُّ: وَأُمُّهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - هِيَ: مَيْمُونَةُ بِنْتُ صَبِيحٍ. حَمَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمًا كَثِيرًا، طَيِّبًا، مُبَارَكًا فِيهِ، لَمْ يُلْحَقْ فِي كَثْرَتِهِ. حَدَّثَ عَنْهُ: خَلَقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. فَقِيلَ: بَلَغَ عَدْدُ أَصْحَابِهِ ثَمَانِ مِائَةٍ، فَاقْتَصَرَ صَاحِبُ (التَّهْذِيبِ)، فَذَكَرَ مَنْ لَهُ رَوَايَةٌ عَنْهُ فِي كُتُبِ الْأَئِمَّةِ السَّتَّةِ.

كَانَ مَقْدَمُهُ وَإِسْلَامُهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ، عَامَ خَيْبَرَ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: أَبُو هُرَيْرَةَ أَحْفَظُ مَنْ رَوَى الْحَدِيثَ فِي دَهْرِهِ.

له خمسة آلاف وثلاث مائة وأربعة وسبعون حديثاً.
 المتفق في البخاري ومسلم منها: ثلاث مائة وستة وعشرون.
 وانفرد البخاري: بثلاثة وتسعين حديثاً، ومسلم: بثمانية وتسعين حديثاً.
 روى: سفيان بن عيينة، عن هشام بن عروة: أن عائشة، وأبا هريرة مائتا سنة
 سبع وخمسين، قبل معاوية بستين.
 وتابعه: يحيى بن بكير، وابن المديني، وخليفة، والمدائني، والفلاس.

أهمية الحديث:

قال النووي: هذا الحديث من قواعد الإسلام المهمة، ومن جوامع الكلم التي
 أعطاها النبي ﷺ، ويدخل فيما لا يحصى من الأحكام.
قال ابن حجر الهيتمي: هو حديث عظيم من قواعد الدين وأركان الإسلام،
 فينبغي حفظه والاعتناء به.

شرح ألفاظ الحديث:

دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ: المراد بهذا الأمر ترك السؤال عن شيء لم يقع خشية أن ينزل
 به وجوبه أو تحريمه، وعن كثرة السؤال لما فيه غالباً من التعنت وخشية أن تقع
 الإجابة بأمر يستثقل فقد يؤدي لترك الامتثال فتقع المخالفة. **قاله الحافظ في الفتح.**
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ: أي: إنما هلك الأمم السابقة بسبب كثرة
 أسئلتهم لغير حاجة وضرورة، كقول اليهود لموسى عليه السلام: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُبَيِّن لَنَا مَا هِيَ ﴿ [سورة البقرة: ٦٨] . لما أمروا بذبح بقرة، ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لأجزأتهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حالها، وصفتها، فشدد الله تعالى عليهم.

وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ: أي أن هلكتهم كانت بسبب أمرين: الأول: كثرة سؤالهم وهذا يدل على تعنتهم، والثاني كثرة مخالفتهم، وعصيانهم لأنبيائهم، وهذا واضح لمن تتبع كتاب ربنا ومنه قول ربنا عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَنُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [سورة البقرة: ٩٣] .

وقوله سبحانه: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَأَنْظِرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ [سورة النساء: ٤٦] .

فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ: أي: لا تقدموا على فعل شيء من المنهي عنه، وإن قل؛ لأنه تحصل بذلك المخالفة.

وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ: أي: وإذا طلبت منكم فعل شيء؛ فافعلوا منه ما قدرتم عليه على قدر طاقتكم واستطاعتكم؛ وجوباً في الواجب، وندباً في المندوب.

وهذا يدل على وجوب المقدور عليه من جميع المأمورات فإن من لم يمكنه الصلاة قائماً صلى قاعداً، وهكذا.

وحمل بعضهم الحديث على غير الأمر والنهي.

فقال المهلب: من احتج بهذا الحديث أن النواهي أوجب من الأوامر فهو خطأ؛ لأنه ﷺ لم ينه بهذا الحديث عن المحرمات التي نهى الله عنها في كتابه بأن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإنما أراد فإذا نهيتكم عما هو مباح لكم أن تأتوه، فإنما نهيتكم رفقا بكم، كنهيه عن الوصال إبقاء عليهم، وكنهيه عبد الله بن عمرو عن صيام الدهر وقيام الليل كله، وكنهيه عن إضاعة المال؛ لئلا يكون سبباً لهلاكهم، وكنهيه عن كسب الحجام وعسب الفحل تنزهًا واعتلاءً عن الأعمال الوضيعة.

وأما الأمر الذي أمرهم أن يأتوا منه ما استطاعوا، فهو الأمر من التواصي بالخير، والصدقات وصلة الرحم، وغير ذلك مما سنه، وليس بفرض ولذلك قال لهم: فأتوا ما استطعتم أي: لم آمركم بذلك أمر إلزام ولا أمر حتم أن تبلغوا غاياته لكن ما استطعتم من ذلك؛ لأن الله تعالى عفا عما لا يستطاع.

وعلى هذا المعنى خرج معنى الحديث منه ﷺ؛ لأن أصحابه كانوا يكثرون سؤاله عن أعماله من الطاعات يحرصون على فعلها فكان ينهاهم عن التشديد ويأمرهم بالرفق؛ خشية الانقطاع ابن بطال

ولعل القول الأول أوجه لمعنى الحديث، وعليه جمهور العلماء.

١. الأمر بامثال الأوامر، واجتناب النواهي.
 ٢. أن النهي أشد من الأمر، لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، وأما الأمر فقد قيد بالاستطاعة، ولهذا قال بعض السلف: أعمال البر يعملها البر والفاجر، والمعاصي لا يتركها إلا صديق.
 ٣. أن المنهي عنه يشمل القليل والكثير، لأنه لا يتأتى اجتنابه إلا باجتناب قليله وكثيره.
 ٤. يجب على العبد أن يسلم للأوامر والنواهي الشرعية، وأن يترك البحث عن الرخص، وتقصد الاختلاف، ومخالفة النصوص.
 ٥. أن في الاشتغال بامثال أمره، واجتناب نهيه شغلاً عن المسائل.
 ٦. أنه يتعين على المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف على معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية، بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك؛ لا إلى غيره.
 ٧. أن العاجز عن الواجب أو بعضه يسقط عنه ما عجز عنه، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
- نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦].

٨. أن النهي عن كثرة إيراد المسائل على جهة التعنت والتكلف وإثارة الفتن من المغيبات أو المشتبهات، أما السؤال عما يقع بالإنسان في أمر دينه أو دنياه فيجب السؤال عنه.

٩. أن مخالفة أمر النبي ﷺ يقود إلى الهلكة، ولذلك قال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

١٠. فيه دليل على أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

١١. أن الذي يجتنب عما نهاه نبي الله ويأتمر بما أمره به يكون ممن اقتدى بسنن

النبي ﷺ.

١٢. أن التفقه في الدين، والسؤال عن العلم إنما يُحمد إذا كان للعمل، لا للمرء

والجدال.

ما ينبغي معرفته:

١. سبب ورود الحديث ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا"، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ"، ثُمَّ قَالَ: "ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ."

٢. سؤال العلم على أقسام:

الأول: سؤال من يريد العمل بما وجب عليه، وهو واجب،

والثاني: سؤال من يريد التفقه في الدين، وهو فرض كفاية،

والثالث: السؤال عن الشيء المتشابه، وما لم يفرض ليفرض على الأمة، أو لقصد

الجدال والتعنت، وهو من السؤال المذموم.

٣. الأمور التي ينهى عن السؤال عنها؟

تجتمع في أصول ومنها:

١- ما لا يحتاج إليه مما يسوء السائل جوابه مثل هل هو في الجنة أو في النار؟.

٢- سؤال التعنت والعبث والاستهزاء.

٣- السؤال عما أخفاه الله عن عباده، كقيام الساعة.

٤. انقسم الناس في باب البحث عن المسائل إلى أقسام:

فمن أتباع أهل الحديث من سدَّ بابَ المسائل حتَّى قلَّ فقهه وعلمه بحدود ما أنزل الله على رسوله، وصار حامِلَ فقه غير فقيه.

ومن فقهاء أهل الرأي من توسَّع في توليد المسائل قبل وقوعها، ما يقع في العادة منها وما لا يقع، واشتغلوا بتكليف الجواب عن ذلك، وكثرة الخصومات فيه، والجدال عليه حتَّى يتولدَ من ذلك افتراق القلوب، ويستقرَّ فيها بسببه الأهواء والشحناء

والعداوة والبغضاء، ويقترن ذلك كثيراً بنية المغالبة، وطلب العلو والمباهاة،
وصرف وجوه الناس وهذا مما ذمه العلماء الربانيون، ودلت السنة على قبحه
وتحريمه.

وأما فقهاء أهل الحديث العاملون به، فإن معظم همهم البحث عن معاني كتاب الله
- عز وجل -، وما يُفسرُه من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم
بإحسان، وعن سنة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التفقه فيها
وتفهمها، والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في
أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة والزهد
والرقائق وغير ذلك، وهذا هو طريقة الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث
الربانيين، وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما أحدث من الرأي مما لا يُنتفع
به، ولا يقع، وإنما يُورثُ التجادل فيه الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال.
وكان الإمام أحمد كثيراً إذا سُئل عن شيء من المسائل المولدة التي لا تقع يقول:
دعونا من هذه المسائل المحدثه. ابن رجب.

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّمُ الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ، يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟" رواه مُسْلِمٌ

أهمية الحديث:

الحديث أصل في الحث على تحري الحلال واجتناب الحرام في المأكل والمشرب والملبس.

قال النووي: هذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ: أي منزّه عن النقائص، ومقدس عن الآفات والعيوب، فهو سبحانه طيب في ذاته، طيب في صفاته، طيب في أفعاله.

لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا: أي إنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا من المفسدات كالرياء والعُجب، ولا من الأموال إلا ما كان حلالًا؛ لأن لفظ طيب يتضمن المدح

والتشريف، فلا يتقرب إليه سبحانه وتعالى إلا بما يناسبه في ذلك المعنى، وهو الإخلاص في الأعمال وخيار الأموال؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْحَيَاةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين: يعني أنه سوى بينهم في الخطاب بوجوب أكل الحلال؛ رسلاً وأهل إيمان.

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب إلى آخره: معناه والله أعلم أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك.

فأني يستجاب له: أي وهذه صفته، وهذا حاله، فلا يستجاب له؛ لإثم مطعمه ومشربه.

بمعنى أنه ليس أهلاً لإجابة دعائه، لكن يجوز أن يستجيب الله له تفضلاً ولطفاً وكرماً.

فوائد الحديث:

١. وصف الله تعالى بالطيب، فالله تعالى طيب في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو أهل لأن يكون العمل له وحده دون أن تشوبه شائبة تنجسه من إرادة مخلوق أو تقديم محبة أو هوى.

٢. في الحديث إخبار عن كمال صفات الله سبحانه وتعالى التي لا يدخلها نقص ولا عيب.

٣. ليس كل ما يقدمه العبد لله يُقبل وإن كان مخلصاً فيه، فقد يحول أمر آخر دون قبوله.

٤. أن الأكل من طيبات الرزق عبادة أمر الله سبحانه وتعالى بها.

٥. كل أمر للرسول فهو أمرٌ لأمرته ما لم يأت ما يدل على خصوصيته.

٦. أنه قد يجتمع في مسلم طاعة ومعصية.

٧. في قول الله "يا أيها الرسل" إشارة الى ان أصحاب الرسالة هم أولى من يلتزم بالأمر قبل الأتباع.

٨. قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [سورة المؤمنون: ٥١]

خطاب للرسول فيه تعليم لهم ما يأكلون؟

فإذا كان الرسل محتاجون لأن يتعلموا ويعرفوا ما يأكلون، فكيف بمن هو

دونهم؟! وكيف هو الأمر في المسائل التي هي أعظم من الأكل والشرب؟!

٩. أن المؤمن تابع في حاله وأحواله لنبيه ورسوله ﷺ، فما سار عليه رسوله

ﷺ سار عليه، فهو متبع له على كل حال.

١٠. أن الله سبحانه سوى بين الرسل والمؤمنين في الخطاب بوجوب أكل الحلال.

١١. المؤمن كله طيب قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر

على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان.

١٢. أن الأربع التي فعلها الرجل من السفر في الطاعات والشعث في الشعر، والغبرة في سائر الجسد في سبيل الله ورفع اليدين عند الدعاء والتذلل والتوسل لله بربوبيته؛ كل واحدة منها سبب في إجابة الدعاء؛ فكيف إذا اجتمعت جميعاً؟!

١٣. بين الحديث أن أكل الحرام يمنع من إجابة الدعاء وفيه تنبيه على أن جميع المعاصي قد تمنع كذلك؛ فهو إرشاد لترك المعاصي ليكون العبد مستجاب الدعاء.

١٤. أن من أعظم ما يحصل به طيبة الأعمال للمؤمن طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله، ويجاب دعاؤه، فإنه إذا تحرى ذلك في مطعمه ومشربه فهو لغيره أحرى.

١٥. أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه.

١٦. فيه: الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره.

١٧. أن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بطيب المطعم والمشرب من غيره.

ما ينبغي معرفته:

١. قوله: «لا يقبل إلا طيباً» يشمل نوعين من الطيب:

الطيب في ذاته: كالطعام وسائر ما كان حلالاً، فخرج بذلك الخبيث في ذاته كالخمر والقات والسيجارة والشمة ونحوها.

والطيب في كسبه: كالمال الذي دخل من كسب وتجارة حلال، فخرج الخبيث في كسبه كالمكتسب بالربا ومن الرشوة والمسروق فإن الله تعالى لا يقبله.

٢. قوله: ((فأتى يستجاب لذلك)): دليل على أنه وإن كان غير مستحق

للإجابة، إلا أن الله قد يستجيب دعاءه كرماً منه، وجوداً.

ولهذا قال ابن رجب: معناه: كيف يُستجاب له؟ هذا استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد، وليس صريحاً في استحالة الاستجابة. ابن رجب.

وقال القرطبي: معناه: أنه ليس أهلاً لإجابة دعائه، لكن يجوز أن يستجيب الله له تفضلاً ولطفاً وكرماً. اهـ

قلت: ودليل ذلك أن الله يجب دعوة المضطر، ولو وجدت هذه الموانع، كما قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٥]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٣-٦٤]..

وقال جل جلاله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلٌ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَحْدِثُ بَايِنَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كَفُورٍ﴾ [سورة لقمان: ٣٢].

وغير هذه الآيات التي يبين فيها ربنا سبحانه وتعالى أنه استجاب دعاء الكافرين عند اضطرابهم، مع ما هم فيه من الكفر وأكل الحرام. وما يدل على ذلك أيضاً أن الله يستجيب دعوة المظلوم ولو كان آكلًا للحرام.

وفي حديث ابن عباس: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» أخرجاه في الصحيحين، والمعنى: فإن دعوة المظلوم لا ترد ولا تحجب عن الله. ولم يقيد ذلك بطيب المطعم والمشرب
وفي حديث أبي هريرة عند ابن حبان: «دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزِّي لَا نُصْرَتِكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ».

ولم يقيد ذلك بطيب المطعم والمشرب، فدلَّ هذا على أنَّ الله سبحانه قد يستجيب لمن كانت تلك حالته تفضلاً وكرماً، واختباراً وابتلاءً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والخلق كلهم يسألون الله مؤمنهم وكافرهم، وقد يجب الله دعاء الكفار؛ فإن الكفار يسألون الله الرزق فيرزقهم ويسقيهم" انتهى من "مجموع الفتاوى" (٢٠٦/١).

وقال (٢٢٣/١): "وأما إجابة السائلين فعام؛ فإن الله يجب دعوة المضطر ودعوة المظلوم وإن كان كافراً" انتهى.

واستجابة الدعاء ليست دليلاً على رضا ولا محبة.

قال ابن القيم: "فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله؛ فإنه يجب البر والفاجر، والمؤمن والكافر" انتهى من "إغاثة اللهفان" (٢١٥/١).

٣. أن كل حلال طيب وكل طيب حلال فإن الله أحل لنا الطيبات وحرم علينا
الخبائث، لكن جهة طيبه كونه نافعا لذيقا.

وأن الله حرم علينا كل ما يضرنا وأباح لنا كل ما ينفعنا. شيخ الإسلام

الحديث الحادي عشر

عن أبي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، سِبْطِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِيحَانَتِهِ ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ". رواه التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ، وقال التِّرْمِذِيُّ: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

التعريف بالراوي:

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وُلِدَ فِي الْمَدِينَةِ وَنَشَأَ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ، سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَانَ عَاقِلًا حَلِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، بَايَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ أَبِيهِ، ثُمَّ تَنَازَلَ لِمُعَاوِيَةَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ الْجَمَاعَةِ لِاجْتِمَاعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، تُوفِّيَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. وَقَدْ رَوَى ثَلَاثَةَ عَشَرَ حَدِيثًا. وقال النبي ﷺ فيه: "إِنْ ابْنِي هَذَا سِيدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ يَصْلَحُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"^(١)، فَأَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَسَلَّمَ الْأَمْرَ لِمُعَاوِيَةَ صَلَاحًا.

أهمية الحديث:

هَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ، وَهِيَ: (الْأَخْذُ بِالْيَقِينِ فِي الْأُمُورِ وَتَرْكُ الْمُشْتَبَهَاتِ).

(١) رواه البخاري من حديث أبي بكرة.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ، وَأَصْلُ فِي الْوَرَعِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ الْمُتَّقِينَ، وَمُنْجٍ مِنْ ظُلْمِ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ الْمَانِعَةِ مِنْ نُورِ الْيَقِينِ.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: " وهذا الحديث من جوامع الكلم، وما أجوده وأنفعه للعبد إذا سار عليه، فالعبد يرد عليه شكوك في أشياء كثيرة، فنقول: دع الشك إلى ما لا شك فيه، حتى تستريح وتسلم.

شرح ألفاظ الحديث:

سَبْطٌ: السَّبْطُ هُوَ وَلَدُ الْوَلَدِ سَوَاءٌ كَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَيَغْلِبُ عَلَى وَلَدِ الْبِنْتِ مُقَابِلِ الْحَفِيدِ وَلَدِ الْإِبْنِ، مَا اخُذَ مِنَ السَّبْطِ وَهُوَ الشَّجَرَةُ لَهَا أَغْصَانٌ كَثِيرَةٌ وَأَصْلُهَا وَاحِدٌ، وَالسَّبْطُ عِنْدَ الْيَهُودِ، أَيِ: الْقَبِيلَةُ.

وَرَيْحَانَتِي: الرَّيْحَانُ هُوَ كُلُّ نَبْتٍ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ نَبْتُ طَيِّبٍ مِنْ شَجَرَةِ طَيِّبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ؛ إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، فَهُوَ طَيِّبٌ فِي مَنْبَتِ طَيِّبٍ؛ أَوْ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَشْمُهُ وَيُقْبَلُهُ وَيَقُولُ: "رَيْحَانَتِي" حُبَّهُ لَهُ كَمَا يَشْمُ الرَّيْحَانُ لَطِيبِهِ وَطَيِّبِ رَائِحَتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: "هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا" ^(١) أَيِ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ: أَيِ مَا قَالَه ﷺ، وَأَوْصَى بِهِ.

(١) رواه البخاري ٣ / ١٣٧١ من حديث ابن عمر.

دَعُ: أي: اترك.

مَا يَرِيكَ: بفتح الياء وضمها، والفتح أشهر، والريب الشك وقيل هو الشك

مع التهمة.

إِلَى مَا لَا يَرِيكَ: أي: إلى الشيء الذي لا ريب فيه.

والمعنى: اترك ما تشك فيه من الأقوال والأعمال أنه منهي عنه أولاً أو سنة أو

بدعة واعدل إلى ما لا تشك فيه منها والمقصود أن يبني المكلف أمره على اليقين

البحث والتحقيق الصرف ويكون على بصيرة في دينه

فوائد الحديث:

١. ذكاء الحسن رضي الله عنه وفطنته.
٢. أهمية الحفظ، وبلوغ الحُفَظ المراتب العالية، فاحفظ فكل حافظ إمام.
٣. عناية الصحابة رضي الله عنهم في تلقي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٤. فيه ما ميز الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ هذه الأمة من حفظها لما يُلقى عليها من فم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يوجد في الأمم السابقة.
٥. تعظيم الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يعتنون بكل ما يصدر عنه، وهذا من شدة تعظيمهم له، وحبهم له صلى الله عليه وسلم.
٦. على المسلم بناء أموره على اليقين، وأن يكون في دينه على بصيرة.
٧. النهي عن الوقوع في الشبهات، والحديث أصل عظيم في الورع.
٨. إذا أردت الطمأنينة والاستراحة فاترك المشكوك فيه واطرحه جانباً.

٩. أن النبي ﷺ أعطي جوامع الكلم.

ما ينبغي معرفته:

١. لابد من التفريق بين الزهد والورع، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما قاله ابن القيم قال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة". اهـ
فحقيقة الورع ترك كل ما يضر أو يخشى ذلك في الآخرة، فيشمل ترك الحرام وترك الشبهات المفضية إليه.
٢. حاصل الورع هو انتقال العبد من الشك إلى اليقين ومن الريبة والتردد إلى الثقة والاطمئنان.
٣. أن الورع عام في جميع أبواب الدين فيشمل العبادات والمعاملات والجنايات وغيرها وليس خاصًا باباب الأموال كما يتوهمه بعض العامة.

الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَّهُ مَا لَا يَعْنيه" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

درجة الحديث:

هذا الحديث حديث مشهور ولكنه لم يرو من طريق صحيحة، ومداره على قره بن عبد الرحمن المعافري وهو ضعيف، بل إن الإمام أحمد قال: "منكر الحديث جداً" وقال أبو حاتم والنسائي: "أنه ليس بقوي" فهو ضعيف وقد روي هذا الحديث مرسلًا عن علي بن حسين، والمرسل من أقسام الضعيف فهذا الحديث لم يثبت من طريق صحيح، ولا يقال إن هذين الطريقين يقوي بعضهم بعضًا؛ لأن الحديث الأول فيه راوي ضعيف منكر الحديث، هذا الإشكال لو كان مثلاً ضعفه من جهة حفظه ربما أنجبر بالطريقة الأخرى لكنه منكر الحديث، وعلى هذا فهذا الحديث على شهرته حديث ضعيف مع أنه من الأحاديث المشهورة ومن الأربعين النووية، لكن يبقى ضعيفاً.

أهمية الحديث:

هذا الحديث أصل عظيم للكمال الخُلقي، وزينة للإنسان بين أقرانه وذويه، ووقاية له من الفضول، والدخول فيما لا يفيده.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ إِمَامُ الْمَالِكِيَّةِ فِي زَمَانِهِ: جَمَاعُ أَدَبِ الْحَيْرِ وَأَزِمَّتُهُ تَتَفَرَّغُ مِنْ

أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ:

قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ".

وقوله ﷺ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"

وقوله للذي اخْتَصَرَ لَهُ فِي الْوَصِيَّةِ: "لَا تَغْضَبْ".

وقوله ﷺ: "الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ".

شرح ألفاظ الحديث:

مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ: أي من جملة محاسن إسلام الإنسان وكمال إيمانه.

تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ: أي تركه ما لا يعنيه من قول وفعل، واقتصاره على ما يعنيه

من الأقوال والأفعال.

مَا لَا يَعْنِيهِ: معنى يعنيه أنه يتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه،

والعناية شدة الاهتمام بالشيء، يقال عناه يعنيه: إذا اهتم به وطلبه.

فوائد الحديث:

١. أن من حسن وكمال إيمان الإنسان تركه ما لا يهتم به في دنياه وآخرته من أقوال

أو أعمال.

٢. ينبغي للمسلم أن يحرص على تحسين إسلامه.

٣. أن عدم ترك الإنسان لما لا يعنيه يدل على أن إسلامه ليس بحسن.

٤. ينبغي للمسلم أن يشغل بما يعنيه وينفعه.
٥. أن في ترك ما لا يعنيه راحةً لنفسه وحفظاً لوقته وسلامة لعرضه.
٦. أن تدخل المرء في شؤون غيره فيه ضياع للوقت والجهد، بل على المؤمن أن يُعرضَ عما كل ما لا ينفعه في دينه ودنياه.
٧. أتى بمن التبعية لأن ترك ما لا يعني ليس كل خصال الإسلام الحسن بل بعضها.
٨. إنما قال من حسن إسلام ولم يقل من الإسلام الحسن للمبالغة في جعل ترك ما لا يعني من نفس الحُسن.
٩. لم يقل حسن إيمان المرء لأن الإسلام أعمال ظاهرية، والإيمان عمل القلب، والفعل والترك إنما يتواردان على الأعمال الظاهرة.

ما ينبغي معرفته:

١. إحسان الإسلام تفسر بمعنيين: أحدهما: بإكمال واجتناب محرماته. ومنه الحديث المشهور المروي في "السنن": "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فكمال حسن إسلامه - حينئذ - بترك ما لا يعنيه وفعل ما يعنيه. ومنه حديث ابن مسعود الذي خرجاه في "الصحيحين" أن النبي ﷺ سئل: أنؤاخذ بأعمالنا في الجاهلية؟ فقال: "من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر". فإن المراد

بإحسانه في الإسلام: فعل واجباته والانتها عن محرماته، وبالإساءة في الإسلام: ارتكاب بعض محظوراته التي كانت ترتكب في الجاهلية.

والمعنى الثاني مما يفسر به إحسان الإسلام: أن تقع طاعات المسلم على أكمل وجوها وأتمها بحيث يستحضر العامل في حال عمله قرب الله منه وإطلاعه عليه فيعمل له على المراقبة والمشاهدة لربه بقلبه.

وهذا هو الذي فسر النبي ﷺ به الإحسان في حديث سؤال جبريل عليه السلام.

وقد دل حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة على أن مضاعفة الحسنات للمسلم بحسب حسن إسلامه.

فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إذا أسلم العبد فحسن إسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان أزلفها، وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها؛ إلا أن يتجاوز الله عنها"

وخرج البخاري - أيضا - من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال "إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها". اهـ قاله ابن رجب

٢. الضَّابِطُ لَتَرْكِ مَا لَا يَعْنِي:

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الضَّابِطُ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ الشَّرْعَ، لَا اتِّبَاعَ الْهَوَى، وَحِظَظِ النَّفْسِ،
لِذَلِكَ جَعَلَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ الْبَعْضَ قَدْ يُخْطِئُ فَهَمَّ الْحَدِيثِ فَيَتْرُكُ
كثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ أَوْ الْمُسْتَحَبَّةِ ظَنًّا أَنَّ هَذَا مِمَّا لَا يَعْنِي، كَمَا يَتْرُكُ الْبَعْضُ
النُّصَحَ لِلآخَرِينَ، وَهَذَا لَا شَكَّ مُخَالَفٌ لَكَثِيرٍ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَحْتُّ عَلَى النَّصَحِ
لِلْمُسْلِمِينَ.

وَقَدْ يَتَدَخَّلُ الْبَعْضُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ ظَنًّا أَنَّ هَذَا مِمَّا يَعْنِيهِ.

٣. أَنَّ الَّذِي لَا يَعْنِي الْعَبْدَ هُوَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَتَرْجِعُ إِلَى
أَرْبَعَةِ أَصُولٍ: ١. المحرمات، ٢. المكروهات، ٣. المشتبهات لمن لم تتبين
له، ٤. فضول المباحات والمقصود بها ما زاد عن حاجة العبد من المباح.
٤. أَنَّ الَّذِي يَعْنِي الْعَبْدَ أَمْرَانِ:

الأول: ما يتعلق بسلامته في دنياه، وهو ما يحتاج إليه في معاشه مما يسد به جوعه
وعطشه ويستر بدنه ويؤويه من مسكن إلى غير ذلك، دون أن يصل إلى حد الترف،
وكثرة الاستمتاع.

الثاني: ما يتعلق بسلامته في معاده، وهي أعمال الإسلام والإيمان والإحسان.
فإذا اقتصر على ما يعنيه منهما سلم من الآفات والشُرور والمخاصمات، وكان
ذلك دليلاً على حسن إسلامه ورسوخ إيمانه، وحقيقة تقواه ومجانبة هواه، لاهتمامه
بمصالحه الدنيوية التي يحتاج لها، وإعراضه عن الأغراض الدنيئة.

الترك المقصود في هذا الحديث يشمل أموراً كثيرة، منها ترك فضول النظر، لما في التطلع إلى متاع الدنيا من إفساد للقلب، وإشغال للبال، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [سورة طه: ١٣١]: أي: لا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسننا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، والنساء الجميلة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها - بقطع النظر عن الآخرة - القوم الظالمون، ثم تذهب سريعا، وتمضي جميعا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة."

ومن الأمور التي يشملها الترك في الحديث: ترك فضول الكلام، ولغو الحديث؛ لأنه يتعلق بجارحة خطيرة، ألا وهي جارحة اللسان، وقد امتدح الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٣] (المؤمنون: ٣)، فمن صان لسانه عن فضول القول، سلم من انزلاقه فيما لا يحبه الله ويرضاه، وحمي منطقته من الغيبة والنميمة، ولذلك حث الشرع في مواطن كثيرة على لزوم الصمت إلا بما فيه ذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال الله عز وجل:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة النساء: ١١٤] (النساء: ١١٤).

وهناك أمور ينبغي للعبد أن يتركها ولا ينشغل بها فإنها تضره ومنها:

- ✓ اللهو واللعب بما يأخذ جلّ وقت العبد.
- ✓ السفر الذي لا فائدة من ورائه، لا فائدة دينية، كطلب العلم، ولا فائدة دنيوية مشروعة، كالعلاج أو التجارة.
- ✓ اللعب بالبلياردو والضمنة، والبطة.
- ✓ كثرة التزهات والتنقل من مكان إلى مكان بقصد الترفيه.
- ✓ السمر في النوادي والشاليهات وتضييع الأوقات في القيل والقال.
- ✓ مجالس التخازين والقات والسمرات الليلية والنهارية.
- ✓ النظر للأفلام والمسلسلات والمصارعة والمباريات ولعب الكرة.
- ✓ الاشتغال بما لا يفيد في البحث كاسم كلب أصحاب الكهف، واسم صاحب يس وغير ذلك.

وخلاصة القول: إن في الحديث إرشاداً لما فيه حفظ وقت الإنسان من الضياع، ودينه من الصوارف التي تصرفه عن المسارعة في الخيرات، والتزود من الصالحات، مما يعين العبد على تزكية النفس، وتربيتها على معاني الجد في العمل، نسأل الله تعالى أن يعيننا على حسن استغلال الأوقات، وأن يجنبنا فضول الملذات.

الحديث الثالث عشر

عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " رواه البخاري ومسلم.

التعريف بالراوي:

أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، يُكنى أبا حمزة، " كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة اجتنأها، وكان في طعم تلك البقلة حموضة، فسميت: حمزة، يقال: رمانة حامزة؛ أي: فيها حموضة.

خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الكثيرين من الرواية عنه، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بطول العمر، وبركة المال، وكثرة الولد، والجنة، فلم يمت إلا وقد رأى مائة من ذريته، وكان عمره لما مات ١٠٣ سنوات، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة، وكان له بستان يثمر بالفاكهة مرتين في العام، كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة، توفي رضي الله عنه سنة ٩٣ هـ.

أهمية الحديث:

الحديث أصل عظيم في الدعوة إلى أهم سبب لألفة النفوس، واجتماع القلوب، واتحاد الكلمة، وانتظام حال الجماعة.

قال بعض أهل العلم: هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام الموصى بها في قوله

تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

شرح ألفاظ الحديث:

لا يؤمن أحدكم: محمول على نفي الكمال أي: لا يكمل إيمان أحدكم.

حتى يجب لأخيه: المراد به المسلم، فالأخوة هنا المقصود بها أخوة الإسلام.

لأخيه: اللام في قوله: «لأخيه» تدل على أن المراد: الخير والمنفعة، إذ الشخص

لا يجب لنفسه إلا الخير، والخير كلمة جامعة لجميع أنواع البر والطاعات أو المباحات الدنيوية والأخروية وتخرج المنهيات.

ما يجب لنفسه: أي الذي يجب لنفسه من الخير، وهذا وارد مورد المبالغة، وإلا

فلا بد من بقية الأركان.

فوائد الحديث:

١. من علامات الإيمان الكامل أن يحب الإنسان لأخيه المسلم ما يجب لنفسه

من الخير.

وقد جاء في الحديث عن يزيد بن أسد: قال: قال لي رسول الله ﷺ: (أحب

الجنة؟ قلت: نعم، قال: فأحب لأخيك ما تحب لنفسك) رواه أحمد.

٢. المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة، فيحب لها ما يجب لنفسه من حيث أنها

نفس واحدة، كقوله ﷺ: (المسلمون كالجسد الواحد).

٣. أن أخوة الإيمان أعظم وأقوى رابطة من أخوة النسب.
٤. الحث على التواضع ومحاسن الأخلاق، فحبه لأخيه الخير كما يجب لنفسه دليل على تواضعه، وأنه لا يجب أن يكون أفضل من غيره.
٥. الحث على ترك البغضاء والغل.
٦. الترغيب في محبة المسلمين بعضهم بعضاً وائتلافهم، لأن ذلك يؤدي إلى التعاضد والتناصر.
٧. أن يفرح المؤمن بما يرى على أخيه من النعم، ويغتم بما يلقي عليه من الكرب والغم، ويسعى في تفريجه عنه.
٨. أن يرى لأخيه من الحق والفضل على نفسه أكثر مما يرى له أخوه.
٩. ويؤخذ من مفهومه أن يكون أولاد أخيه في الله أولاده، فقد كان كثير من السلف الصالح يقوم بكلفة أولاد إخوانهم في الله، ويصرفون إليهم كسيهم كما يصرفونها إلى أولادهم.
١٠. الحرص على الأعمال التي تؤدي إلى زيادة الإيمان كحب الخير للمسلمين.
١١. التحذير من الأعمال التي تؤدي إلى نقصان الإيمان كعدم محبة الخير للمسلمين.
١٢. أن الإيمان يتفاضل، ومن منقصات الإيمان الحسد والأنانية وكره الخير للمسلمين.
١٣. أن المسلم لا يتمنى زوال النعمة لأخيه، ولا يكره ما يقسمه الله له.

١٤. أن حب التفرد عن الناس بفعل ديني أو دنيوي مذموم.
١٥. أن الحديث أصل في الولاء والبراء؛ فالأول بالمنطوق، والثاني بالمفهوم.

ما ينبغي معرفته:

١. المقصود بنفي الإيثار:
قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (الْفَتْحِ): (وَالْمُرَادُ بِالنَّفْيِ كَمَالُ الْإِيمَانِ، وَنَفْيُ اسْمِ الشَّيْءِ عَلَى مَعْنَى نَفْيِ الْكَمَالِ مُسْتَفِضٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَقَوْلِهِمْ: فَلَانَ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ وَيُقْصَدُ نَفْيُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ).
وَقَالَ النَّوَوِيُّ: (مَعْنَاهُ: لَا يُؤْمَنُ الْإِيمَانُ التَّامُّ، وَإِلَّا فَأَصْلُ الْإِيمَانِ يَحْصُلُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ).
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعْنَاهُ: لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدٍ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). اهـ
٢. هذا الحديث أصل في الأخوة الإيمانية، ولها ضابطان:
الأول: أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهذا هو العدل الواجب.
والثاني: أن يحب لأخيه أكثر من نفسه، وهذا هو الإيثار، وهو مندوب في الأمور الدنيوية.

٣. كيف يحصل المرء هذه الخصلة؟

يأتي ذلك بالتمرن عليه وتعويد النفس عليه، أما أن تطيع نفسك فسيصعب عليك، وهو ينشأ من سلامة الصدر من الغش والغل والحسد.

٤. حب المسلم الهداية لأخيه وقيامه بالفرائض واجب، وأما حبه له تحصيل أمور الدنيا المباحة فهو مستحب.

٥. المطلوب هو أن يتمنى المسلم لأخيه أن يجد نظير ما يحصل لنفسه لا عينه، سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية.

٦. قوله: (حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) لعل المراد ترك الحسد والعداوة، وحصول كمال المودة حتى يقرب أن ينزل أخاه منزلة نفسه في الخيرات بطريق الكناية، أو المراد أن يحب ذلك في الأعم الأغلب، ولا يلزم في كل شيء سيما إذا لم يكن لذلك الشيء إلا فرد واحد كالوسيلة والمقام المحمود، فإنه لا يمكن الاشتراك فيه حتى يحبه لغيره، وبهذا يندفع الإشكال بسؤال سليمان تخصيص الملك بقوله:

﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة ص: ٣٥].

وبما حكاه الله عن عباده الصالحين من قولهم واجعلنا للمتقين إماماً، فإنه ظاهر في الخصوص، والعموم في الإمامة يرفع الإمامة من أصلها كما لا يخفى، وبتخصيص النبي ﷺ سؤال الوسيلة بنفسه، وأمره الأمة بذلك السؤال والله تعالى أعلم. قاله السندي في حاشيته على صحيح البخاري (١ / ١٤) وهو كلام في غاية النفاسة.

٧. لم ينص على أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه؛ وهو مطلوب كذلك، لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه.

٨. أن هذا الحديث لا يخالف الحديث الذي رواه أبو داود وصححه الألباني

عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَانَ جَمِيلًا - فَقَالَ:

حُبِّبْ إِلَيَّ الْجَمَالَ، وَأَعْطَيْتَ مَا تَرَى! حَتَّى مَا أُحِبُّ أَنْ يُفَوِّقَنِي أَحَدٌ، إِمَّا

قَالَ: بِشِرَاكِ نَعْلٍ. وَإِمَّا قَالَ: بِشَسْعٍ أَحْمَرَ. الْكِبَرُ ذَاكَ؟ قَالَ: "لَا؛ وَلَكِنَّ

الْكِبَرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَطَ النَّاسَ". فإنما فيه أنه أحب أن لا يعلو عليه

أحد، وليس فيه محبة أن يعلو هو على الناس، بل يصدق هذا أن يكون

مساويا لأعلاهم فما حصل بذلك محبة العلو عليه والانفراد عنهم، فإن

حصل لأحد فضيلة خصصه الله بها عن غيره فأخبر بها على وجه الشكر،

لا على وجه الفخر كان حسنا كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "أنا سيد ولد آدم

ولا فخر، وأنا أول شافع ولا فخر". وقال ابن مسعود: لو أعلم أحدا

أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته. قاله ابن رجب.

الحديث الرابع عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُقَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ ". رواه البخاري ومسلم

أهمية الحديث:

الحديث من قواعد الشرع العظيمة لتعلقه بأخطر الأشياء: المحافظة على الدين والأعراض والأنساب والدماء، وتبيينه ما يحل من الدماء وما لا يحل، وأن الأصل في دم المسلم العصمة.

شرح ألفاظ الحديث:

لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: أي لا يحل إراقة دمه كله وهو كناية عن قتله ولو لم يرق

دمه.

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ: تأكيد على إسلامه وقيامه بأمر الدين،

ولم يأت بما ينقضه.

إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: أي: ثلاث خصال فإنه يجب على الإمام القتل بها لما فيه من

المصلحة العامة.

الثَّيْبُ الزَّانِي: من تزوج ووطئ في نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك.

والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ: هو من قتل مسلماً متعمداً بغير حق.

والتارك لدينه: المقصود به المرتد عن دين الإسلام.

المفارق للجماعة: ظاهره: أنّه أتى به نعتًا جاريًا على التارك لدينه؛ لأنّه إذا ارتد

عن دين الإسلام، فقد خرج عن جماعتهم، غير أنه يلحق بهم في هذا الوصف كل من خرج عن جماعة المسلمين، وإن لم يكن مرتدًا، كالخوارج، وأهل البدع إذا منعوا أنفسهم من إقامة الحدّ عليهم، وقتلوا عليه، وأهل البغي، والمحاربون، ومن أشبههم؛ فيتناولهم لفظ "المفارق للجماعة" بحكم العموم. قاله القرطبي في المفهم.

وقال ابن بطال: «التارك لدينه» يريد الخارج منه، فيحتمل أن يكون خروجه بترك الجماعة أو ببغي عليها؛ فيقاتل على ذلك، حتى يفى إلى دينه وإلى الجماعة، وليس بكافر بخروجه، ويمكن أن يكون خروجه كفرًا وارتدادًا. اهـ

فوائد الحديث:

١. تعظيم حرمة دم المسلم.
٢. بيان عظم هذه الذنوب على وجه الخصوص لأنها استثنيت من القاعدة وأبيح لأجلها الدم.
٣. أن الحدود في الإسلام رادعة، ويقصد منها الوقاية والحماية.
٤. أن الدين يأمر بالجماعة وينهى عن الفرقة ولذلك قال: "التارك لدينه المفارق للجماعة" فمن ترك دينه فقد فارق الجماعة لأن الدين هو الجماعة.
٥. الحديث ذكرت فيه ثلاث من الضروريات الخمس: .

- أ. حفظ الأعراض " الثيب الزاني " حيث شرعت هذه العقوبة حفظاً للأعراض.
 ب. حفظ النفس " النفس بالنفس " حيث شرعت هذه العقوبة حفظاً للأنفس.
 ج. حفظ الدين " التارك لدينه المفارق للجماعة " حيث شرعت هذه العقوبة حفظاً للدين.

٦. أن غير المسلم يحلّ دمه ما لم يكن معاهداً، أو مستأمناً، أو ذميّاً، فإن كان كذلك فدمه معصوم.

والمعاهد: من كان بيننا وبينه عهد، كما جرى بين النبي ﷺ وقريش في الحديبية.
والمستأمن: الذي قدم من دار حرب لكن دخل إلينا بأمان لبيع تجارته أو شراء أو عمل، فهذا محترم معصوم حتى وإن كان من قوم أعداء ومحاربين لنا، لأنه أعطي أماناً خاصاً.

والذميّ: وهو الذي يسكن معنا ونحميه ونذبّ عنه، وهذا هو الذي يعطي الجزية بدلاً عن حمايته وبقائه في بلادنا.

١. أن كلّ من فارق الجماعة يصدق عليه: أنه بدّل دينه، غير أن المرتدّ بدّل كلّ الدّين، وغيره من المفارقين بدّل بعضه.

مما ينبغي معرفته:

١. لا يسقط القتل عن الزاني المحصن إذا وصل الأمر إلى الحاكم وثبت عليه، ويسقط عن المرتد بتوبته، وعن القاتل بعفو أحد أولياء الدم.

٢. قد يُقتل المسلم بغير الثلاث المذكورة في الحديث، وقد تندرج هذه الأمور

ضمنياً تحت الثلاث، وهي:

١ - اللواط: يُقتل بسببه المسلم، سواء كان مُحصناً أو غير مُحصن، ذهب إلى ذلك: أبو بكر، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس، وجابر، والزهرى، ومالك، وإسحاق بن راهويه، وأحمد، والشافعي، وحجتهم في ذلك: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ". رواه أبو داود وغيره وهو حديث صحيح.

٢ - قتل مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشُقَّ عصا المسلمين؛ وذلك لقوله ﷺ: "مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، وَيَفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ". ولقوله: "إِذَا بُويعَ خَلِيفَتَانِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا".

٣ - الإفساد في الأرض وقطع الطريق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

٤ - تارك الصلاة.

٥ - مَنْ طَلَبَ أَخَذَ مَالِ إِنْسَانٍ أَوْ حَرِيمِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

٦ - السَّاحِرُ يُقْتَلُ، قَالَ بِذَلِكَ: أَحْمَدُ، وَمَالِكٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وهؤلاء يقولون بكُفْرِهِ بِسِحْرِهِ، وَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمُرْتَدِّ، فَيَنْدَرُجُ تَحْتَ النُّصُوصِ الَّتِي تَنْصُ عَلَى قَتْلِ الْمُرْتَدِّ، كَمَا رَوَى عَنْ عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَحَفْصَةَ، وَجُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَجُنْدَبِ بْنِ كَعْبٍ، وَقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ.

والشافعي يرى أنه إذا بلغ سحره الكُفْرَ يُقْتَلُ، كما يشهد لذلك ما رواه مالك في (الموطأ) عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة، أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها، سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت.

قال مالك: (السَّاحِرُ الَّذِي يَعْمَلُ السَّحْرَ وَلَمْ يَعْمَلْ ذَلِكَ لَهُ غَيْرُهُ، هُوَ مِثْلُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢])، فَأَرَى أَنْ يُقْتَلَ إِذَا عَمِلَ ذَلِكَ هُوَ نَفْسُهُ). اهـ

٣. قوله **ﷺ**: «الثيب الزاني» لا يدخل فيه العبيد، وقد اتفق الكوفيون مع مالك مع أن من شروط الإحصان الموجب للرجم عندهم: الحرية والبلوغ والإسلام؛ فإذا زنا العبد، وإن كان ذا زوجة فحده الجلد عندهم، فكما لم يدخل العبيد في قوله **ﷺ**: «الثيب الزاني» فكذلك لم يدخل في عموم قوله تعالى: {النفس بالنفس} [المائدة: ٤٥]. ابن بطال.

٤. الحديث يقرر قاعدة في الدماء أما تطبيقها فلولي أمر المسلمين أو من يقوم مقامه، بدليل سيرة الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح فلم يثبت أن أحدهم

قتل زانياً ثيباً أو قاتلاً لنفس بل كان ذلك يرجع لولي الأمر، وذلك حتى لا تعم
الفوضى في المجتمع الإسلامي.

الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتْلُ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ؟" رواه البخاري ومسلم.

أهمية الحديث:

قَالَ الْحَافِظُ: هَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لِأَنَّ الْقَوْلَ كُلَّهُ إِمَّا خَيْرٌ وَإِمَّا شَرٌّ وَإِمَّا آيِلٌ إِلَى أَحَدِهِمَا فَدَخَلَ فِي الْخَيْرِ كُلُّ مَطْلُوبٍ مِنَ الْأَقْوَالِ فَرَضُهَا وَنَذْبُهَا فَأَذِنَ فِيهِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَدَخَلَ فِيهِ مَا يؤولُ إِلَيْهِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِمَّا هُوَ شَرٌّ أَوْ يَتَوَلَّى إِلَى الشَّرِّ فَأَمَرَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْخَوْضِ فِيهِ بِالصَّمْتِ.

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْحَدِيثُ عَلَى أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ تَجْمَعُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ الْفِعْلِيَّةِ وَالْقَوْلِيَّةِ. اهـ

شرح الفاظ الحديث:

من كان يؤمن: أي الإيمان الكامل.

يؤمن بالله واليوم الآخر: فيه تنبيه على الامتثال لأن من آمن بالله لزمته طاعته ومن آمن باليوم الآخر لزمه امتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه خوف الحساب عليه. قاله الحافظ.

لأن مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى حَقَّ إِيمَانِهِ، خَافَ وَعِيدَهُ رَجَاءَ ثَوَابِهِ، وَمَنْ آمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، اسْتَعَدَّ لَهُ، وَاجْتَهَدَ فِي فِعْلِ مَا يَدْفَعُ بِهِ أَهْوَالَهُ وَمَكَارِهِ، فَيَأْتِمُرُ بِمَا أَمَرَ بِهِ،

وينتهي عما نهي عنه، ويتقرب إلى الله تعالى بفعل ما يقرب إليه. قاله القرطبي في المفهم.

فليقل خيراً أو ليصمت: معناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً، فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه، فليُمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأموراً بتركه، مندوباً إلى الإمساك عنه؛ مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالباً، وقد قال الله تعالى:

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: ١٨]. قاله النووي.

ومعنى هذا أن المرء إذا أراد أن يتكلم فليفكر قبل كلامه فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى محرم ولا مكروه فليتكلم.

وإن كان مباحاً فالسلامة في السكوت لثلا يجر المباح إلى المحرم والمكروه.

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره: أي أن من كمال الإيمان، وصدق الإسلام: الإحسان إلى الجار، والبر به، والكف عن أذاه، وتحمل ما صدر منه، والبشر في وجهه وغير ذلك كما لا يخفى رعايته على الموفقين وقد قال تعالى:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

فليكرم جاره: الجارُ هنا: يصلُحُ للمجاوِرِ لك في مسكنك، ويصلُحُ للداخل في جوارك وحرمتك؛ إذ كُلُّ واحد منهما يجبُ الوفاءُ بحقه، وتحرمُ أذيتُهُ تحريمًا أشدَّ من تحريم أذى المسلم مطلقًا.

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه: لأنه من أخلاق الأنبياء والصالحين، وآداب الإسلام، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يكنى أبا الضيفان، وكان يمشي الميل والميلين في طلب الضيف.

فوائد من الحديث:

١. الحديث يدعو إلى حسن معاشرة الآخرين، وحسن المعاشرة تؤدي إلى نشر المحبة بين الناس، والمحبة تؤدي إلى التآلف والترابط.
٢. فيه دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في أن الأعمال من الإيمان ولذلك ربط بين الأعمال مع الإيمان بالله واليوم الآخر.
٣. فيه دليل على وجوب حفظ اللسان ليس عن الحرام فقط بل عن كل ما لا فائدة من ورائه.
٤. وجوب السكوت إلا في الخير.
٥. أن آفات اللسان أسرع الآفات للإنسان، وأعظمها في الهلاك والخسران.
٦. أن الأصل ملازمة الصمت إلى أن تتحقق السلامة من الآفات، والحصول على الخيرات.
٧. أن فعل المؤمن يتعدى للجار القريب، وللضيف البعيد.

٨. تعريف حق الجار، والحث على حفظ جواره وإكرامه.
٩. الأمر بإكرام الضيف، وهو من آداب الإسلام وخلق النبيين.
١٠. دين الإسلام دين الألفة والتقارب والتعارف بخلاف غيره.
١١. أن الإيمان بالله واليوم الآخر أصل لكل خير، ويبعث على المراقبة والخوف والرجاء، ويتضمن المبدأ والمعاد، وأقوى البواعث على الامتثال.

أمور ينبغي معرفتها:

١. أن الكلام بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإدمان الذكر وتلاوة القرآن أفضل من الصمت لأن الكلام بذلك غنيمة والصمت سلامة والغنيمة فوق السلامة.

٢. الضيف: هو الذي نزل بك وأنت في بلدك وهو مأرّ مسافر، فهو غريب محتاج، وإكرام الضيف من الإيمان، ومن مظاهر حُسن الإسلام. فقد روى مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي شريح الخزاعي قال رسول الله ﷺ: "الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة"، والجائزة: العطية والمنحة والصلة، وذلك لا يكون إلا مع الاختيار.

٣. هل يجب إكرام الضيف؟

اختلف أهل العلم في ذلك، قال النووي: قد أجمع المسلمون على الضيافة، وأنها من متأكدات الإسلام، ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والجمهور: هي سنة ليست بواجبة، وقال الليث وأحمد: هي واجبة يومًا وليلة. اهـ

قال ابن القيم: إن للضيف حقاً على مَنْ نزل به، وهو ثلاث مراتب: حق واجب، وتمام مستحب، وصدقة من الصدقات، فالحق الواجب: يوم وليلة، وقد ذكر النبي ﷺ المراتب الثلاثة في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي شريح الخزاعي. انتهى

وهذا القول هو الصواب.

٤. أن الضيافة الواجبة إنما تكون فيمن نزل قرية أو بادية ولا يجد أين يطعم ويأكل، وأما في المدن فالأمر متيسر، ولهذا قال الإمام أحمد: الضيافة واجبة يوماً وليلة على أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن.

٥. أن الأمر بالإكرام يختلف بحسب المقامات فربما يكون فرض عين أو فرض كفاية وأقله أنه من باب مكارم الأخلاق.

٦. يكون إكرام الجار بأن يصل إليه برّه، وأن تحصل له السلامة من شرّه.

٧. الضيف الذي يجب إكرامه، وله حق على المضيف، هو الضيف المسافر، وهو القادم من بلد آخر، وقيدّها بعضهم بمن هو مجتازٌ ومازَّ بك إلى مكان آخر.

وأما الزائر من البلد نفسه فلا شك أن إطعامه وإكرامه يدخل في عموم الأمر بإطعام الطعام والإحسان إلى الناس، ولكنه ليس هو الضيف الذي أوجب النبي ﷺ إكرامه، وجعل له حقاً في مال المضيف.

٨. ينبغي للضيف ألا يزيد في إقامته على ثلاثة أيام، إلا إذا ألح من أضافه عن طيب نفس، ويعلم ذلك بالقرائن، وينبغي له أن ينصرف طيب النفس، وإن جرى

في حقه تقصير؛ لأنه من حسن الخلق والتواضع، ولقول النبي ﷺ كما عند مسلم
عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ: "وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ"،
قال: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: "يقيم عنده، ولا شيء له يَقْرِيهِ به".

٩. جمع رسول الله ﷺ بين ذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في هذه
الأمور الثلاثة؛ لأنَّ الإيمان بالله هو الأساس في كلِّ شيء يجب الإيمانُ به، فإنَّ أيَّ
شيء يجب الإيمان به تابعٌ للإيمان بالله، وأمَّا الإيمان باليوم الآخر ففيه التذكير بالمعاد
والجزاء على الأعمال، إن خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌ.

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ". رواه البخاري.

أهمية الحديث:

هذا الحديث من البدائع التي جمعت خيري الدنيا والآخرة في كلمة واحدة.

قال ابن حجر الهيتمي: هذا الحديث من بدائع جوامع كلمه التي خص بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن التين: جمع في قوله: "لا تغضب" خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، وربما آل إلى أن يؤذي المغضوب عليه، فينقص ذلك من الدين

شرح ألفاظ الحديث:

أَنَّ رَجُلًا: السائل هو جارية بن قدامة رواه بن أبي شيبه والحاكم في المستدرک من حديثه. قاله الحافظ.

أَوْصِنِي: أي مرني بأمر أنتفع به، يقال: أوصى فلان فلانا بالشيء: أمره به وفرضه عليه.

لَا تَغْضَبُ: أي اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لها يجلبه وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة. قاله الخطابي

فَرَدَّدَ مِرَارًا: أي ردد السؤال يلتمس أنفع من ذلك أو أبلغ أو أعم فلم يزدده على ذلك.

فوائد الحديث:

١. الوصية بترك الغضب فيه نهى عن أمرين: الأول عن الأسباب التي تقود إلى الغضب، من كبر وجدال ومزاح وخصام، والتحلي بعكسها. الثاني عن آثاره وعن العمل بمقتضى الغضب: ويكون ذلك بالسكوت بكظم الغيظ والاستعاذة وتغيير المجلس أو الجلسة، وتذكير النفس بعاقبة الغضب، وغير ذلك.

قال الخطابي: وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهي عنه لأنه أمر طبيعي لا يزول من الجبلة.

ولهذا قال عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: إذا لم يغضب الرجل لم يحلم لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب.

٢. في الحديث الوصية بترك الغضب قولاً وفعلاً، فإن النبي ﷺ ما يزال يكرر الأمر للرجل ولم يغضب منه صلوات ربي وسلامه عليه.

٣. أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو ولهذا جعل النبي ﷺ الذي يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة.

ما ينبغي معرفته:

١. أَنَّ الْغَضَبُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ مَا كَانَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا كَانَ لَهُ سَبْحَانَهُ فَهُوَ مَطْلُوبٌ، وَكَانَ ﷺ لَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَإِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَاتُ اللَّهِ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ غَضَبًا وَانْتِقَامًا لَهُ.

٢. الغضب نزعان:

النوع الأول: الغضب المحمود:

وهو ما كان لله تعالى عندما تنتهك محارمه، وهذا النوع من ثمرات الإيمان، إذ أن الذي لا يغضب في هذا المحل ضعيف الإيمان. فمن لم يغضب لانتهاك أعراض المسلمين واغتصاب نسائهم، وانتشار الرذيلة ومحاربة الفضيلة وإشاعة الفاحشة، والاستهزاء بالدين وبالمستقيمين فمن لم يغضب لهذا ففي إيمانه خلل ودخن.

وقد كان النبي ﷺ يغضب لله:

غضب لما وجد تصاوير في الستر الذي وضعته عائشة.
غضب كذلك لما جاء أسامة بن زيد يشفع في حد من حدود الله.
غضب على رجلٍ لما شقَّ على الناس بإطالته للصلاة.

النوع الثاني: الغضب المذموم:

وهو الغضب في غير الحق، كالحمية الجاهلية أو في سبيل الباطل والشيطان أو الغضب لحظ النفس وحب التشفي والانتقام.

يقول ابن حبان كما في روضة العقلاء ص ١٤٠: "لو لم يكن في الغضب خصلة تُذمُّ إلا إجماع الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأي له، لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب. أه

٣. أن الغضب لله لا بد أن يكون منضبطاً بضوابط الشرع، حتى لا يخرج هذا الغضب عن حد الاعتدال فيحيد عن الحق ويقع في الباطل بدافع الغضب لله. فقد أخرج الإمام مسلم عن جندب البجلي عن الحبيب النبي ﷺ قال: "إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله: مَنْ ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرت لفلان، وأحببت عملك".

وكان من دعاء النبي ﷺ (وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب). النسائي عن عمار رضي الله عنه.

٤. أن الغضب يختلف بحسب قوة الإنسان وضعفه، فإذا كان الإنسان غاضباً على من دونه احمر لكثرة الدم في البدن، والبشرة تحكي لون ما وراءها، وإذا خاف من فوقه انقبض الدم حتى يصفر، وإذا كان نظيراً له تردد الدم بين الانقباض والانبساط والحمرة والصفرة.

٥. اختلف فيمن السائل فقيل: هو أبو الدرداء، فقد خرّج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: "لا تغضب ولك الجنة" صحيح الترغيب.

وقيل: هو جارية بن قدامة رضي الله عنه، وقد روى الأحنف بن قيس عن عمه جارية بن قدامة: أن رجلاً قال: يا رسول الله، قل لي قولاً وأقلل عليّ؛ لعلّي أعقله، قال: "لا تغضب"، فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول: "لا تغضب".

وقد عارضه يحيى القطان بأن جارية المذكور تابعي لا صحابي.

موعظة:

الغضب شعلة نارٍ تشتعل في القلب، فيغلي الدم في القلب طلباً للانتقام، فتمتد غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعلى البدن كما يرتفع الهاء الذي يغلي في القدر؛ فينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة: كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان.

وينشأ من ذلك أيضاً كثير من الأقوال المحرمة: كالقذف والسب والفحش وربما إلى درجة الكفر.

هكذا الغضب يفعل بأهله، فالغضب داء عضال، ومرض قلبي خطير استشرى بين أبناء المسلمين

فكم حلّت من مصيبةٍ ودمارٍ وهلاكٍ من أجل الغضب!

وكم وقعت من خصومات ومشاجرات.

وكم تعادى الإخوان وتهاجر الجيران.

وكم قُطِّعت من أرحام.

وكم طُلِّقت من زوجات.

وكم أزهقت من أرواح وقتل أبرياء بسبب الغضب!
ولهذا قال بعض الحكماء: أول الغضب جُنُونٌ وآخره نَدَم.
وقد جاء عن السلف رحمهم الله نقولٌ عديدةٌ في التحذير من الغضب وبيان
نتائجه وعواقبه الوخيمة وذروتهم نبينا ﷺ
فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "كأنني أنظر إلى رسول
الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم صَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، وهو
يمسحُ الدمَ عن وجهه، ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".
وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيتها؟
فَنَكَّسَ الرجل رأسه واستحى.
وقال أبو ذر لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ قال: أردت أن أغيثك،
قال: لأجمعن مع الغيث أجراً أنت حر لوجه الله تعالى.
وأسمعَ رجلٌ عمر بن عبد العزيز كلاماً يكرهه، فقال عمر: أردت أن يستفزني
الشيطان لعزة السلطان، فأنا منك اليوم ما تناله مني غداً (يوم القيامة) انصرف
رحمك الله.
ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد في ليلة مظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع
الرجل رأسه وقال: أجنون أنت؟ (وما علم أنه أمير المؤمنين) فقال عمر: لا، فهمم
به الحرس، فقال عمر: مه إنما سألني أجنون؟ فقلت: لا.

الحديث السابع عشر

عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِئِذَا أَحَدُكُمْ شَفَرْتَهُ، وَلِئِذَا ذَبَحْتَهُ". رواه مسلم

التعريف بالراوي:

شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري، يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين، من فضلاء الصحابة وعلمائهم. قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم، وقال خالد بن معدان: لم يبق بالشام أحدٌ كان أوثق ولا أفقه ولا أَرْضَى من عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس

كانت له عبادة واجتهاد، وكان إذا دخل فراشه يتقلب عليه، ولا يأتيه النوم، فيقول: اللهم إن النار قد أسهرتني وأذهبت عني النوم، ثم يقوم فيصلي حتى يصبح.

أهمية الحديث:

هذا الحديث متضمن لجميع قواعد الإسلام، حيث دل على وجوب الإحسان إلى النفس، بحملها على الإخلاص في العمل، وإتقان جميع العبادات والمعاملات.

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة.

وقال النووي: هذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ: أي: أمر به، وحض عليه.

الإِحْسَانُ: بمعنى: الإحكام، والإكمال، والتحسين في الأعمال المشروعة، فحَقُّ من شرع في شيء منها أن يأتي به على غاية كماله، ويحافظ على آدابه المصححة، والمكملة، وإذا فعل ذلك قُبِلَ عمله، وكَثُرَ ثوابه.

فالإحسان بالمعنى العام هو بذل جميع المنافع من أي نوع كان لأي مخلوق كان، ويتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي إلى ذلك.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ: على هنا بمعنى في، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]؛ أي: في ملكه. ويقال: كان كذا على عهد فلان؛ أي: في عهده.

فَإِذَا قَتَلْتُمْ: يدخل في ذلك القصاص والحد.

فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ: بكسر القاف، وهي: هيئة القتل.

والمعنى: إذا قتلتم قصاصاً أو حداً فاخترأوا أسهل الطرق وأخفها وأسرعها زهوقاً.

والأمر يحمل على عمومته في كل شيء من التذكية، والقصاص، والحدود، وغيرها، وليجهز في ذلك، ولا يقصد التعذيب.

وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ: إحسان الذبح في البهائم: الرفق بالبهيمة، فلا يصرعها بعنف، ولا يجزئها من موضع إلى موضع، وإحداد الآلة، وإحضار نية الإباحة، والقرينة، والتسمية، والإجهاز، وقطع الودجين والحلقوم، وإراحتها، ونحو ذلك.

وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ: أي سكينه.
وَلْيُزَيِّحْ ذَبِيحَتَهُ: بإحداد السكين وتعجيل إمرارها وغير ذلك.
وهذا كله من أنواع الإحسان مع البهيمة.

فوائد الحديث:

١. عظيم رحمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه وإحسانه إليهم.
٢. أن الله عز وجل له الأمر وإليه الحكم، لقوله: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ"
٣. أن الإحسان مطلوب في كل شيء؛ حتى في القتل والذبح.
٤. فيه النهي عن تعذيب المقتول وكذا الذبيحة.
٥. أن إحسان الذبحة، بأن نذبحها على الوجه المشروع.
٦. في الأمر بإحسان القِتلة نهْيٌ عن المثلة والتعذيب إلا إذا كان مستحقاً لذلك، كأن يكون الذي القاتل قتل بالتمثيل فإنه يمثل به، مثلما فعل الرسول ﷺ بالعربيين، حيث سملهم وقطع أيديهم وأمر بالقائهم في الرمضاء يستسقون فلا يسقون؛ لأنهم فعلوا ذلك بالراعي، والقتل قصاصاً يمكن أن يكون مثل الهيئة التي حصل بها القتل.

واليهودي الذي رض رأس امرأة بين حجرين أمر الرسول ﷺ برأسه أن يرض بين حجرين، والمعنى أن يقتل كما قتل، وكذلك جاء ما يدل على جواز القتلة الشديدة في مثل الزاني المحصن فإنه يرجم بالحجارة حتى يموت؛ لأن هذا جاءت الشريعة به.

فيحسن القتل لمن يكون مستحقاً لذلك، أما من يكون مستحقاً لأن توقع به عقوبة شديدة جاءت الشريعة بتحديد لها كالرجم في حق المحصن فإنه يفعل به ذلك، وهذا هو الحكم الذي شرعه الله عز وجل، ولا يأخذ الناس رافة بالذي حصل منه ذلك الذنب الذي يستحق به هذه العقوبة، بل يطبق في حقه ما شرعه الله عز وجل.

٧. إذا وجب الإحسان إلى من استحق القتل لحق الله تعالى أو حق آدمي، وطُلب الإحسان إلى ما أبيح لنا ذبحه؛ فلأن يُطلب الإحسان فيما سوى ذلك من معاملات الخلق هو أولى وأحرى، فما أجمل تمثيل النبي ﷺ وأحسنه.

٨. كمال هذه الشريعة واشتمالها على كل خير، ومن ذلك رحمة الحيوان والرفق بالحيوان.

٩. حسن تعليم النبي ﷺ للصحابة، ومن ذلك ضرب الأمثال كما في الحديث.

١. يختلف حكم الإحسان في الشرع: فتارة يكون واجبا كالأحسان إلى الوالدين والأرحام بقدر ما يحصل به أقل البر والصلة والإحسان إلى الضعيف بقدر ما يحصل به دفع حاجته، وتارة يكون مستحبا كصدقة التطوع، وغيرها.

فظاهر الحديث يدلُّ على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لقوله «كتب»، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها على وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأمَّا الإحسان فيها بإكمال مستحباتها فليس بواجب.

والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٠]. فهذا القدر من الإحسان فيها واجب؟

وأما الإحسان في الصبر على المقدورات، فأن يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تسخُّط ولا جَزَع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله، والإحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم، القيام بواجبات الولاية كُلِّها، والقدر الزائد على الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب. ابن رجب.

٢. الإحسان يشمل أمرين:

الأول: إتمام العبادة وإتقانها، والثاني: إيصال النفع إلى الآخرين.

فهو يشمل الإحسان في حق الله والإحسان في حق الخلق. فكان المحسن حقاً من أحسن في عمله وأحسن إلى غيره.

٣. قال الخطابي: لما كان العلماء ورثة الأنبياء، ومما ورثوه منهم تعليم الناس الإحسان، وكيفيته، والأمر به إلى كل شيء.. ألهم الله تعالى الأشياء الاستغفار للعلماء؛ مكافأة لهم على ذلك؛ كما قال ﷺ: "إن العالم ليستغفر له مَنْ في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف البحر". معالم السنن (٤ / ٣٩).

٤. الإحسان بين العبد وربّه: أن يعبد ربّه كأنه يراه.

والإحسان فيما بين العبد وبقيّة الناس: حسن المعاملة معهم.

والإحسان فيما بين العبد والبهائم: إطعام الجائع منها، ويسقي العطشان منها، ولا يحملها ما لا تحتمل، ويعالج المريض منها، ويرفق بها عند ذبحها.

٥. يستثنى من إحسان القتل ما كان في القصاص فإنّه يقتل القاتل بمثل ما قتل به، كاليهودي الذي رضى رأس الجارية فرض رأسه.

ويستثنى من إحسان الذبح، ما ليس مقدوراً على ذبحه، كما إذا ندت بهيمة، فتحل بطعنها في أي مكان من بدنها.

٦. هذا الحديث من الأحاديث التي ينبغي أن يضعها المسلم نصب عينيه عندما تدفعه نفسه إلى مجاوزة الحد في أخذ الحق أو المطالبة به، أو إرادة التشفّي من عدوه.

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ". رواه الترمذي.

التعريف بالراوي:

أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام، من بني غفار، أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ. كان خامس خمسة في الإسلام، ثم إنه رجع إلى بلاد قومه فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك، فلما هاجر النبي ﷺ هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. وكان يضرب به المثل في الصدق، وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام، روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثاً.

درجة الحديث:

الحديث أخرجه الترمذي وأحمد والدارمي وغيرهم من طريق سفيان الثوري عن حبيب ابن أبي ثابت عن ميمون عن أبي شبيب عن أبي ذر به. وهذا الطريق أقوى حيث رواه ابن مهدي وأبو نعيم ووكيع ويحيى بن سعيد عن سفيان به.

وأخرجه أحمد والترمذي والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني في معجمه الكبير من طريق الأعمش وليث وسفيان الثوري وأبي سنان سعيد بن سنان عن حبيب عن ميمون عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه به.

وهذا الحديث فيه انقطاع لأن ميمون لم يدرك أبا ذر ولا معاذاً، فحيثما دار الحديث دار علي ميمون وهو لم يدرك أبا ذر ولا معاذاً فالحديث منقطع.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة (١/ ١٣١): ورجاله ثقات أيضاً لكن ميمون بن أبي شبيب لم يدرك معاذاً ولا أبا ذر كما جزم به أبو حاتم وقد وجدت له شاهداً عن معاذ. اهـ

وللحديث شواهد تقويه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك ومعاذ بن جبل وأبي ذر رضي الله عنهم وهي وإن كانت بعض هذه الشواهد ضعيفة إلا أنه يتقوى بها.

أهمية الحديث:

هذا الحديث من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم جمع فيه ثلاثة حقوق: حق الله على العبد، وحق العبد على نفسه، وحق الخلق على العبد.

فصل فيه تفصيلاً بديعاً؛ فإنه اشتمل على ثلاثة أحكام، كل منها جامع في بابه، ومترتب على ما قبله.

قال ابن حجر الهيتمي: هذا الحديث جامع لسائر أحكام الشريعة؛ إذ هي لا تخرج عن الأمر والنهي، فهو كل الإسلام؛ لأنه متضمن لما تضمنه حديث جبريل من الإيمان والإسلام والإحسان. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

هذا الحديث أوصى النبي صلى الله عليه وسلم فيه بثلاث وصايا عظيمة:
اتَّقِ اللَّهَ: أصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.
حيثما كنت: أي في السر والعلانية حيث يراه الناس وحيث لا يرونه، وتشمل الزمان والمكان.

وأتبع: بمعنى ألحق، أي افعل بعدها.
السيئة: تشمل ترك بعض الواجبات، أو ارتكاب بعض المحظورات.
الحسنة: ما كان من عمل صالح.
 والمعنى: إن وقعت في سيئة، فافعل وراءها حسنة من صلاة وصدقة، وسائر ما يُوصف بالحسنة

تمحها: أي: تدفع الحسنة السيئة وترفعها.

وخالقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ: المقصود أن تُعاملهم بخُلُقٍ حسنٍ تُحمدُ عليه ولا تُدَمُّ فيه، وذلك بِطِلاقَةِ الوجه، وصدقِ القول، وحُسنِ المخاطبة، وغير ذلك من الأخلاقِ الحسنة.

فوائد الحديث:

١. أن هذه الوصية جمعت حقوق الله وحقوق العباد.
٢. عظمة هذا الدين وأنه دين شامل كامل.
٣. وجوب تقوى الله في السر والعلانية حيث يراه الناس وحيث لا يرونه، وفي كل زمان، فشمل الزمان والمكان.
٤. أن المتقي لربه قد يحصل منه ذنوب ومعاصي وليس بمعصوم.
٥. ذكر اتباع السيئة بالحسنة بعد الأمر بالتقوى ليتدارك المؤمن ما يفرط منه فتكمل تقواه.
- فإنه لما كان العبد قد يقع منه أحياناً تفريط في التقوى وتقصير في طاعة الله أو انتهاك ما حرم الله لطبعه وغفلته وغلبة الشيطان شرع الله له وأمره فعل ما يمحو هذه السيئات بفعل الحسنات.
٦. أن من رجاحة عقل المؤمن أن يتخلّص من مغبة السيئة سريعاً؛ وذلك بأن يتبعها بعمل صالح.

٧. أن الحسنات يذهبن السيئات، كما قال جل وعلا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي

النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ (١١٤).

٨. فضل الله عز وجل على العباد؛ فلو رجعنا إلى العدل لكانت الحسنة لا تمحو السيئة إلا بالموازنة، وظاهر الحديث العموم، فالحسنة ولو كانت يسيرة قد تمحو السيئة التي هي أكبر منها.

٩. أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

١٠. ثلث بذكر الخلق الحسن مع الناس لأنه من أهم خصال التقوى، ولا تكمل التقوى إلا به، قال الله سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[سورة آل عمران: ١٣٣-١٣٤]. فإن كثيرا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده لذلك يقصر كثير من الصالحين في حقوق الخلق أو يهملونها بالكلية لاشتغالهم بحقوق الله فجمع النبي ﷺ لمعاذ في وصيته بين حق الله وحق عباده.

١١. أن النبي ﷺ أعطي جوامع الكلم.

ما ينبغي معرفته:

١. التقوى: هي كلمة جامعة لفعل الأوامر، وترك النواهي، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، واكتساب الفضائل، واجتناب الرذائل، وحقيقتها متوقفة على العلم، لأن الجاهل لا يدري كيف يتقي ولا ماذا يتقي.

٢. الأمر بتقوى الله سبحانه وتعالى في القرآن على ثلاث مراتب:

الأولى: تقوى أمر بها الناس جميعاً ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، وهذا معناه أن يسلموا أن يحققوا التوحيد، ويتبرؤوا من الشرك، فمن أتى بالتوحيد، وسَلِمَ من الشرك فقد اتقى الله جل وعلا أعظم أنواع التقوى، ولهذا قال جماعة من المفسرين في قوله جل وعلا ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧] يعني من الموحدين.

الثانية: تقوى أمر بها الله عز وجل المؤمنين فقال جل وعلا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]. وهذه التقوى للمؤمن تكون بعد تحصيله التوحيد وترك الشرك، فيكون التقوى في حقه أن يعمل بالطاعات، وأن يجتنب المحرمات، وهي على مراتب وأعلاها أن يدع ما لا بأس به حَذَرًا مما به بأس وهي المرادة في الحديث.

الثالثة: تقوى أمر بها من هو آتٍ بها، وذلك قول الله جل وعلا ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب: ١] ومن أمر بشيء هو محصله، فإن معنى الأمر أن يثبت عليه، وعلى دواعيه، فمعنى قول الله جل وعلا ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [سورة الأحزاب: ١]، يعني اثْبُتْ على مقتضيات التقوى ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، وذلك قوله جل وعلا ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٣٦] فناداهم باسم الإيمان، ثم أمرهم بالإيمان، وهذا معناه أن

يثبتوا على كمال الإيمان، أو أن يكملوا مقامات الإيمان بحسب الحال. صالح آل الشيخ.

٣. ما المراد بالحسنة في قوله: (أتبع الحسنة السيئة تمحها). فيها قولان:

الأول: يراد بالحسنة هنا التوبة وقد ورد ذلك صريحا في حديث مرسل. وقد ورد هذا المعنى كثيرا في كتاب الله. وظاهر هذه النصوص تدل على أن من تاب إلى الله توبة نصوحا واجتمعت شروط التوبة في حقه فإنه يقطع بقبول توبته كما يقطع بقبول إسلام الكافر وهذا قول جمهور العلماء وهو الصحيح.

الثاني: يراد بالحسنة مطلق العمل الصالح ما هو أعم من التوبة. وقد دلت على ذلك الآيات والأحاديث المتظافرة.

والصحيح أن الحسنة في الحديث تشمل كلا القولين فهي تعم كل عمل صالح يكفر الخطايا والتوبة داخلة في ذلك.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: اتباع الحسنة السيئة على مرتبتين:

المرتبة الأولى: أن يقصد وهي العليا أن يقصد إذهاب السيئة بالحسنة التي يعملها، وهذا معه أن القلب يتبرأ من هذا الذنب، ويرغب في ذهابه، ويتقرب إلى الله جل وعلا بالحسنات حتى يَرْضَى الله جل وعلا عنه ففي القلب أنواع من العبوديات ساقته إلى أن يعمل بالحسنة؛ ليمحو الله جل وعلا عنه بفعله الحسنة ما فعله من السيئة.

والمرتبة الثانية: أن يعمل بالخير مطلقاً، والحسنات يذهبن السيئات بعامة، كل

حسنة بما يقابلها من السيئة، فالله جل وعلا ذو الفضل العظيم. اهـ

٤. حسن الخلق منه ما هو جلي ومنه ما هو مكتسب. والذي يحمل عليه نفسه حملاً أعظم أجراً، لأن القاعدة أن ما كان واجباً ومتوجهاً للعبد فإنَّ الأجر فيه على قدر المشقة.

٥. إنما كانت الحسنة تمحو السيئة لأن الشيء يزول بضده، كما نراه في المحسوسات، إلا أن فضل الله عظيم ومن هذا الفضل أن السيئة لا تمحو الحسنة، مادام العبد مؤمناً.

٦. المحو والتكفير يقع بما يتقبل من الأعمال، وأكثر الناس يقصرون في الحسنات، حتى في نفس صلاتهم فالسعيد منهم من يكتب له نصفها، وهم يفعلون السيئات كثيراً، فلهذا يُكفَّر بما يُقبل من الصلوات الخمس شيء، وبما يقبل من الجمعة شيء، وبما يقبل من صيام رمضان شيء آخر، وكذلك سائر الأعمال، وليس كل حسنة تمحو كل سيئة. شيخ الإسلام.

٧. هل تُكفَّر الأعمال الصالحة الكبائر والصغائر أم لا تكفر سوى الصغائر؟ قالت طائفة: لا تُكفر سوى الصغائر، وأما الكبائر فلا بد لها من توبة، وهو قول الجمهور.

وذهب قومٌ من أهل الحديث وغيرهم إلى أن هذه الأعمال تُكفَّر الكبائر، ومنهم: ابن حزم الظاهري.

والصحيح الذي تطمئن له النفس ما قاله شيخ الإسلام حيث قال: إن المحو والتكفير إنما يقع بما يتقبل من الأعمال، وليس كل حسنة تمحو كل سيئة، بل المحو يكون للصغائر تارة، ويكون للكبائر تارة، باعتبار الموازنة. اهـ.

وقال في منهاج السنة (٦/٢١٨): والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله له به كبائر. اهـ.

واستدل بحديث صاحب البطاقة وغيره كالبغي التي سقت الكلب، ثم قال:

وإلا فليس كل بغي سقت كلباً يُغفر لها... فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص.

وقال: دَلَّتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: عَلَى أَنَّ عُقُوبَةَ الذُّنُوبِ تَزُولُ عَنِ الْعَبْدِ بِنَحْوِ عَشْرَةِ أَسْبَابٍ:

"أَحَدُهَا": التَّوْبَةُ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

"السَّبَبُ الثَّانِي": الْإِسْتِغْفَارُ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ﴾، وَيَكُونُ فِي حَقِّ بَعْضِ الْمُسْتَغْفِرِينَ الَّذِينَ قَدْ يَحْصُلُ لَهُمْ عِنْدَ الْإِسْتِغْفَارِ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ مَا يَمْحُو الذُّنُوبَ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَطَّاقَةِ بِأَنَّ قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَقُلَتْ بِتِلْكَ السَّيِّئَاتِ؛ لَمَّا قَالَهَا بَنُو عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُصَيْبٍ الْخَلَّاصِ الَّذِي يَمْحُو السَّيِّئَاتِ وَكَمَا غَفَرَ لِلْبَغِيِّ بِسَقْيِ الْكَلْبِ لَمَّا حَصَلَ فِي قَلْبِهَا إِذْ ذَاكَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

"السَّبَبُ الثَّالِثُ": الْحَسَنَاتُ الْمَاحِيَةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ

وَزُلْفَا مِنْ أَلِيلٍ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤].

فقد يقول أحدهم: الْحَسَنَاتُ إِنَّمَا تُكَفِّرُ الصَّغَائِرَ فَقَطْ فَأَمَّا الْكِبَائِرُ فَلَا تُغْفَرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: "مَا أُجْتَنِبَتِ الْكِبَائِرُ" فَيَجَابُ عَنْ هَذَا بِوُجُوهِ:

أَحَدُهَا: أَنَّ هَذَا الشَّرْطَ جَاءَ فِي الْفَرَائِضِ، كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٣١]

فَالْفَرَائِضُ مَعَ تَرْكِ الْكِبَائِرِ مُقْتَضِيَةٌ لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الزَّائِدَةُ مِنَ التَّطَوُّعَاتِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا ثَوَابٌ آخَرُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾.
الثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ جَاءَ التَّصْرِيحُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ قَدْ تَكُونُ مَعَ الْكِبَائِرِ

كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ «غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: ... وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ.

الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَنَحْوِهِمْ "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ".
إِنْ حُمِلَ عَلَى الصَّغَائِرِ أَوْ عَلَى الْمَغْفِرَةِ مَعَ التَّوْبَةِ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ.

فَكَمَا لَا يَجُوزُ حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى الْكُفْرِ لِمَا قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْكُفْرَ لَا يُغْفَرُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ لَا
يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَى مُجَرَّدِ الصَّغَائِرِ الْمُكَفَّرَةِ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ. اهـ^(١)

^(١) مختصرًا من مجموع الفتاوى (٧ / ٤٨٧)، وراجعته ترى كلامًا جميلًا تطمئن به نفسك للجمع بين الأدلة.

الحديث التاسع عشر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِي: "يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ".

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: "احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

التعريف بالراوي:

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهو من المكثرين، ولُقِّبَ بترجمان القرآن، وكان يسمى البحر؛ لغزارة علمه، فهو من الراسخين فيه، وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله: "اللهم فقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وعلمه التأويل"، روي له ١٦٦٠ حديثًا.

قال مَسْرُوق: كنت إذا رأيت عبد الله بن عباس قلت: أجهل الناس، فإذا تكلم قلت: أفصح الناس، فإذا تحدّث قلت: أعلم الناس. وكان عمر بن الخطّاب يقربه ويدنيه ويشاوره مع جلة الصحابة. وكُفَّ بصره في آخر عمره.

توفي بالطائف سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى وسبعين سنة، صلى عليه محمد ابن الحنفية، وقال: مات اليوم والله خير هذه الأمة.

أهمية هذا الحديث:

قال الحافظ ابن رجب: هَذَا الْحَدِيثُ يَتَضَمَّنُ وَصَايَا عَظِيمَةً وَقَوَاعِدَ كُتِّبَتْ مِنْ أَهَمِّ أُمُورِ الدِّينِ.

وقال ابن الجوزي: تَدَبَّرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَأَذْهَشَنِي وَكِدْتُ أَطِيشُ، فَوَا أَسْفَا مِنْ الْجَهْلِ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَقَلَّةِ التَّفَهُّمِ لِمَعْنَاهُ.

شرح ألفاظ الحديث:

يا غلام: الغلام يطلق على الصبي من حين يولد إلى حين يقارب سن البلوغ.

وعبد الله بن عباس كان سنه آنذاك ما يقارب العشر السنين.

إِنِّي أَعَلَّمْتُكَ كَلِمَاتٍ: أي فصولاً مفيدة في دفع البلاء وجلب المنافع والآلاء.

احفظ الله: المراد: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، وحفظ ذلك:

هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا

يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك، فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه.

يحفظك: يعني: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٤٠]، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وقال: ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧].

احفظ الله تحذره تجاهك: وفي رواية: **أمامك:** معناه: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوقفه ويسدده ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨] قال قتادة: من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه، فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل.

إذا سألت فاسأل الله: وذلك لأنَّ خزائن العطايا عنده ومفاتيح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فإنها تصل إلى العبد أو تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة لأنه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر **وإذا استعنت، فاستعن بالله:** الاستعانة: هي طلبُ العون من الله في الوصول إلى المقصود ويكون على الأمور الدينية وعلى الأمور الدنيوية.

وذلك لأنَّ العبدَ عاجزٌ عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضارّه، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله - عز وجل -، فمن أعانه الله، فهو المُعان، ومن خذله فهو المخذول.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ. المراد: إنَّ ما يُصيب العبدَ في دنياه مما يضرُّه أو ينفعه، فكلُّه مقدَّرٌ عليه، ولا يصيبُ العبدَ إلا ما كُتِبَ له من ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعاً.

وقد دلَّ القرآنُ على مثل هذا في قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [سورة الحديد: ٢٢]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصَّحُفُ: هو كنايةٌ عن تقدُّم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمدٍ بعيد، فَإِنَّ الْكِتَابَ إِذَا فُرِغَ مِنْ كِتَابَتِهِ، وَرُفِعَتِ الْأَقْلَامُ عَنْهُ، وَطَالَ عَهْدُهُ، فَقَدْ رُفِعَتْ عَنْهُ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ الَّتِي كَتَبَ بِهَا مِنْ مَدَادِهَا، وَجَفَّتِ الصَّحِيفَةُ الَّتِي كَتَبَ فِيهَا بِالْمَدَادِ الْمَكْتُوبَ بِهِ فِيهَا، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْكِنَايَاتِ وَأَبْلَغِهَا.

تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ: يعني: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اتَّقَى اللَّهَ، وَحَفِظَ حُدُودَهُ، وَرَاعَى حَقُوقَهُ فِي حَالِ رَخَائِهِ، فَقَدْ تَعَرَّفَ بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، وَصَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ، فَعَرَفَهُ رَبُّهُ فِي الشَّدَّةِ، وَرَعَى لَهُ تَعَرُّفُهُ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، فَجَاءَ

من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه.

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأْتُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ:

المعنى: أن كل ما حصل لك لا سبيل إلى تخلصك منه؛ لأن الله تعالى قد قدره فلا بد من أن يوجد، والشيء الذي أخطأك ولم يصيبك لا يمكن أن يصيبك، وهذا هو معنى قول المسلمين: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن).

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ: يشمل النصر في الجهادين: جهاد العدو الظاهر،

وجهاد العدو الباطن، فمن صبرَ فيها، نُصِرَ وظفر بعدوه، ومن لم يصبرَ فيها وجَزَعَ، قُهِرَ وصار أسيراً لعدوه، أو قتيلاً له، ويشمل أنواع الصبر الثلاثة.

وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكُرْبِ: أي إذا حصلت الشدة وحصل الضيق والتجأ العبد إلى

الله عز وجل؛ فإن الشدة يعقبها فرج من الله عز وجل.

وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا: هذا كقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾

[سورة الشرح: ٥-٦]. بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه

ويصاحبه، حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال

تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ﴾ [سورة الطلاق: ٧].

وتعريف "العسر" في الآيتين المتقدمتين، يدل على أنه واحد، وتنكير "اليسر"

يدل على تكراره، فلن يغلب عسر يسرين.

وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر - وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ - فإنه في آخره التيسير ملازم له.

فوائد الحديث:

١. وجوب تعليم الناس العقيدة الصحيحة.
٢. الحرص على تنشئة الأولاد على معرفة الله وتوحيده، وحفظ حدوده.
٣. أنَّ التعليم في الصغر له أثره البالغ، وقد قيل: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر.
٤. ينبغي للمعلم شد انتباه المتعلم وتهيته قبل إعطائه المعلومات، وهذا من قوله: "يا غلام، إني أعلمك كلمات..."
٥. أن من حافظ على أوامر الله، حفظه الله في الدنيا والآخرة.
٦. أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في جميع الأحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده.
٧. فيه الحثُّ على طلبِ العونِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ وحْدَه.
٨. أن من عمل في حال رخائه أعمالاً خالصة لله عز وجل، فرَّج الله عنه في حال شدته.
٩. عجز الخلائق كلهم، وافتقارهم إلى الله - عز وجل -.
١٠. التنبيه على أن هذه الدار عرضة للمصائب، فينبغي الصبر عليها.
١١. الرضا بالقضاء والقدر.

١٢. أن ما قدر الله تعالى أن يصيبك فإنه لا يخطئك.

١٣. أن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى.

١٤. أن في قوله: "وَأَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ" تسليية في حصول

المكروه، وقوله: "وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ" تسليية في فوات المحبوب.

١٥. الحرص على الوقت واستغلاله بما يعود بالنفع على المكلف في الدنيا والآخرة، فهذا هو رسول الله يستغل وقته حتى أثناء تنقله من مكان إلى آخر؛ لأن هذه الوصية قالها لابن عباس عندما كان رديفه على الدابة.

١٦. التخلق بالشجاعة والإقدام مع التعقل وأخذ الأسباب، وذلك من علم أن الضر والنفع بيد الله، وأن الإنسان لا يصيبه من ضر ولا نفع إلا ما قدر عليه، يدفعه ذلك إلى الشجاعة والإقدام.

١٧. العناية والاهتمام بتربية النشء الصغير على العقيدة الصحيحة، تربية النبي عليه الصلاة والسلام للصحابة، وتنشئتهم التنشئة الصالحة.

ما ينبغي معرفته:

١. أن حفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

الأول: حفظه له في مصالح دنياه؛ كحفظه في بدنه وولده، وأهله وماله

النوع الثاني من الحفظ - وهو أشرف النوعين -: حفظ الله العبد في دينه وإيمانه،

فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه

عند موته، فيتوفاه على الإيمان، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ داخلته إزاره، فلينفذ بها فراشه"، ثم قال في آخر الحديث: "وليقُل: سبحانك اللهم ربي، بك وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وأن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"

٢. مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ نَوْعَانِ:

الأوّل: المَعْرِفَةُ الْعَامَّةُ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْإِقْرَارِ بِهِ وَالتَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ، وَهَذِهِ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

الثاني: المَعْرِفَةُ الْخَاصَّةُ، وَهِيَ مِيلُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَالانْقِطَاعُ إِلَيْهِ، وَالِاشْتِغَالُ بِهِ، وَالطَّمَأْنِينَةُ بِذِكْرِهِ، وَالْحَيَاءُ مِنْهُ، وَالْهَبَةُ لَهُ.

وَقَدْ قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ: (مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا أَلَذَّ مَا فِيهَا). قِيلَ: وَمَا أَلَذَّ مَا فِيهَا؟ قَالَ: (مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ).

٣. مَعْرِفَةُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ نَوْعَانِ:

الأولى: مَعْرِفَةُ عَامَّةٌ: وَهِيَ عِلْمُهُ بِعِبَادِهِ، وَاطِّلاَعُهُ عَلَى مَا أَسْرَوْهُ، وَإِحَاطَتُهُ بِهِمْ.

الثانية: مَعْرِفَةُ خَاصَّةٌ: وَهِيَ مَحَبَّتُهُ لِعَبْدِهِ، وَإِجَابَةُ دُعَائِهِ، وَإِنْجَاؤُهُ مِنَ الشَّدَائِدِ.

٤. هل يدخل في النهي عن السؤال طلب الدعاء:

ذكر شيخ الإسلام أن سؤال الغير الدعاء فيه مفسد: فتنة للمسؤول، واعتقاد

على سؤاله.

٥. خص جهة الأمام دون بقية الجهات؟ لأن الإنسان سائر ومسافر إلى الآخرة والمسافر يطلب أمامه لا غير، فالمعنى: وتجده حيثما توجهت ويممت وقصدت ديناً ودنياً.

٦. كيف الجمع بين قوله ﷺ: "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ"، وبين ما يقع لأهل الإيمان من البلاء والمحن؟

الجواب: الحفظ نوعان: "حفظ للإيمان والدين، وحفظ للأبدان"
فحفظ الإيمان والدين هو المراد الأعظم بحديث الباب، فالعبد إذا ما حفظ الله تعالى في أمره ونهيه فإن الله - تعالى - يحفظ عليه دينه وإيمانه، ويجعل له بصيرة تنجيه من مضلات الفتن وشبهات البدع، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وأما حفظ الأبدان وإن كان من حيث الأصل العام داخلاً في حكم القسم الأول، إلا أنه غير ممتنع الوقوع، فقد يُقدَّر الله عليه أن يصيبه من أنواع البلاء، وله سبحانه في ذلك حكمٌ عظيمة، فنبينا ﷺ خير من حفظ أمر الله سبحانه ومع هذا لم يسلم من مثل ذلك، ففي يوم أحد شُجَّ في وجهه وكُسرت رباعيته ودُمِّي وهُشمت البيضة على رأسه، ودخلت حلقتان من المغفر الذي يستر به وجهه في وجنته، وكذا لقي من الأذى ما لقي ﷺ.

فأعظم المطالب التي يحرص عليها العبد أن يحفظه الله له هو دينه، فإنه قد يتبلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العبد بخلل في دينه، وشبهات تطرأ عليه؛ وما ذاك إلا لتفريطه في بعض ما يجب أن يُحفظ الله جل وعلا فيه؛ فلهذا العبد إذا حصل له إخلال في الدين، فإنه قد أحل بحفظ الله جل وعلا، وقد يعاقب بأن يُجعل غافلاً، وقد يُعاقب بحرمانه البصيرة في العلم، وقد يُعاقب بأن تأتيه الشبهة ولا يحسن كيف يتعامل معها، ولا كيف يردّها، وقد يُعاقب بأنه تأتيه الشبهة فتتمكن منه، كما قال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [سورة الصف: ٥] وكما قال ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٧] وكما قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٧] وكما قال جل وعلا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥]، وهكذا في آيات أخر دلت على أن العبد قد يخل، وخذلانه في أمر الدين هو أعظم الخذلان.

فينتبه العبد لمثل هذا، وليخش على نفسه من تخلخل دينه وليسأل ربه أن يحفظ عليه دينه، وأما أمر الدنيا فهو هين.

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَقَبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبُوءَةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري.

التعريف بالراوي:

عُقْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ النَّجَّارِيُّ الْبَدْرِيُّ؛ نِسْبَةً إِلَى بَدْرِ سَكَنَّا لَا شُهُودًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى الْأَصَحِّ، شَهِدَ الْعُقْبَةَ الثَّانِيَةَ، وَشَهِدَ أَحَدًا وَالْمَوَاقِعَ كُلَّهَا بَعْدَهَا وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٤٢ هـ وَقِيلَ: بِالْكُوفَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أهمية الحديث:

قال بعضهم: هذا الحديث حديث عظيم، عليه مدار الإسلام، وأصول الأخلاق، بقول فصيح وجيز، يعد من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبُوءَةِ: أي مما بلغ الناس من كلام النبوة، مما اتفق عليه الأنبياء؛ بمعنى أَنَّهُ مِمَّا نَدَبَ إِلَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم؛ لَأَنَّهُ أَطَبَقَتْ عَلَيْهِ الْعُقُولُ.

النبوة الأولى: أي: التي قبل نبينا ﷺ.

يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم، وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن، وهذا يدل على أن النبوة المتقدمة جاءت بهذا الكلام، وأنه اشتهر بين الناس، حتى وصل إلى أول هذه الأمة.

إذا لم تستح فاصنع ما شئت: فيه معنيان:

أحدهما: أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد، والمراد: إذا لم يكن حياء، فاعمل ما شئت، فإن الله يجازيك على ما صنعت.

والآخر: أنه أمر بمعنى الخبر، والمراد: أن من لم يستحي صنع ما شاء؛ فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء، انهمك في كل فحشاء ومنكر.

فوائد الحديث:

١. رَفَعَ النبي ﷺ قدر هذه الكلمة، وأجلَّها وعظَّم شأنها، فذكر أنها من كلام الأنبياء ليس مما قالت العرب بحكمها وفصاحتها.

٢. أن الحياء ممدوح وهو مما اتفقت الشرائع على استحسانه والأمر به.

٣. أن الحياء لم يزل أمره ثابتاً واستعماله واجباً منذ زمان النبوة الأولى.

٤. أن الحياء يكف صاحبه عن ارتكاب القبائح، ودناءة الأخلاق، ويحثه على

مكارم الأخلاق ومعاليلها.

٥. أن من لم يكن عنده حياء يتحلَّى به وقع في كل شر، وجاهر بالقبائح

والفضائح.

٦. فيه معنى التحذير والوعيد على قلة الحياء.

٧. أن شرائع الأنبياء تتفق في الأمر بمكارم الأخلاق.

ما ينبغي معرفته:

١. الحياء خلق محمود إلا في حالين:

أن يمنعك من فعلٍ أمرت به، أو يملكك على فعل محذور نهيت عنه.

قال الإمام النووي: "قد يُشكّل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد

يستحي أن يواجه بالحق من يُجلُّه، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله

الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، والجواب عن هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة

- منهم أبو عمرو بن الصلاح -: أن هذا المانع ليس من الحياء؛ بل هو عجز وخور

ومَهانة، فالحياء الحقيقي خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي

الحق". اهـ

٢. من فقد الحياء عوقب بأمور:

ومنها ذهاب الغيرة من قلبه، ومن ذهبته منه الغيرة عوقب بضيايع أهله، ومن

ضيع أهله عوقب بالخيانة من قبل أهله، ثم تضرب العقوبة الكبرى على قلبه فلا

يستقبح فعل الخنا والزنا من أهله فيصير ديوثاً تحرم الجنة عليه..

أي أن الديوث هو الشخص الذي يعلم بأن أهله يرتكبون الزنا أو بواعثه

ودواعيه وأسبابه وما يؤدي إلى الزنا من السفور والتبرج وإظهار العورة، يعلم ذلك

ثم يقر به ويسكت عليه ولا ينهى عنه.

٣. علاقة الحياء بالإيمان: أن الحياء مثل الإيمان؛ كلاهما يأمر صاحبه بالخير،

وينهاه

عن الشر؛ فالإيمان لا يترك صاحبه يفعل ما يشاء كما قال الله لمن يدعي الإيمان وهو يمارس المعاصي: ﴿قُلْ بِسْمِ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وكذلك الحياء فإنه لا يترك صاحبه يفعل ما يشاء، وأما الكافر والفاجر فيفعل ما يشاء، ومن هنا جاءت الوصية النبوية: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: "قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

التعريف بالراوي:

هو أبو عمرو، سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيُّ، يَعُدُّ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ، وَقِيلَ: فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ. وَكَانَ عَامِلًا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى الطَّائِفِ، وَلاَهُ عَلَيْهِ إِذْ عَزَلَ عَثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ عَنْهَا، رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَنَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وليس لسفيان بن عبد الله في صحيح مسلم غير هذا الحديث.

أهمية الحديث:

قال ابن دقيق العيد: هذا من جوامع الكلم التي أوتيتها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها فإنه أمره أن يجدد إيمانه بلسانه متذكراً بقلبه وأمره أن يستقيم على أعمال الطاعات والانتها عن جميع المخالفات. اهـ
وقال ابن حجر الهيتمي: جمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذا السائل في هاتين الكلمتين جميع معاني الإيمان والإسلام اعتقاداً وقولاً وعملاً. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا: أي: علّمني قولاً جامعاً لمعاني الإسلام.

لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ: أي أنه واضح في نفسه، بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك، أعمل عليه، وأكتفي به.

قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ: أي جدد إيمانك بالله ذكراً بقلبك ونطقاً بلسانك وعملاً بمقتضاه بجوارحك.

ثم استقم: الاستقامة: هي سلوك الطريق المستقيم، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنه ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك

فوائد الحديث:

١. حرص الصحابة رضي الله عنهم على تحصيل أبواب الخير.
٢. ذكاء الصحابة رضي الله عنهم وفطنتهم وحسن أسئلتهم.
٣. السؤال مفتاح العلم، فعلى طالب العلم ألا يستحي من سؤاله، مع ملازمته للأدب في سؤاله.
٤. جمع النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة وهي: قول اللسان: لقوله " قل ". اعتقاد الجنان: لقوله " آمنت بالله ". عمل الجوارح: لقوله " استقم ".

٥. أن الدين الإسلامي مبني على هذين الأمرين، الإيمان ومحله القلب، والاستقامة ومحلها الجوارح، وإن كان للقلب منها نصيب لكن الأصل أنها في الجوارح.

٦. أن الاستقامة تكون في الأقوال والأفعال والنيات.

٧. المطلوب من العبد الاستقامة وهي السداد فإن لم يقدر عليها بالمقاربة فإن نزل عنها خرج إلى التفريط والإضاعة.

٨. قوله " استقم " تحمل في مضمونها المجاهدة، فلا تأتي الاستقامة على دين الله إلا بعد مكابدة وصبر ومصابرة.

أمور ينبغي معرفتها:

١. تعرف الاستقامة:

الِاسْتِقَامَةُ امْتِثَالُ كُلِّ مَأْمُورٍ وَاجْتِنَابُ كُلِّ مُحْذُورٍ، فَيَدْخُلُ فِيهِ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، إِذْ لَا تَحْصُلُ الْإِسْتِقَامَةُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْإِعْوجَاجِ.

٢. المستقيم هو المقيم على شرائع الإسلام ظاهرا وباطنا، وهو اللفظ الذي جاء مصرحاً به في القرآن.

فالتعبير بكلمة الاستقامة دون التعبير المشهور عند الناس بكلمة الالتزام هو الصواب لموافقته لما جاء به الشرع.

٣. الاستقامة قرنت في القرآن مع الاستغفار في قوله: ﴿فَاسْتَقيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [سورة فصلت: ٦]. وَالِاسْتِقَامَةُ: هِيَ سُلُوكُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِيجٍ عَنْهُ يُمَنَّةً وَلَا يُسْرَةً، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ فِعْلَ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَرَكَ الْمُنْهَيَّاتِ كُلَّهَا كَذَلِكَ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ جَامِعَةً لِحِصَالِ الدِّينِ كُلِّهَا. وَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاسْتَقيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [سورة فصلت: ٦] إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي الْإِسْتِقَامَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَيُجْبَرُ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ الْمُفْتَضِيِّ لِلتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ، فَهُوَ كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاذٍ " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا " .

الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحَلَّكَ الْحَلَائِلَ، وَحَرَمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ" رواه مسلم.

التعريف بالراوي:

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، الخزرجي، السلمي، المدني، الفقيه.

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتاً. روى: علماً كثيراً عن النبي ﷺ وعن: عمر، وعلي، وأبي بكر، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزبير، وطائفة. وكان مفتي المدينة في زمانه. عاش بعد ابن عمر أعواماً، وتفرّد.

شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النقباء البدرين، استشهد يوم أحد، وأحياه الله - تعالى - وكلمه كفاحاً، وقد انكشف عنه قبره إذ أجرى معاوية عينا عند قبور شهداء أحد، فبادر جابر إلى أبيه بعد دهر، فوجده طرياً لم يبل.

وكان جابر قد أطاع أباه يوم أحد، وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة، وشاخ، وذهب بصره، وقارب التسعين.

روى: حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسا وعشرين مرة.

وقد ورد: أنه شهد بدرًا.

روى عن النبي ﷺ ألفا وخمس مائة وأربعين حديثًا.

اتفق له الشيخان: على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد له البخاري: بستة وعشرين حديثًا، ومسلم: بمائة وستة وعشرين حديثًا.

رحل جابر بن عبد الله في آخر عمره إلى مكة في أحاديث سمعها، ثم انصرف إلى المدينة، ورحل في حديث القصاص إلى الشام، ليسمعه من عبد الله بن أنيس. مات جابر بن عبد الله: سنة ثمان وسبعين، وهو ابن أربع وتسعين سنة.

أهمية الحديث:

هذا الحديث عظيم الموقع، وعليه مدار الإسلام لجمعه له؛ وذلك لأن الأفعال إما قلبية أو بدنية، وكل منهما إما مأذون فيه وهو الحلال، أو ممنوع منه وهو الحرام، فإذا أحل الشخص الحلال وحرم الحرام فقد أتى بجميع وظائف الدين، ودخل اللجنة آمنًا.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الحديث شمل جميع وظائف الإيمان، والسنن.

شرح ألفاظ الحديث:

أرأيت: الاستفهام هنا بمعنى الاستخبار، ورأيت بمعنى علمت؛ أي: أخبرني بها تعلمه وتتيقنه من أمري.

إذا صليت المكتوبات: أي: المفروضات، وهي الصلوات الخمس، وقيل لها المكتوبات لأن الله فرضها وكتبها على عباده، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [سورة النساء: ١٠٣].

وأحللت الحلال: أي: اعتقدت حله، وفعلت الواجب منه، واكتسبت أموري من طريق الحلال.

والمعنى: أني لم أسعى إلا في طلب ما أحل الله تعالى لي في كل أموري، وما طلبت مني.

وحرمت الحرام: أي: اعتقدت حرمة وامتنعت منه، وابتعدت عن كسب الحرام.

والمعنى: أني عرفت ما يحرم علي فابتعدت عنه ولم أقربه في كل شئون حياتي. وهذا امر عظيم لا يوفق له إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى.

ولم أزد على ذلك شيئاً: أي لم أزد شيئاً من النوافل، غير أني قمت بما اوجب الله عليّ وفرضه، وتحريت الحلال في كل أموري، واجتنبت الحرام في كل شأني.

ومثل هذا ما جاء في الصحيحين من حديث طلحة بن عبيد الله، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد نائر الرأس، يُسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول،

حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ". فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعَ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَصِيَامُ رَمَضَانَ". قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعَ". قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: "لَا، إِلَّا أَنْ تَطُوعَ". قَالَ: فَأَذْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ"

أَدْخَلَ الْجَنَّةَ؟ أي: أيوجب لي ذلك دخول الجنة من غير عذاب سابق على ذلك.

قال: نعم: أي إذا التزمت ذلك دخلت الجنة.

فوائد الحديث:

١. أَنَّ الغاية من هذه الحياة هي رضا الله ومن ثَمَّ دخول الجنة، خلافاً لقول بعض الصوفية: إنهم لا يعبدون الله رغبة في الجنة ولا خوفاً من النار، وإنما يعبدونه شوقاً إليه.

٢. أَنَّ الأعمال سبب في دخول الجنة، وهي برحمة الله وتوفيقه.

٣. عَظَم شأن الصلوات الخمس، وأنها أهم الأعمال وأعظم الأعمال بعد الشهاداتين.

٤. أَنَّ من التزم الواجبات وانتهى عن المنهيات دخل الجنة.

٥. أن تحليل الحلال وتحريم الحرام يحتاج إلى علمٍ بذلك، فإنَّ كل ذلك لا يكون إلا بعلم.

٦. أن الإنسان يكون متبعاً وموافقاً لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ في إحلال الحلال وتحريم الحرام، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله.

ما ينبغي معرفته:

١. السائل في الحديث قيل هو النعمان بن قَوْقَل بن أَصرم، شهد بدرًا واستشهد بأحد.

٢. هذا الحديث لم يذكر فيه الزكاة ولم يذكر فيه الحج، فإما أن يقال: إن ذلك داخلٌ في قوله " حرمت الحرام " لأن ترك الحج حرام وترك الزكاة حرام.

ويمكن أن يقال: أما بالنسبة للحج فربما يكون هذا الحديث قبل فرضه، وأما بالنسبة للزكاة فلعل النبي ﷺ علم من حال هذا الرجل أنه فقير وليس من أهل الزكاة فخاطبه على قدر حاله.

٣. قوله (وأحللت الحلال وحرمت الحرام) في تفسيره وجهان:
الأول: أن يكون المراد معتقدا حل ما أحله الله وحرمة ما حرمه الله وقد روي

عن ابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسير قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

قالا: (يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه).

الثاني: أن يكون المراد فعل الحلال وهو ما يقابل الحرام فيشمل المباح والواجب والمسنون واجتناب الحرام. فيجب على المسلم أن يعتقد حل ما أحله الله وتحريم ما حرمه الله ثم يلتزم ذلك في سلوكه فيأتي الحلال بكل معانيه وصوره ويمتنع عن إتيان الحرام فيكون متبعا للشرع في الاعتقاد والعمل ومن اعتقد تحليل ما أجمع على تحريمه أو تحريم ما أجمع على تحليله فهو خارج من الملة لأنه مفتر على الله الكذب قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [سورة النحل: ١١٦].

والتحليل والتحريم من خصائص الله وليس للمخلوق أن ينزع الله في هذا الحق ولا يحلل الله ولا يحرم شيئا إلا عن حكمة بالغة ومصلحة راجحة.

وقد ضل في هذا الباب ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الكفار الذين يجرمون ويحللون من تلقاء أنفسهم ليوافق أهوائهم ودينهم المحرف كما قال الله في حق الكفار الذين كانوا يغيرون تحريم الشهور: ﴿إِنَّمَا السَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِّيُؤْطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [سورة التوبة: ٣٧].

والمراد أنهم كانوا يقاتلون في الشهر الحرام عاما فيحلونه بذلك ويمتنعون من القتال فيه عاما فيحرمونه بذلك وقد حرموا على أنفسهم بعض الذبائح.

الصنف الثاني: المتصوفة الذين غلب عليهم زهدهم في الدنيا مع قلة الفقه في الدين وقلة الإتيان للسنة فحرموا على أنفسهم بعض المباحات تقشفا وقد قال الله

فيهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ [سورة المائدة: ٨٧-٨٨].

الصنف الثالث: السفهاء والجهال الذين يجرمون أشياء على أنفسهم لأجل الخصومة أو سبق الحلف والطلاق على ألسنتهم في كل مناسبة أو الإضرار بأحد ويغلب عليهم هذا السلوك المشين ثم يذهبون لمن يجد لهم رخصة ومخرجاً مما هم فيه وهذا تصرف فيه حرج وتنطع وتشبه بالمستخفين بشرع الله. ولم يذكر فيه الزكاة والحج؛ لعدم فرضهما إذ ذاك، أو لاندراجهما في تحليل الحلال وتحريم الحرام.

٤. هذا الحديث يدل على جواز ترك التطوعات على الجملة، ولكن من تركها ولم يعمل شيئاً منها فقد فوّت على نفسه ربحاً عظيماً وثواباً جسيماً، ومن داوم على ترك شيء من السنن كان نقصاً في دينه، وقدحاً في عدالته، فإن كان تركه تهاوؤاً ورغبة عنها، كان ذلك فسقاً يستحق به ذمّاً، قال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواطؤوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا، ولقد كان صدر الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض، ولم يكونوا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابها. قاله القرطبي في المفهم.

الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نَوْرٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». رواه مسلم.

التعريف بالراوي:

أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، له صحبة ورواية. اختلف في اسمه، ف قيل: كعب بن مالك. وقيل كعب بن عاصم. وقيل اسمه عبيد. وقيل اسمه عمرو.

قدم مع أصحاب السفيتين أيام خيبر، ونزل الشام.

يعد في الشاميين، رَوَى عَنْهُ: عبد الرحمن بن غنم، وأم الدرداء، وربيعة الجرشي، وأبو سلام الأسود. وأرسل عنه عطاء بن يسار، وشهر بن حوشب.

قال شهر بن حوشب، عَنْ ابْنِ غَنَمٍ: طَعِنَ معاذ وأبو عبيدة وأبو مالك في يوم واحد. وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ وغيره: تُوْفِيَ في خلافة عُمر.

أهمية الحديث:

قال النووي في شرح مسلم: هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام قد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

الطُّهُورُ: الطُّهُورُ بفتح الطاء: الاسم، وبضمها: المصدر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٨]، والطَّهَارَةُ أصلُها: النِّظَافَةُ والتَّنْزُهُ، المراد بالطهور هاهنا: التَّطَهُّرُ بالماء من الأحداث، والمقصود به هنا الوضوء.

ويؤيد ذلك رواية الترمذي: «الْوُضُوءُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»، ورواية ابن ماجه: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

شَطْرُ الْإِيمَانِ: أي: نِصْفُهُ، والمرادُ أَنَّ الْأَجْرَ فِي الْوُضُوءِ يَنْتَهِي إِلَى نِصْفِ أَجْرِ الْإِيمَانِ.

وقد اختلفَ في المرادِ بِكَوْنِ الطُّهُورِ شَطْرَ الْإِيمَانِ عَلَى أَقْوَالٍ أَقْوَاهَا قَوْلَانِ:

الأول: المرادُ أَنَّ خِصَالَ الْإِيمَانِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ كُلُّهَا تُطَهِّرُ الْقَلْبَ وَتُزَكِّيهِ، وَأَمَّا الطَّهَارَةُ بِالْمَاءِ فَهِيَ تَخْتَصُّ بِتَطْهِيرِ الْجَسَدِ وَتَنْظِيفِهِ؛ فَصَارَتْ خِصَالُ الْإِيمَانِ قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا يُطَهِّرُ الظَّاهِرَ، وَالْآخَرُ يُطَهِّرُ الْبَاطِنَ؛ فَهُمَا نِصْفَانِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ.

الثاني: أن المراد بالإيمان هنا الصلاة، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، والكلام على تقدير مضاف، أي: إكمال الوضوء شرط كمال الصلاة، والصلاة لا تقبل إلا بطهور؛ فصار الطهور شرط الإيمان بهذا الاعتبار، وليس يلزم في الشرط أن يكون نصفاً حقيقياً.

قال السندي في حاشيته على ابن ماجه (٢٥٩ / ١):

وَالْأَظْهَرُ الْأَنْسَبُ لِمَا فِي الْكِتَابِ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالْإِيمَانِ الصَّلَاةَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] وَالْكَلَامُ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ أَيْ إِكْمَالِ الْوُضُوءِ شَطْرَ كِمَالِ الصَّلَاةِ وَتَوْضِيحُهُ أَنَّ إِكْمَالَ الصَّلَاةِ بِإِكْمَالِ أَشْرَاطِهَا الْخَارِجَةِ عَنْهَا وَأَرْكَانَهَا الدَّاخِلَةَ فِيهَا وَأَعْظَمَ الشَّرَائِطِ الْوُضُوءَ فَجَعَلَ كِمَالَهُ نِصْفَ إِكْمَالِ الصَّلَاةِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ التَّرْغِيبَ فِي إِكْمَالِ الْوُضُوءِ وَتَعْظِيمَ ثَوَابِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْفِ ثَوَابِ الْإِيمَانِ. اهـ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ: أي: إنها توزن وتملأ الميزان بالأجر والثواب،

فترجح كفتها، وذلك يوم القيامة يوم توزن أعمال العباد، ويجازي عليها الله عز وجل، والميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة ميزان حقيقي لا يشبه موازين الخلق، وهو من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها.

وَيُمَثِّلُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ وَأَقْوَاهُمْ صُورًا تُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَوَزَّنُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((يَأْتِي الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْدُمُهُ الْبَقَرَةُ وَأَلُّ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غِمَامَتَانِ أَوْ غَيَّائَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَّافٍ)).

وقال: ((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ))
وقال: ((أَثْقَلُ مَا يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ)).

وغيرها من الأحاديث.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، تَمْلَأَنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: معناه لو قدر ثوابهما جسمًا لملأ ما بين السموات والأرض، وسبب عظم فضلها ما اشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله سبحانه الله: والتفويض والافتقار إلى الله تعالى بقوله: الحمد لله.

وَالصَّلَاةُ نَوْرٌ: أي: أن الصلاة إذا فعلت بشروطها وأركانها وواجباته، وأداها العبد كما يحب الله سبحانه وتعالى كانت له نورًا:

فتنوّرت قلبه؛ فإن للصلاة تأثيرًا بالغًا في تنوير القلوب وإسراح الصدور، ويدل على ذلك قوله ﷺ: ((وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)).

ومن نور الصلاة: أنها تنور بين يدي مراعيها يوم القيامة في تلك الظلم.

ومن نور الصلاة: أنه يتنور وجه المصلي يوم القيامة، فيكون ذا غرةٍ وتحجیل، كما قد ورد في حديث عبدالله بن بسر: "أمتي يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء". وما الوضوء إلا من شروط الصلاة؛ فكيف بالصلاة، فالصلاة نور.

ومن نور الصلاة: أنها تمنع من المعاصي وتنهي عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يستضاء به.

فهو نورٌ للعبد في قلبه، وفي وجهه، وفي قبره، وفي حشره.

والصدقة برهان: البرهان: الحجة الفاصلة بينة والدلالة، يقال: برهن،

يبرهن، برهنة: إذا جاء بحجة قاطعة. وأصله: الوضوح.

وقيل للصدقة برهان لأنها دليل واضح على صدق صاحبه في دعوى الإيمان إذ الإقدام على بذله خالصاً لله لا يكون إلا من صادق في إيمانه.

قال بعضهم: معناه أنه يفزع إليها كما يفزع للبراهين، كأن العبد إذا سئل يوم

القيامة عن مصرف ماله كانت له صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول: تصدقت به.

والصبر ضياء: الضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق، كضياء

الشمس، بخلاف القمر؛ فإنه نور محض، فيه إشراق بغير حرارة، ولما كان الصبر شاقاً على النفوس يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه، كان ضياء؛

فإن معنى الصبر في اللغة: الحبس، ويقصد به هنا الصبر على العبادات والمشاق والمصائب، والصبر عن المخالفات، والمنهيات، كاتباع هوى النفس والشهوات وغير ذلك، فمن كان صابراً في تلك الأحوال، متثبتاً فيها، مقابلاً لكلِّ حالٍ بما يليق به ضاءت له عواقب أحواله، ووضحت له مصالح أعماله، فظفر بمطلوبه، وحصل له من الثواب على مرغوبه.

والمراد بذلك أن الصبر محمود، ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب.

والقرآن حُجَّةٌ لك أو عَلَيْكَ: يعني: أنك إن امتثلت أوامره واجتبت نواهيه كان حُجَّةً لك في المواقف التي تسال فيها عنه، كمساءلة الملكين في القبر، والمساءلة عند الميزان، وفي عقبات الصراط، وإن لم تمتثل ذلك احتجَّ به عليك، ويحتمل أن يراد به: أن القرآن هو الذي يُنتهى إليه عند التنازع في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية، فبه تستدلُّ على صحة دعواك، وبه يستدل عليك خصمك. القرطبي

كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو: بِمَعْنَى يُبَكِّر، والغَدُوُّ: سير أول النهار، يقال: غدا إذا خرج صباحاً في مصالحه.

والمعنى أن كل واحد من الناس يبكر فيسعى ويعمل.

وهو كلام مجمل يوضحه ويبينه ما بعده.

فَبَائِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا: قال الطيبي: "الفاء في قوله: فبائع؛ تفصيلية، وفي قوله: فمعتقها سببية".

قال القاضي عياض في إكمال المعلم: يحتمل أن يكون بائع نفسه هنا بمعنى مُشترٍ وبمعنى بائع، فجاء بلفظٍ مشترك بين المعنيين؛ لأن اللفظة في اللغة تقع على المعنيين، ثم جاء بالجواب على المعنيين جميعاً، أي من اشتراها أعتقها، ومن باعها أوبقها، أي أهلكها، ومثل هذا قول ابن مسعود: "الناس غاديان، فبائع نفسه فموبقها، أو مفادها فمعتقها"، وهذا نوع من الإيجاز بديع عند أهل البلاغة، ويحتمل أن يكون البيع على الوجه المعروف وحده، أي فبائع نفسه من الله، فأعتقها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [سورة التوبة: ١١١]، أو باعها من غيره فأوبقها، كما قال في السحرة: ﴿وَلَيْسَ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]. اهـ

أو موبقها: أي: مهلكها بأن باعها وأخذ الشرَّ عن ثمنها.

ومعنى هذا الكلام: كل الناس يسعى، ويبدأ يومه بالغدوة من العمل، إلا أن سعيهم مختلف؛ فمن ترك الدنيا وآثر الآخرة يكون مشترى نفسه من ربه بالدنيا، فهو بهذا يسعى في نجاة نفسه من عذاب الله فيكون معتقها لأنه يعلم الحكمة التي من أجلها خلقه الله، وهذا هو معنى قوله: "مُعْتِقُهَا". أي: من العذاب.

والآخر يسعى في هلاك نفسه، إما في سخط الله، أو في غفلة عن طاعة الله، وهذا هو معنى قوله: "أو مُوبِقُهَا"، أي: في العذاب.

فوائد الحديث:

١. عظم الصلاة والتطهر لها، وأنها من الإيمان.
٢. فضل ذكر الله سبحانه وتعالى.
٣. عظيم فضل الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين؛ حيث جعل هذه الأجور العظام على العمل اليسير.
٤. إثبات الميزان، وهو ميزان حقيقي وله كفتان ولا يعلم عظمه إلا الله سبحانه وتعالى.
٥. فضل الجمع بين التسبيح والتحميد، وقد جاء الجمع بينهما في أحاديث كثيرة.
٦. أن الصلاة نور يستنير بها العبد في دنياه وآخراته.
٧. أن صدقة النافلة برهان ساطع وحجة بينة على إيمان العبد إن قصد وجه الله سبحانه وتعالى.
٨. حاجة العبد للصبر في كل أموره في القيام بطاعاته لربه وفي البعد عن المعاصي، وعند المصائب والفتن.
٩. أن الناس سائرون في طريقهم إلى الآخرة، ويختلف سيرهم وسعيهم بما وقر في قلوبهم من الإيمان.

١٠. أن من عمل بطاعة الله جل جلاله فقد اشترى نفسه من الله فأعتق الله رقبته من النار، ومن اتبع هواه وعمل بما يغضب الله فقد أهلكها والعياذ بالله، وأوقعها في الأسر وشباك الهوى والشيطان.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا. يا عبادي، كلُّكم ضالٌّ إلاَّ مَنْ هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلُّكم جائعٌ إلاَّ مَنْ أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلُّكم عارٍ إلاَّ مَنْ كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي، إنكم لن تبخلوا ضري فتضروني، ولن تبخلوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلاَّ كما ينقص المخطط إذا أُدخل البحر.

يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاَّ نفسه". رواه مسلم.

التعريف بالراوي:

أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري؛ أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ. قيل: كان خامس خمسة في الإسلام.

ثم إنه رد إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي - ﷺ - له بذلك، فلما أن هاجر النبي ﷺ هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه ولازمه، وجاهد معه.

وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان.

وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلم، والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، على حدة فيه.

وقد شهد فتح بيت المقدس مع عمر.

عن خفاف بن إيماء، قال:

كان أبو ذر رجلاً يصيب، وكان شجاعاً، ينفرد وحده، يقطع الطريق، ويغير

على الصرم في عماية الصبح على ظهر فرسه أو قدميه كأنه السبع، فيطرق الحي،

ويأخذ ما أخذ، ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام، وسمع مقالة النبي - ﷺ - وهو يومئذ يدعو مختفياً، فأقبل يسأل عنه.

وعن أبي معشر السندي: كان أبو ذر يتأله في الجاهلية، ويوحده، ولا يعبد

الأصنام.

له مائتا حديث واحد وثمانون حديثاً، اتفقا منها على اثني عشر حديثاً، وانفرد

البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر.

قال الفلاس، والهيثم بن عدي، وغيرهما: مات سنة اثنتين وثلاثين.

أهمية هذا الحديث:

قال شيخ الإسلام: هذا الحديث شريف القدر، عظيم المنزلة؛ ولهذا كان الإمام أحمد يقول: هو أشرف حديث لأهل الشام، وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به جثا على ركبتيه. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

قوله سبحانه: يَا عِبَادِي: يشمل كل من كان عابداً بالعبودية العامة والعبودية الخاصة.

إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي: أي منع نفسه سبحانه من الظلم لعباده، مع قدرته على الظلم، ولكنه لا يفعلُه فضلاً منه وجوداً، وكرماً وإحساناً إلى عباده. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا: أي أنه تعالى حَرَّمَ الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرامٌ على كلِّ عبدٍ أن يظلم غيره، مع أن الظُّلم في نفسه محرَّم مطلقاً.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ: أي أنه لا بدَّ للعبد من تعليم الإسلام بالفعل، فإنه قبل التعليم جاهلٌ لا يعلم شيئاً، فالإنسان يولد مفطوراً على قبول الحق، فإن هداه الله سبَّب له من يعلمه الهدى، فصار مهتدياً بالفعل بعد أن كان

مهتدياً بالقوة، وإن خذله الله، قيّض له من يعلمه ما يُغير فطرته كما قال - ﷺ -:
 "كُلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويُنصرانه ويمجسانه".

فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ: أي أَنَّ الهداية بيد الله سبحانه ولا تطلب إلا منه.

والهداية نوعان: هداية مجملة: وهي الهداية للإسلام والإيمان وهي حاصلة للمؤمن، وهداية مفصلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانتته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلاً ونهاراً، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كُلِّ ركعة من صلاتهم قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦]، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه بالليل: "اهدني لما اختلَفَ فيه من الحقِّ بإذنك، إِنَّكَ تَهْدِي من تشاء إلى صراط مستقيم".

لما فرغ من الامتنان بالأمور الدينية شرع في الأمور الدنيوية تكميلاً للمرتبتين، مقتصرًا على الأمرين الأهمين منها، وهو الأكل واللبس

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ: لأن الخلق ملكه ولا ملك لهم بالحقيقة وخزائن الرزق بيده فمن لا يطعمه بفضله بقي جائعاً بعدله، وأما * (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) * فهو التزام تفضلاً لا وجوباً.

فَاسْتَطْعِمُونِي: اطلبوا مني الطعام لأنه في يده تعالى وما في يد العبد ليس بحوله وقوته فلا يد له بالحقيقة بل اليد لرب الخليقة
أُطْعِمْكُمْ: أيسر لكم أسباب تحصيله.

وكذا يقال في قوله: **يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكَسُونِي أَكْسُكُمْ.**

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ مُخْطِئُونَ: الخطأ مجانبة الصواب وذلك إما بترك الواجب، وإما بفعل المحرم.

بِاللَّيْلِ وَالتَّهَارِ: الباء هنا بمعنى: (في) كما هي في قول الله تعالى: ﴿وَأِنَّكُمْ لَنُكَرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ (١٣٧) و﴿بِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٨). أي وفي الليل.

وَأَنَا أَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا: أي أسترها وأتجاوز عنها مهما كثرت، ومهما عظمت، ولكن تحتاج إلى الاستغفار.

فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ: الاستغفار من الذنوب، هو طلبُ المغفرة، والعبدُ أحوجُّ ما يكون إليه؛ لأنه يخطئ بالليل والنهار.

والمعنى اطلبوا مغفرتي، إما بالقول كأن يقول: اللهم اغفر لي.
وإما بفعل ما يكون سبباً للمغفرة، كمثّل من قال: سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.
يعني: أن العباد لا يقدرون أن يوصلوا إلى الله نفعاً ولا ضرراً، فإنَّ الله تعالى في نفسه غنيٌّ حميدٌ، لا حاجة له بطاعات العباد، ولا يعودُ نفعُها إليه، وإنَّما هم ينتفعون بها، ولا يتضرَّرُ بمعاصيهم، وإنَّما هم يتضررون بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ

الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا ﴿١٧٦﴾ [سورة آل عمران: ١٧٦]. وقال:

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ
رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

فيه إشارة إلى أن ملكه لا يزيد بطاعة الخلق، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء، قلوبهم
على قلب أتقى رجل منهم، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين، ولو كان الجنُّ
والإنس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم، فإنه سبحانه الغنيُّ
بذاته عمّن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، فملكه ملك كامل لا
نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ
الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

المراد بهذا ذكر كمال قدرته سبحانه، وكمال ملكه، وإن ملكه وخزائنه لا تنفذ،
ولا تنقص بالعتاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه
في مقام واحد.

وفي ذلك حثُّ للخلق على سؤاله سبحانه وإنزال حوائجهم به.

وقوله: **لم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر:** دليل على أن ما عنده لا ينقص البتة، كما قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [سورة النحل: ٩٦]، فإن البحر إذا غُمِسَ فيه إبرَةٌ، ثم أُخرجَتْ، لم ينقص من البحر بذلك شيءٌ.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا:

أي أنه سبحانه يُحْصِي أعمال عباده، ثم يُوفِّيهم إياها بالجزاء عليها ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨].

فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ:

إشارة إلى أن الخير كله من الله فضلٌ منه على عبده، من غير استحقاقٍ له، والشرُّ كله من عند ابن آدم من اتَّبَعَ هوى نفسه، كما قال عز وجل: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [سورة النساء: ٧٩].

فالله سبحانه إذا أراد توفيقَ عبد وهدايته أعانه، ووفَّقه لطاعته، فكان ذلك فضلاً منه، وإذا أراد خذلانَ عبدٍ، وكلَّه إلى نفسه، وخلَّى بينه وبينها، فأغواه الشيطانُ لغفلته عن ذكرِ الله، واتَّبَعَ هواه، وكان أمره فُرطاً، وكان ذلك عدلاً منه، فإنَّ الحجةَ قائمةٌ على العبدِ بإنزالِ الكتاب، وإرسالِ الرسول، فما بقي لأحدٍ مِنَ النَّاسِ على الله حجةٌ بعد الرُّسُلِ.

١. كمال فعل الله تعالى وتنزيهه عن الظلم وأن أفعاله كلها عدل وحكمة.
٢. تحريم الظلم، وذلك متفق عليه في كل ملة.
٣. التنبيه على افتقار الخلق إلى الله تعالى وعجزهم عن إدراك منافعهم ودفع مضارهم إلا بتيسير الله تعالى لهم.
٤. إن ملك الله في غاية الكمال فلا يزيد بطاعة الخلق ولا ينقص بمعصيتهم.
٥. أن الأصل في التقوى والفجور هو القلوب، فإذا بر القلب وأتقى برت الجوارح، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح.
٦. في الحديث دليل على أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم، من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة.
٧. فيه أن جميع الخلق مُفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، وإن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وإن من لم يتفصل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يُجرمهما في الدنيا، ومن لم يتفصل الله عليه بمغفرة ذنوبه، أُوْبَقَّتْ خطاياه في الآخرة.
٨. في الحديث تنبيه على معنى قوله: "لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ".
٩. أن الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، فكمال فعله تعالى لتنزيهه عن الظلم، وكمال ملكه فلا يزد بالطاعة ولا ينقص بالمعاصي، وكما غناه فإن

خزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، وكمال إحسانه إلى عباده فإنه يجب أن يسأله جميع مصالحهم الدينية والدنيوية كما يسألونه الهداية والمغفرة.

١٠. يدل الحديث على حاجة الإنسان إلى الهداية في كل لحظات حياته، قال شيخ الإسلام: "وَالذُّنُوبُ مِنْ لَوَازِمِ النَّفْسِ؛ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى اهْتَدَى كُلِّ لَحْظَةٍ؛ وَهُوَ إِلَى اهْتَدَى أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ". اهـ

١١. يربي مراقبة الله في قلب المسلم حيث علم الله ذنوبه وعدها، ومن راقب الله نهى النفس عن الهوى.

١٢. فيه أن الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا برّ القلب واتقى برّت الجوارح، وإذا فجر القلب، فجرت الجوارح.

١٣. جمع الحديث أعمال القلوب الثلاثة:

الأولى: المحبة وهذا في جميع ألفاظ الحديث فإ-ا تزيد من محبة الله.

الثانية: الرجاء وهذا في قوله "وأنا أغفر الذنوب جميعا".

الثالث: الخوف وهذا في قوله "إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم".

١٤. التقوى والفجور محلها القلب ولذلك قال "على أتقى قلب رجل واحد

منكم" وقال "على أفجر قلب رجل واحد منكم" فعلى الإنسان أن يهتم بقلبه ويراعي حاله وتقواه ويزيل أمراضه.

ما ينبغي معرفته:

١. الفرق بين القرآن والحديث القدسيّ أمور:
- ١- أن القرآن مُتَعَبَّدٌ بِتِلَاوَتِهِ، والقدسيّ غَيْرُ مُتَعَبَّدٍ بِتِلَاوَتِهِ.
- ٢- أن القرآن يُقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ، والقدسيّ لَا يُقْرَأُ.
- ٣- أن القرآن يُحْصَلُ بِهِ التَّحَدِّي، والقدسيّ لَا يُحْصَلُ بِهِ التَّحَدِّي.
- ٤- أن القرآن نُقِلَ بِالتَّوَاتُرِ، والقدسيّ لَمْ يُنْقَلْ بِالتَّوَاتُرِ، بَلْ فِيهِ الصَّحِيحُ وَالْحَسَنُ وَالضَّعِيفُ وَالْمَوْضُوعُ.

٢. مذهب أهل السنة والجماعة أن الله حرم الظلم على نفسه سبحانه مع قدرته عليه، ولكنه حرمه فضلاً منه وجوداً وكرماً، فهو قادر عليه سبحانه إذ لو لم يكن قادراً لم يكن في تحريمه الظلم على نفسه مدحاً، إذا كيف يمدح نفسه بشيء لا يقدر عليه!؟

٣. الظلم نوعان:

أحدهما: ظلم النفس، وأعظمه الشُّرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، فَإِنَّ المَشْرَكَ جَعَلَ المَخْلُوقَ فِي مَنْزِلَةِ الخَالِقِ، فَعَبَدَهُ وَتَأَلَّاهُ، فَوَضَعَ الأشياءَ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، وَأَكْثَرَ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَعِيدِ الظَّالِمِينَ إِنَّمَا أُرِيدُ بِهِ المَشْرُكُونَ، كما قال الله - عز وجل -: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤]، ثُمَّ يَلِيهِ المَعَاصِي عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا مِنْ كِبَائِرٍ وَصَغَائِرٍ.

والثاني: ظلم العبد لغيره، وهو المذكور في هذا الحديث، وقد قال النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع: " إِنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا "

٤. كيف الجمع بين قوله: (كلكم ضال) وبين (كل مولود يولد على الفطرة)؟
الجواب: إن الله خلق بني آدم وفطرهم على قبول الإسلام والتهيم لذلك لكن لا بد من تعلم الإسلام، فهو قبل التعلم لا يعلم شيئاً بل هو ضال، أو قوله (كلكم ضال) يخاطب به من تغيرت فطرهم إلى دين آبائهم حتى يرجعوا، وإن كانوا في الأصل على الفطرة (الاحتمال الأول ذكره ابن رجب، والثاني ذكره العلامة العثيمين).

٥. إِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْإِسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ: إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ وَكَسَوْتُهُ، إِذْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَحْرُومًا مِنْهُمَا قُلْتُ: الْإِطْعَامُ وَالْكَسْوَةُ لَمَّا كَانَا مُعَبَّرَيْنِ عَنِ النَّفْعِ التَّامِّ وَالْبَسْطِ فِي الرِّزْقِ وَعَدَمُهُمَا عَنِ التَّقْتِيرِ وَالتَّضْيِيقِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سورة الرعد: ٢٦]. سَهَّلَ التَّخِيلَ عَنِ الْجَوَابِ، فَظَهَرَ مِنْ هَذَا أَنَّ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ إِثْبَاتِ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ فِي الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ نَفْيِ الشَّبَعِ وَالْكَسْوَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَيْسَ فِي الْمُسْتَثْنَى إِثْبَاتُ الشَّبَعِ وَالْكَسْوَةِ مُطْلَقًا، بَلِ الْمُرَادُ بَسْطُهُمَا وَتَكْثِيرُهُمَا، وَيُوضِّحُهُ الْحَدِيثُ الرَّابِعُ عَشَرَ مِنَ الْفَصْلِ الثَّانِي، أَنَّهُ وَضَعَ قَوْلَهُ: كُلُّكُمْ فُقَرَاءٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُهُ فِي مَوْضِعِهِ. اهـ. وَهُوَ فِي غَايَةِ مِنَ الْبَهَاءِ. قاله الطيبي

٦. قوله سبحانه: "فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك،

فلا يلومن إلا نفسه" يحتمل أمرين:

الأول: أن يكون المراد: مَنْ وجد ذلك في الدنيا، فإنه يكون حينئذ مأموراً بالحمد

لله على ما وجده من جزاء الأعمال الصالحة الذي عجل له في الدنيا كما قال: ﴿مَنْ

عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل:

٩٧]، ويكون مأموراً بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التي وجد عاقبتها في

الدنيا؛ فلعل هذا يجعله يتوب.

الثاني: أن يكون المراد: من وجد خيراً أو غيره في الآخرة، كان هذا إخباراً منه

بأن الذين يجدون الخير في الآخرة يحمّدون الله على ذلك، وأن مَنْ وجد غير ذلك

يلوم نفسه حين لا ينفعه اللوم، فيكون الكلام لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر. قال

ابن رجب.

الحديث الخامس والعشرين

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أيضاً، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ. رواه مُسْلِمٌ.

أهمية الحديث:

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: وفي هذا الحديث فضيلة التسبيح وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضار النية في المباحات، وإنما تصير طاعات بالنيات الصادقات

شرح ألفاظ الحديث:

ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ: الدُّثُورُ بَضْمٌ الدَّالِ جَمْعُ دَثْرٍ بَفَتْحِهَا وَهُوَ الْهَالُ الْكَثِيرُ. والمعنى: استأثر أصحابُ الأموالِ الكثيرةِ بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَخَذَوْهَا عَنَّا مِمَّا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ أَجْرِ الصَّدَقَةِ بِأَمْوَالِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،

وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ؛ فارتفع أجرهم بما لا نقدر على مجاراتهم فيه، فدلهم النبي ﷺ على صدقاتٍ يقدرُونَ عليها.

أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ: ومعنى هذا أَنَّ الفقراء ظَنُّوا أَنَّ لا صدقةَ إِلَّا بِالْمَالِ، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ أَنَّ جميعَ أنواعِ فعلِ المعروف والإحسان صدقة.

ومقصود هذا الحديث: أَنَّ أعمالَ الخير إذا حسنت النيات فيها تنزل منزلة الصدقات في الأجور، ولا سيما في حق من لا يقدر على الصدقة.

إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ.

ويجوز للعبد أن يبدأ بأيها شاء، فقد جاء من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّنَ بَدَأْتَ"**. رواه مسلم.

قال الحافظ في الفتح: لكن يمكن أن يقال الأولى البداءة بالتسبيح لأنه يتضمن نفى النقائص عن الباري سبحانه وتعالى ثم التحميد لأنه يتضمن إثبات الكمال له إذ لا يلزم من نفى النقائص إثبات الكمال ثم التكبير إذ لا يلزم من نفى النقائص وإثبات الكمال أن يكون هناك كبير آخر ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده سبحانه وتعالى بجميع ذلك. اهـ

وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةً، وَنَهَى عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةً.

بمعنى إذا أمرت من رأيتَه مقصراً في شيء من الطاعات فهي صدقة، وإذا رأيت شخصاً على منكر ونهيته فهي صدقة.

قولهم: أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟

هذا استفهام من استبعد حصول أجر بفعل مستلذ، يحث الطبع عليه؟ وكان هذا الاستبعاد إنما وقع من تصفح الأكثر من الشريعة، وهو أن الأجور إنما تحصل في العبادات الشاقة على النفوس المخالفة لها. ثم إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجابهم على هذا بقياس العكس.

فقال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ.

أي كما أنه يأثم في ارتكاب الحرام، فإنه يؤجر في فعل الحلال إن حسنت نيته.

فوائد الحديث:

١. حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على السبق إلى الخيرات، ودليل على صفاء قلوبهم وطهارتهم.

٢. في هذا الحديث دليل على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم

٣. إحسان الظن بالأخ المسلم الذي على نفس النهج.

٤. يفهم من الحديث أن الصدقة في حق القادر عليها أفضل له من سائر الأعمال القاصرة على فاعلها.

٥. أن كل قول يقرب إلى الله تعالى فهو صدقة كالسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكله صدقة، ولا تقتصر على المال فقط.

٦. قَوْلُهُ ﷺ (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ) فيه إشارة إلى ثبوت حكم الصدقة في كل فرد من أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا نكره والثواب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر منه في التسبيح والتحميد والتهليل لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية وقد يتعين ولا يتصور وقوعه نفلاً والتسبيح والتحميد والتهليل نوافل ومعلوم أن أجر الفرض أكثر من أجر النفل لقوله عز وجل وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه رواه البخاري من رواية أبي هريرة.

٧. الترغيب في الإكثار من هذه الأذكار، لأن كل كلمة منه تعتبر صدقة تقرب المرء إلى الله عز وجل.

٨. أن الاكتفاء بالحلال والحرام يجعل الحلال قربة وصدقة لقوله: "وفي بضع أحدكم صدقة".

٩. التنافس على غنائم الآخرة رغم الفقر.

١٠. فيه دليل: على أن النيات الصادقات تصرف المباحات إلى الطاعات.

١١. فيه الحرص على أن تكون النية صالحة حتى في فعل المباحات وجميع الأعمال اليومية.

١٢. فيه جواز القياس وما نقل عن السلف من ذم القياس: المراد به القياس المصادم للنص.

ما ينبغي معرفته:

١. الفرق بين البُضع، والبُضع، والبُضع، والبُضع بالكسر، مختص بالعدد، قال تعالى: (في بضع سنين)، وهو العدد الذي يتراوح ما بين ثلاثة وتسعة، بحيث لا يقل عن ثلاثة أفراد ولا يزيد عن تسعة أفراد، وبُضع بالضم الجماع أو هو الفرج نفسه وهي ما وردت في حديثنا، وبُضع بالفتح هو فعل القطع واسم القطعة المقطوعة بضعه، كما في صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي"

٢. كيفية عد التسبيح: ظاهر اختيار أبي صالح هو أن يقول: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله - جميعا - ثلاثا وثلاثين، وظاهر الطرق الأخرى أنه يسبح ثلاثا وثلاثين مستقلة ويكبر ثلاثا وثلاثين مستقلة ويحمد كذلك وهذا ظاهر الأحاديث، قال القاضي عياض: وهو أولى من تأويل أبي صالح. قاله النووي في "شرح مسلم"

٣. الصدقات التي أرشد النبي ﷺ الفقراء إلى الإتيان بها تنقسم إلى قسمين: قسم يقتصر نفعه عليهم، وهو التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل، وقسم يتعداهم

إلى غيرهم، يكون نفعه لهم ولغيرهم، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجماع.

٤. الصدقة بغير المال نوعان:

أحدهما: ما فيه تعديّة الإحسان إلى الخلق، فيكون صدقةً عليهم، وربما كان أفضل من الصدقة بالمال، وهذا كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنّه دعاءٌ إلى طاعة الله، وكفٌّ عن معاصيه، وذلك خيرٌ من النّفع بالمال، وكذلك تعليمُ العلم النافع، وإقراء القرآن، وإزالة الأذى عن الطريق، والسعي في جلب النفع للناس، ودفع الأذى عنهم، وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم.

والنوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية: ما نفعه قاصرٌ على فاعله، كأنواع الذكر: من التكبير، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والاستغفار، وكذلك المشي إلى المساجد صدقة

٥. لم يذكر في شيء من الأحاديث الصلاة والصيام والحج والجهاد أنّه صدقة، وأكثر هذه الأعمال أفضل من الصدقات المالية؛ لأنّه إنّما ذكر ذلك جواباً لسؤال الفقراء الذين سألوه عما يُقاوم تطوُّع الأغنياء بأموالهم، وأما الفرائض، فقد كانوا كلهم مشتركين فيها.

٦. استشكل تساوى فضل هذا الذكر بفضل التقرب بالمال مع شدة المشقة فيه وأجاب الكرمانى بأنه لا يلزم أن يكون الثواب على قدر المشقة في كل حالة واستدل لذلك بفضل كلمة الشهادة مع سهولتها على كثير من العبادات الشاقة. قاله الحافظ

الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَائِيهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ". رواه البخاري ومسلم.

شرح الفاظ الحديث:

كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ: مُفْرَدُ سُلَامِيَّاتٍ، والسلاميات: عظام مفاصل الكف، والمراد بها هنا جميع عظام ابن آدم التي يتركَّب منها.

عَلَيْهِ صَدَقَةٌ: وذلك لأن تركيب جسم الإنسان من هذه السلاميات من أعظم نعم الله عليه، كما أنها تدلُّ على قدرة الله وعظمته، الذي خلق الإنسان على هذا النحو من التناسق وجمال المنظر ومرونة الحركة. ولا يعرف قيمة هذه النعمة وفضلها إلا مَنْ فَقَدَهَا.

فلما كان خلق الإنسان وتركيب عظامه على هذا النحو من أعظم نعم الله على ابن آدم، فكان يحتاج كل عظم منها إلى شكر، وطريق ذلك ما دل عليه النبي ﷺ في هذا الحديث.

كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: أي أن الصَّدَقَةَ على ابن آدم عن هذه الأعضاء في كل يوم من أيام الدنيا، فإن اليوم قد يُعَبَّرُ به عن مدَّةٍ أزيد من ذلك، كما يقال: يوم صِفِّين،

وكان مدة أيام، وعن مطلق الوقت كما في قوله: ﴿الْأَيَّامَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾
وقد يكون ذلك ليلاً ونهاراً، فإذا قيل: كل يوم تطلع فيه الشمس، علم أن هذه
الصدقة على ابن آدم في كل يوم يعيش فيه من أيام الدنيا

تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ: يدخل في العدل الحكم بينهما بالعدل، يدخل في ذلك
الصلح فيما يصلح به كما قال ﴿أَوْ إِصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ﴾ [سورة النساء: ١١٤].
وأشبه ذلك من الأعمال الخيرة.

وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُ لَهُ عَلَيْهَا: أي تساعد في الركوب على دابته أو
سيارته إن كان لا يقدر على ذلك فهو صدقة.

أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ: أي تحمل له متاعه عليها، وأغراضه من حطب
أو عشب أو طعام أو أي شيء يحتاج إلى حمله على الدابة، فإذا ساعدته على حمله عليها
وكان الذي يحمل عليها ثقیلاً فأعنته على ذلك فهي صدقة.

وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ: الكلمة الطيبة هي كل كلمة تقرب إلى الله كالتمسيح
والتهليل والتكبير والتحميد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسلام
وتشميت العاطس، وقراءة القرآن ومن أعظمها هو تعليم العلم وإقراء القرآن.

فالكلمة الطيبة، سواء كانت طيبة في حق الله تعالى، كالتمسيح والتكبير
والتهليل، أو في حق الناس، كحسن الخلق؛ فإنها صدقة.

وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ: الخُطْوَةُ بالضم: ما بين القدمين،
وجمع القلة خُطُواتٌ وخُطُواتٌ وخُطُواتٌ، والكثير خُطًى. بالفتح: المرّة الواحدة،
والجمع خَطُواتٌ بالتحريك وخِطَاءٌ.

والمقصود بها هنا هي مسافة ما بين القدمين عند المشي، فكل خطوة يخطوها العبد
إلى الصلاة فهي له صدقة.

وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ: الأذى ما يؤذي الهامة من ماء أو حجر أو
زجاج أو شوك أو غير ذلك وسواء أكان يؤذيهم من الأرض أو يؤذيهم من فوق كما
لو كان هناك أغصان شجرة متدلّية تؤذي الناس فأماطها فإن هذه صدقة.

وجاء في حديثٍ مُسَلِّمٍ الذي يرويه أبو ذرٍّ رضي الله عنه قال النبي ﷺ:
"وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى".

أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتا الضحى، إنّما كانتا مجزئتين
عن ذلك كلّهُ؛ لأنّ في الصلّاة استعْمالاً للأعضاء كلّها في الطّاعة والعبادة، فتكون
كافية في شكر نعمه سلامة هذه الأعضاء.

فإن كانت ركعتا الضحى تجزئ عن هذه الصدقات كلّها، فكيف بمن جمع بين
فعل هذا الخصال أو بعضها مع صلاة الضحى؛ فكم له من الأجر والثواب!!

فوائد الحديث:

١. الحديث دلالة من دلائل النبوة إذ أن هذه الأمور لا تعرف إلا بالوحي.

٢. أن تركيب عظام الآدمي وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى عليه، فيحتاج كل عظم منها إلى تصدق عنه بخصوصه ليتم شكر تلك النعمة.

٣. في الحديث الحثُّ والترغيبُ على فعلِ النّوافلِ؛ لأنّها سببُ محبةِ الله والقُربِ منه.

٤. على المسلم ألا يحتقر أي عمل يحتسبه عند الله سبحانه.

٥. أن هذا الحديث مكملٌ لحديث أبي ذرٍ السابق، فالأول في معاملات العبد مع ربه، وهذا في معاملات العبد مع إخوانه ومجتمعه.

٦. فيه دعوة للعبد المسلم على الاستمرار في الأعمال الصالحة في كل الأيام وأن لا يقف عند حد، ولا يمل منها، وذلك لقوله "كل يوم تطلع فيه الشمس".

٧. لما كانت المفاصل في الجوارح أسند الشكر لجميع هذه الجوارح من اللسان واليدين والرجلين، فاشتركت في الشكر.

٨. اجتمع فيها هذا الحديث عمل معظم الجوارح كاللسان واليدين والرجلين، والسمع والبصر بل وحتى القلب، فتدبر ذلك.

ما ينبغي معرفته:

١. ظاهرُ الحديث يدلُّ على أن هذا الشُّكر بهذه الصّدقة واجبٌ على المسلم كلّ يوم، ولكن الشُّكر على درجتين:

إحدهما: واجب، وهو أن يأتي بالواجبات، ويجتنب المحارم، فهذا لا بدّ منه، ويكفي في شكر هذه النعم، ويدلُّ على ذلك ما خرّجه أبو داود من حديث أبي الأسود

الدَّيْلِي، قال: كنا عند أبي ذرٍّ، فقال: يُصبح على كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ صدقة، فله بكلِّ صلاة صدقة، وصيام صدقة، وحجَّ صدقة، وتسييح صدقة، وتكبير صدقة، وتحميد صدقة، فعَدَّ رسول الله ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ قال: " يَجْزِي أَحَدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَا الضُّحَى " وفي حديث أبي موسى المخرَّج في " الصحيحين ": " فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فليَمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ ". وهذا يدلُّ على أَنَّهُ يَكْفِيهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ شَيْئاً مِنَ الشَّرِّ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُجْتَنِباً لِلشَّرِّ إِذَا قَامَ بِالْفَرَائِضِ، وَاجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ، فَإِنَّ أَعْظَمَ الشَّرِّ تَرْكُ الْفَرَائِضِ.

الدرجة الثانية من الشكر: الشكر المستحبُّ، وهو أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ بِنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهِيَ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَكَذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُومُ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فيقول: " أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ ". قاله ابن رجب

٢. حقيقة الشكر اعتراف العبد بمنحة وكرم المولى وغناه واعتراف العبد بعبجه وفقره إليه والشكر له ثلاثة أركان:

الأول: أن يشهد بقلبه بنسبة النعمة للمنعم الحق مع المحبة والخضوع له قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

الثاني: أن يثني على الله بلسانه وينسب الفضل لله وحده ويتبرأ من حوله وقوته

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى: ١١].

الثالث: أن يستعمل النعمة ويسخرها في طاعة الله ولا يستعملها في سخط الله

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٣].

وهذا بلا شك يوجب حفظ هذه النعم على صاحبها، وأن يزيدهم الله سبحانه

وتعالى من واسع فضله.

الحديث السابع والعشرون

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِنَّمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ". رواه مسلم.

وعن وَاِبْصَةَ بْنِ مَعْبِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟" قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: "اسْتَمْتِ قَلْبَكَ؛ الْبِرُّ مَا أَطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِنَّمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ". حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدِي الْإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالدَّارِمِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنِ.

التعريف بالراوي:

١ - النَّوَّاسُ - بَفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ - بْنُ سَمْعَانَ - بَفَتْحِ السَّيْنِ وَكَسْرِهَا، وَالْكَسْرُ أَشْهَرُ - بْنِ خَالِدٍ الْكِلَابِيِّ، مَعْدُودٌ مِنَ الشَّامِيِّينَ، يُقَالُ: إِنَّ أَبَاهُ سَمْعَانُ بْنُ خَالِدٍ وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَعْطَاهُ سَمْعَانُ نَعْلَيْهِ، فَقَبِلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَزَوَّجَ أُخْتَهُ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ تَعَوَّذَتْ مِنْهُ، فَتَرَكَهَا، وَهِيَ الْكِلَابِيَّةُ. قَالَه ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ.

٢ - وَاِبْصَةُ بْنُ مَعْبِدٍ بْنُ مَالِكٍ بْنُ عُبَيْدٍ الْأَسَدِيِّ، مِنْ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ، يَكْنَى أَبَا سَالِمٍ؛ قَالَه ابْنُ الْأَثِيرِ، وَقَالَ: لَهُ صَحْبَةٌ، سَكَنَ الْكُوفَةَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى الرَّقَّةِ، فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَكَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ لَا يَمْلِكُ دَمْعَتَهُ، وَكَانَ لَهُ بِالرَّقَّةِ عَقَبٌ.

تخريج الحديث:

حديث النواس رواه مسلم.

وحديث وابصة رواه أحمد في المسند والدارمي بإسناد ضعيف، وله شاهد من

حديث أبي ثعلبة الخشني رواه الطبراني في الكبير بإسناد قابل للتحسين، فحديث

وابصة حديث حسن بشاهده.

أهمية الحديث:

قال ابن حجر الهيتمي: هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، بل من أجزائها؛ إذ

البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير، وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع

أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيره.

شرح ألفاظ الحديث:

البرُّ: كلمة جامعة لجميع أفعال الخير كالعبادات وخصال المعروف كالمعاملات،

مأخوذة من البرِّ: وهو المكان المتسع؛ لاتساع هذه الكلمة في معناها؛ إذ تشمل الخير

كله والمعروف كله والطاعات الظاهرة والباطنة.

حُسْنُ الخُلُقِ: أي يطلق على ما يطلق عليه من الصلة والصدق والمبرة واللفظ

وحسن الصحبة والعشرة والطاعة فإن البر يطلق على كل مما ذكر وهي مجامع حسن

الخلق.

يشمل حسن القلب وسلامته من كل ضغينة وحقد وحسد وبغضاء، وحسن اللسان بالكلام الطيب، وحسن الأفعال من بذل المعروف والإحسان ولين الجانب وبذل المال وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الخير، وأن يحب للناس ما يحبه لنفسه. **والإثم:** كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح، سواء في حق الحق أو حق الخلق، ويدخل فيه عمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح والمعاملة، وينبغي تجنب الإثم والتوبة منه.

مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ: إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً، وضيقاً، وقلقاً، واضطراباً، فلم ينشرح له الصدر، ومع هذا، فهو عند الناس مستنكر، بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه، وهو ما استنكره الناس على فاعله وغير فاعله.

وهذا إنما هو خاص بمن شرح الله صدره للإسلام، وكان من الأتقياء، أما أهل الفجور فإن الإثم لا يحيك في صدورهم، بل ربما بعضهم يُسرُّ به، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر: ٨]، فمن رأى سوء عمله حسناً لا يمكن أن يحيك في صدره، وقد خاطب النبي ﷺ بهذا القول رجلاً من الصحابة صالحاً مستقيماً، يحيك الإثم في صدره ولم يخاطب به جميع الناس. فليتفطن لهذا.

وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ: أي: لا ترغب أن يراه الناس منك لعدم محبته منهم. وإن المروءة أن يفعل الإنسان ما يحمده الناس عليه ويترك ما يذمه الناس عليه؛ لأن الطباع السليمة مفطورة على الإسلام.

وفي حديث وابصة:

جِئْتُ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ: هذا من معجزات النبي ﷺ؛ إذ أخبره بما يريد قبل أن يتكلم بإعلام الله تعالى له، أو بمعرفته السابقة بحرصه على السؤال عن هذه الأمور. **اسْتَفْتِ قَلْبَكَ:** أي اطلب الفتوى من قلبك ما دام على صفاء فطرته لم تدنسه آفات الهوى.

لكن هذا إنما يصح ممن نور الله قلبه بالعلم، وزين جوارحه بالورع، بحيث يجد للشبهة أثراً في قلبه.

فالمراد من الحديث: أن المؤمن صاحب القلب السليم قد يستفتي أحداً في شيء فيفتيه بأنه حلال؛ فإذا كان حلالاً وكان مما يرضي الله تبارك وتعالى فإن النفس المؤمنة تطمئن إلى هذا الحكم، وأما إذا كان فيه حرامٌ أو شبهة، فهذا يقع في النفس منه عدم طمأنينة وخرج من فعله، فهنا عليه أن يتركه عملاً بما دله عليه قلبه، ويأتي توضيح هذا أكثر - إن شاء الله - في ما ينبغي معرفته.

مَا أَظْمَأَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ: أي سكنت إليه، ورضيت به، وأحبته، وفرحت به، وتلذذت به، وسارعت إليه، لأنها مفطورة على ذلك.

وإن أفتاك الناس وأفتوك: أي وإن قال لك الناس غير ذلك ممن هم من أهل الجهل وأهل الشر والفساد، الذين لا يصلحون أنفسهم، فكيف يصلحون غيرهم؟! ومن أهل الفتاوى الزائغة.

وأما أهل العلم والاجتهاد ممن سار على نهج السلف فهم الذين يُسألون، ويرجع إليهم في المدلهمات، وهم الذين يسمع قولهم؛ لأنهم أهل علم وأهل دراية ورواية وحق، ويريدون الخير للناس، ولا يريدون الأهواء، وهم المعنيون بقوله سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٣].

فوائد الحديث:

١. البر يشمل القيام بحقوق الله، والقيام بحقوق الخلق، ويدل على ذلك اختلاف الروایتين في تفسير البر فقال في الرواية الأولى "البر حسن الخلق" وهذا القيام بحقوق الخلق.
- وفي الرواية الثانية "البر ما اطمأنت إليه النفس" وهذا القيام بحقوق الله، لأنه فيما بين الإنسان وبين ربه.
٢. أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير الذي نوره الله بنور العلم، بل يعرف الحق بالنور الذي في قلبه، وينفر عن الباطل فينكره.
٣. الرجل المؤمن يكره أن يطلع الناس على آثامه لقوله: "وكرهت أن يطلع عليه الناس"، والفاجر على عكس ذلك.
٤. الفتوى لا تبيح الإقدام على ما يشك الإنسان في حله، لقوله: "وإن أفتاك الناس وأفتوك"، فقوله وأفتوك: تأكيد، ويشهد لهذا الحديث قوله: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، الصدق طمأنينة والكذب ريبة".

٥. أن البر عليه نور يعرفه كل أحد، والإثم يسبب شكاً وقلقاً.
٦. أنه لا يبلغ أحد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر.
٧. قوله وكرهت أن يطلع عليه الناس: المراد بهم أهل الدين والصلاح، وليسوا الفساق وأهل الضلال فإنهم إخوان الشياطين، فإنهم يزينون له القبيح ويمدحونه عليهم.
٨. أن قلب المؤمن يطمئن للعمل الصالح طمأنينة تبشّره بأمن العاقبة، ولا يطمئن للإثم، بل يورثه تندماً ونفرةً وحزازةً.
٩. أن النفس إذا اطمأنت كان منها حسن الخلق.
١٠. أن التردد في الشيء والتحرج منه دليل على أنه إثم، وليس منه تردد المبتلى بالوسواس وتحرجه.
١١. البر لا يُستحى من فعله في خلوات الإنسان وفي المجتمعات العامة بخلاف الإثم فإن فعله في الخلوة يسبب الحرج والضيق وفعله في العلانية يستحى منه.
١٢. أن في الحديثين تفسيراً للبر والإثم.

ما ينبغي معرفته:

١. قوله: (جئت تسأل عن البر): إخبار النبي ﷺ له بالذي جاء يسأل عنه قبل أن يُبدي سؤاله محمول على أمرين:
- ✓ إما بإعلام الله سبحانه وتعالى له بذلك، فيكون من علامات نبوته ﷺ.

✓ وإما على علم سابق للنبي ﷺ باهتمام هذا الصحابي بمعرفة البر والإثم، فلعلّه حصل له مراجعة النبي ﷺ من قبل في شيء من ذلك.

٢. اختلف التفسير للبر؛ لأن البر يطلق على معنيين:

أولاً: معاملة الخالق، وذلك بفعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، ويقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧] الآية [البقرة: ١٧٧].

فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبه الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر على الأقدار، كالمرض والفقر، وعلى الطاعات، كالصبر عند لقاء العدو.

ثانياً: معاملة الخلق بالإحسان إليهم، مثل: بر الوالدين، وبر الأرحام. ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً، وقد صنّف ابن المبارك كتاباً سماه كتاب "البر والصلة"، وكذلك في "صحيح البخاري" و"جامع الترمذي": كتاب "البر والصلة"، ويتضمن هذا الكتاب الإحسان إلى الخلق عموماً، ويقدم فيه برّ الوالدين على غيرهما. قاله ابن رجب

وعلى هذا جاءت الروايتان مكملتان لبعضهما، فالأولى في حق المخلوق، والثانية في حق الخالق.

٣. للإِثْمِ عَلَامَتَانِ مَأْخُودَتَانِ مِنَ الْحَدِيثِ:

دَاخِلِيَّةٌ: وَهِيَ أَنْ يَتَرَدَّدَ الْأَمْرُ فِي النَّفْسِ وَيَتْرُكَ فِيهَا قَلَقًا وَتُفُورًا.

وْخَارِجِيَّةٌ: وَهِيَ أَنْ يَكْرَهَ أَطْلَاعَ النَّاسِ عَلَيْهِ.

٤. أن قوله: (الإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ) إنما هو خاص بمن شرح الله صدره

للإسلام

وكان من الأتقياء، أما أهل الفجور فإن الإِثْمَ لا يحكيك في صدورهم، بل ربما

بعضهم يُسِرُّ به، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر:

٨]، فمن رأى سوء عمله حسناً لا يمكن أن يحكيك في صدره، وقد خاطب النبي

ﷺ بهذا القول رجلاً من الصحابة صالحاً مستقيماً، يحكيك الإِثْمَ في صدره ولم

يخاطب به جميع الناس.

وهكذا قوله ﷺ: (استفت قلبك) المراد به المؤمن صاحب القلب السليم التقي

الورع الذي قد يستفتي أحداً في شيء فيفتيه بأنه حلال، ولكن يقع في نفس المؤمن

حرج من فعله، فهنا عليه أن يتركه عملاً بما دله عليه قلبه.

قال القرطبي في المفهم: لكن هذا إنما يصح ممن نور الله قلبه بالعلم، وزين

جوارحه بالورع، بحيث يجد للشبهة أثراً في قلبه، كما يحكى عن كثير من سلف هذه

الامة. اهـ

فالذي يستفتي قلبه ويعمل بما أفتاه به هو صاحب القلب السليم الطاهر النقي،
لا القلب المريض، فإن صاحب القلب المريض لو استفتى قلبه عن الموبقات
والكبائر لأفتاه أنها حلال لا شبهة فيها!

قال العلامة العثيمين: "هذه الجملة إنما هي لمن كان قلبه صافياً سليماً، فهذا هو
الذي يحوك في نفسه ما كان إثماً، ويكره أن يطلع عليه الناس.
أما المتَّمَرِّدون الخارجون عن طاعة الله الذين قست قلوبهم فهؤلاء لا يبالون،
بل ربما يتبجحون بفعل المنكر والإثم، فالكلام هنا ليس عاماً لكل أحد، بل هو
خاص لمن كان قلبه سليماً طاهراً نقياً، فإنه إذا همَّ بإثم وإن لم يعلم أنه إثم من قبل
الشرع تجده متردداً يكره أن يطلع الناس عليه، فهذا علامة على الإثم في قلب المؤمن"
انتهى. "شرح الأربعين النووية"

٥. قال ابن القيم في "إعلام الموقعين" (٤/٢٥٤):

"لا يظن المستفتي أن مجرد فتوى الفقيه تبيح له ما سأل عنه إذا كان يعلم أن الأمر
بخلافه في الباطن، سواء تردد أو حاك في صدره، لعلمه بالحال في الباطن، أو لشكه
فيه، أو لجهله به، أو لعلمه جهل المفتي، أو محاباته في فتواه، أو عدم تقيده بالكتاب
والسنة، أو لأنه معروف بالفتوى بالحيل والرخص المخالفة للسنة، وغير ذلك من
الأسباب المانعة من الثقة بفتواه، وسكون النفس إليها". اهـ

٦. أن استفتاء القلب إنما هو مقيد بالمسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف بين العلماء، وأما ما جاء فيه النص الصريح من الكتاب أو السنة أو الإجماع، فليس للمؤمن إلا طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ ولا محل لاستفتاء القلب فيه.

٧. قوله في حديث وابصة: " وإن أفتاك المفتون " يعني: أن ما حاك في صدر الإنسان، فهو إثم، وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم، فهذه مرتبة ثانية، وهو أن يكون الشيء مستنكراً عند فاعله دون غيره، وقد جعله أيضاً إثمًا، وهذا إنَّما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح صدره بالإيمان، وكان المفتي يُفتي

له بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي، فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي، فالواجب على المستفتي الرجوع إليه، وإن لم ينشرح له صدره، وهذا كالرخص الشرعية، مثل الفطر في السفر، والمرض، وقصر الصلاة في السفر، ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال، فهذا لا عبرة به.

وقد كان النبي ﷺ أحياناً يأمر أصحابه بما لا تنشرح به صدور بعضهم، فيمتنعون من فعله، فيغضب من ذلك، كما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة، فكرهه من كرهه منهم، وكما أمرهم بنحر هديهم، والتحلل من عمرة الحديبية، فكرهوه، وكرهوا مقاضاته لقريش على أن يرجع من عامه، وعلى أن من أتاه منهم يرده إليهم.

وفي الجملة، فما ورد النص به، فليس للمؤمن إلا طاعة الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦].

وينبغي أن يتلقى ذلك بانسراح الصدر والرضا، فإن ما شرعه الله ورسوله يجب الإيمان والرضا به، والتسليم له، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥]. قاله ابن رجب

٨. هل ما يقع في صدرك من الحرج ولا يطمئن إليه قلبك هل هو إثم بإطلاق أم لا؟

الجواب فيه تفصيل على حالات:

الأولى: ما ورد النص به، وإنما دخل عليه التردد بسبب جهله وعدم علمه بالمسألة، فإنه لا يجوز أن يبقى في النفس تردد مع ورود النص من الكتاب أو السنة أو إجماع أهل العلم في مسألة، أو إجماع أهل السنة في مسألة، كمسح ظاهر الخف، أو المسح على العمامة،

الثانية: أن يختلف المفتون، وقد أوضح لهم حاله؛ فإن عليه أن يأخذ بفتوى الأعلام والأفقه منهم، أو من تطمئن نفسه بفتواه.

الثالثة: أنه لم يُحسن إبداء مسألة، أو لم يستفصل المفتي؛ فرجع الأمر فيما بينه وبين المفتي إلى عدم وضوح في موافقة حكم الله في المسألة؛ فإنه يترك الأمر ويخرج من الخلاف، استبراء لدينه ورغبة بزوال تعرضه للإثم. والله أعلم

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ فَأَوْصِنَا. قَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ". رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

التعريف بالراوي:

الْعَرَبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ أَبُو نَجِيحٍ السُّلَمِيُّ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحِدٌ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ الَّتِي بِمَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ الْبُكَائِينَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٩٢]، الآية. تُوفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ.

أهمية الحديث:

الحديث أصلٌ عظيم في وجوب التمسك بهدي النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ونبذ ما ابتدع بعدهم في الدين.

قال ابن العطار رحمه الله: هذا الحديث معجزةٌ وعَلَمٌ من أعلام النبوة؛ فإنه ﷺ

خبرٌ بما وقع من اختلاف. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة: الوَعْظُ والعِظَةُ والمَوْعِظَةُ هو: النَّصْحُ والتذكير بالعواقب؛ قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُليِّن قلبه من ثواب وعقاب.

والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها في القلوب.

والبلاغة في الموعظة مستحسنة؛ لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها. ووصفت الموعظة بأنها بليغة لأنها مؤثرة؛ ومن تأثيرها تبلغ سويداء القلب وتؤثر فيه، فتكون قد بلغت أعماق القلب؛ لتظهر آثارها وتجنّي ثمارها، وذلك لعظم معانيها وإيصالها لقلوب السامعين.

وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون: يعني: حصل التأثير لقلوبهم وعيونهم، فعيونهم بكت، وقلوبهم وجلت.

فالموعظة ما كان من الكلام فيه ترغيب وترهيب، يؤثّر على النفوس ويبلغ القلوب، فتوجل من مخافة الله، وقد وصف العرباض رضي الله عنه هذه الموعظة بهذه الصفات الثلاث، التي هي البلاغة ووجل القلب وذرف العيون.

وهذا حال المؤمن مع كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ.

فقد وصف الله المؤمنين بوجل قلوبهم وذرف عيونهم عند ذكر الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا

أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [سورة المائدة: ٨٣]

قلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودِّع فأوصنا: أي: يعنون وصية جامعة كافية، فإنهم لما فهموا أنه مودِّع، استوصوه وصية ينفعهم التمسك بها بعده، ويكون فيها كفاية لمن تمسك

بها، وسعادة له في الدنيا والآخرة، وإنما سألوا ذلك لأن الوصية عند الوداع لها وقع في النفوس.

أوصيكم بتقوى الله: تقوى الله عزَّ وجلَّ أن يجعل المرء بينه وبين غضب الله وقاية تقيه منه، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وتصديق الأخبار، وهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة النساء: ١٣١]، وهي سبب كل خير وفلاح في الدنيا والآخرة.

والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد: وهي وصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية الله، ولو كان الأمير عبداً وقد أجمع العلماء على أن العبد ليس

أهلاً للخلافة، ويُحمل ما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في معناه على المبالغة في لزوم السمع والطاعة للعبد إذا كان خليفة، إلا أن يكون العبد تغلب على الناس بشوكته واستقرت الأمور واستتب الأمن؛ وذلك لما في منازعته من حصول ما هو أنكر من ولايته.

فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً: هذا إخبارٌ منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات، وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضعة وسبعين فرقة، وأتمها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي من كان على ما هو عليه وأصحابه.

وهذا من دلائل نبوته ﷺ، حيث أخبر عن أمر مستقبل وقع طبقاً لما أخبر به ﷺ؛ فإن الذين طالت أعمارهم من أصحاب النبي ﷺ أدركوا اختلافاً كثيراً ومخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك بظهور بعض فرق الضلال، كالقدرية والخوارج وغيرهم.

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء: أمر النبي ﷺ عند حصول الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله.

فمن أراد طريق السلامة والنجاة فعليه بالتمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين،
فإن النبي ﷺ قد وصف الخلافة بعده بأنها خلافة نبوة، كما جاء في حديث سفينة
رضي الله عنه: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء"
رواه أبو داود وهو حديث صحيح.

الراشدين: الراشد ضد الغاوي، والغاوي من عرف الحق، وعمل بخلافه،
فوصف النبي ﷺ الخلفاء بالراشدين؛ لأنهم عرفوا الحق وقصّوا به.
المهديين: يعني: أن الله يهديهم للحق، ولا يضلّهم عنه.
عضوا عليها بالتواجذ: النواجذ: الأضراس، فقوله ﷺ: "عضوا عليها
بالتواجذ" كناية عن شدة التمسك بها.

وإياكم ومحدثات الأمور: المقصود بالمحدث هنا: المبتدع والمخترع، فهذا
تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثّة المبتدعة.
قوله: كل بدعة ضلالة: المراد بالبدعة: ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدلّ
عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه، فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة
لغة.

وهذه الكلمة من جوامع كلم النبي ﷺ فإنه لا يخرج عنه شيء، وهو أصل
عظيم من أصول الدين.

١. أهمية الموعدة واختيار الوقت المناسب لها، وتحويل الناس بها، وحاجة الناس لها، وتربية القلوب بها.
٢. أن لين قلوب الصحابة رضي الله عنهم لذكر الله دليل على قوة الإيمان، كما قال سبحانه في بيان صفة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢].
٣. فقه الصحابي العرباض بن سارية رضي الله عنه حيث قدم قوله " وجبت منها القلوب " على قوله " ذرفت منها العيون " لأن القلب هو الأصل.
٤. لزوم التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما عند الاختلاف والتفرق.
٥. في أمره صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، وسنة خلفائه الراشدين بعد أمره بالسمع والطاعة لولاة الأمور عموماً دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة، كاتباع سنته، بخلاف غيرهم من ولاة الأمور.
٦. فيه الالتزام بسنة الرسول وخلفائه عند الاختلاف.
٧. أهمية الوصية ومنزلتها في الإسلام، وكم نجد في الكتاب والسنة من الوصايا العظيمة لأهل الإسلام.
٨. فيه أن قوله صلى الله عليه وسلم: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة "، تجمعان سعادة الدنيا والآخرة.

فأَمَّا التَّقْوَى، فهي كافلةٌ بسعادة الآخرة لمن تمسَّك بها.
وأَمَّا السَّمْع والطاعة لؤُلاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدُّنيا، وبها تنتظمُ مصالحُ العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربِّهم.
٩. التحذير من الابتداع في أمور الدين؛ قال عبدالله بن مسعود: اتبعوا ولا تبدعوا؛ فقد كفيتُم، وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أوصني، قال: عليك بتقوى الله، والاستقامة، واتبع ولا تبدع.
١٠. أن كلَّ من أحدث شيئاً، ونسبه إلى الدِّين، ولم يكن له أصلٌ من الدِّين يرجع إليه، فهو ضالَّةٌ، والدِّينُ بريءٌ منه، وسواءٌ في ذلك مسائلُ الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

١١. التمسك بالسنة، والصبر على ما يصيب المتمسك من الأذى في ذلك.

ما ينبغي معرفته:

١. قوله: "وإن تأمر عليكم عبدٌ" أجمع العلماء على أن العبدَ ليس أهلاً للخلافة، ولهذا كان لأهل العلم في قول النبي ﷺ هذا توجيهان:
الأول: أنه مثل ضربه النبي ﷺ على التقدير وإن لم يكن؛ كقوله ﷺ:
"من بنى لله مسجداً كمفحص قطاة، بنى الله له بيتاً في الجنة"، ومفحصُ القطاة لا يكون مسجداً، ولكن الأمثال يأتي فيها مثل ذلك.

الثاني: أن النبي ﷺ أخبر بفساد الأمر ووضعه في غير أهله، حتى توضع الولاية في العبد، فإذا كانت فاسمعوها وأطيعوها؛ تغليبا لأهون الضررين، وهو الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته؛ لئلا يفضي إلى فتنة عظيمة.

وهذا الأخير هو الذي رجحه ابن العربي كما ذكره صاحب تحفة الأحوزي.

٢. قوله: كل بدعة ضلالة: المراد به ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة، كصلاة التراويح وقول عمر رضي الله عنه (نعمة البدعة هي).

٣. قوله: وسنة الخلفاء الراشدين: هو عام أريد به الخاص، إذ لو فرض أن خليفة راشد سن سنة لا يعضدها دليل شرعي لما جاز اتباعها، ويدل على ذلك قوله بعدها: (تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ) ولم يقل تمسكوا بها إذ الأصل أن سنة الخلفاء هي الاتباع لسنة النبي ﷺ والسير على ما سار عليه ﷺ. فتفتن لذلك فقد خفي على الكثير من الناس.

وانظر إلى ما قاله الصديق رضي الله عنه حيث قال: "ولست تاركا شيئا كان رسول الله يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ". أخرجه البخاري في صحيحه

٤. الناس ثلاثة: راشدٌ وغاوٍ وضالٌّ، فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي: عرفه ولم يتبعه، والضال: لم يعرفه بالكلية، فكل راشد، فهو مهتد، وكل مهتد هداية تامة، فهو راشد؛ لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضا. ابن رجب

٥. قال العلماء: الولايات الشرعية العامة تكون بإحدى طريقتين:

الطريق الأول: طريق الاختيار؛ أن يُختار الإمام العام أو أن يختار الأمير، وولاية الاختيار لها شروطها إذا كانت لأهل الحل والعقد، فإنهم يختارون من اجتمعت فيه الشروط الشرعية التي جاءت في الأحاديث، ومنها: أن يكون الإمام قُرشيًّا، ومنها أن يكون عالمًا، يُحسُنُ سياسة الأمور، وأشبه ذلك مما اشترطه أهل العلم في ولاية الاختيار.

والقسم الثاني: ولاية التغلب، وهو: أن يغلب أميرٌ أو غيره ممن لا تتوفر فيه الشروط، أو بعض الشروط، أو تكون تتوفر فيه لكنه غلبَ إماماً آخر قبله، فإنه هنا إذا غلبَ يُباع ويُسمع له ويُطاع؛ لأنَّ البيعة هنا أصبحت بيعة تغلب، والولاية ولاية غلبة وسيف.

فهذا كما أوصى هنا -عليه الصلاة والسلام- أن يُسمع ويُطاع لمن لم تتوفر فيه الشروط التي تكون في ولاية الاختيار، حيث قال هنا -عليه الصلاة والسلام-: (وإن تأمر) ونفهم من التأمر أنه لم يكن ثمَّ اختيار، فهذه ولاية التغلب، وقال: (إن تأمر عليكم عبداً) ومعلوم أنَّ العبد لا يُختار ليلي أمور المسلمين.

٦. محدثات الأمور ما أحدث وابتدع في الدين مما لم يكن له أصل فيه، وهو يرجع إلى الاختلاف والتفرق المذموم الذي ذكره النبي ﷺ بقوله: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً"، وقد وصف النبي ﷺ كلَّ البدع بأنها ضلال، فلا يكون شيءٌ من البدع حسناً؛ لعموم قوله: "وكل بدعة ضلالة".

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (١٠١٧): "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا" فهو محمولٌ على القدوة الحسنة في الخير، كما هو واضح من سبب الحديث، وهو أَنَّ رسولَ الله ﷺ حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصُرَةً كَبِيرَةً، فَتَابِعَهُ النَّاسُ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ، وَهُوَ مَحْمُولٌ أَيْضاً عَلَى مَنْ أَظْهَرَ سَنَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَحْيَاهَا، كَمَا حَصَلَ مِنْ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي جَمْعِ النَّاسِ عَلَى صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّهُ إِظْهَارٌ لِسُنَّتِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ قِيَامَ رَمَضَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَتَرَكَهُ خَشْيَةً أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٢٠١٢)

قال الحافظ ابن رجب: وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية، لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلُّون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه. ومراده أَنَّ هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها، فمنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحُثُّ عَلَى قِيَامِ رَمَضَانَ، وَيُرَغِّبُ فِيهِ، وَكَانَ النَّاسُ فِي زَمَنِهِ يَقُومُونَ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً وَوَحِدَانًا، وَهُوَ ﷺ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ فِي رَمَضَانَ غَيْرَ لَيْلَةٍ، ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَعْلَلًا بِأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِمْ، فَيَعْجِزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، وَهَذَا قَدْ أُمِّنَ بَعْدَهُ ﷺ. اهـ

الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلَا: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [سورة السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: نِكَلْتِكَ أَمُّكَ يَا مُعَاذُ. وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أهمية الحديث:

تضمن هذا الحديث الأعمال الصالحة التي تدخل الجنة وتبعد عن النار، وهذا أمر عظيم جداً؛ لأنه من أجل دخول الجنة والنجاة من النار أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ: هذا يدلُّ على شِدَّةِ اهْتِمَامِ معاذٍ رضي الله عنه بالأعمال الصَّالحة، وأنَّ الأعمالَ سببٌ لدخول الجنة والنَّجاة من النار، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٢].

لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ: وذلك لأنَّ دخول الجنة والنَّجاة من النار أمرٌ عظيمٌ جداً، ولأجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرُّسل، وقال النَّبِيُّ ﷺ لرجلٍ: "كيف تقول إذا صَلَّيْتَ؟" قال: أسأَلُ الله الجنة، وأعوذُ به من النار، ولا أحسِنُ دندنتك ولا دندَنَةَ مُعَاذٍ، يشير إلى كثرة دعائها واجتهادهما في المسألة، فقال النَّبِيُّ ﷺ - : "حَوْهَا نُدْنِدِنْ".

وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: أي ومع عِظَمِ هذا العملِ إِلَّا أَنَّهُ سَهْلٌ وَهَيِّنٌ عَلَى مَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ففيه إشارةٌ إلى أَنَّ التَّوْفِيقَ كُلَّهُ بيد الله عز وجل، فمن يَسَّرَ الله عليه الهدى اهتدى، ومن لم يُيسره عليه، لم يَتيسَّرْ له ذلك، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَقَ بِالْحُسْنِ (٦) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَبَ بِالْحُسْنِ (٩) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) [سورة الليل: ٥-١٠].

تَعْبُدُ اللَّهَ: "تَعْبُدُ اللَّهَ" بمعنى تتذلل له بالعبادة حباً وتعظيماً، فبالحبة تفعل الطاعات، وبالتعظيم تترك المعاصي.

لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا: أي لا تشرك مع في عبادته أحداً، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا.

وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ:

بقية أركان الإسلام ودعائمه، وقد تقدم الكلام عليها.

قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ: أي: ألا أرشدك.

عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: أي: طُرُقِ الْخَيْرِ وَمَفَاتِيحِهِ الْمَوْصِلَةِ لَهُ، والمراد بالخير: هو النَّجَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمُ فِي الْآخِرَةِ.

فإنَّه لَمَّا رَتَّبَ دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ، دَلَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ.

الصَّوْمُ جَنَّةٌ: الْجَنَّةُ: هي ما يستجنُّ بها العبدُ أي يحتمي ويتقي، كالمجنِّ الذي يقيه عند القتال من الضرب، فكذلك الصيام يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا، كما قال - عز وجل - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ

مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ [سورة البقرة: ١٨٣].

فإذا كان له جنة من المعاصي، كان له في الآخرة جنة من النار، وإن لم يكن له جنة في الدنيا من المعاصي، لم يكن له جنة في الآخرة من النار.

والمرادُ به هنا: صيامُ التَّطَوُّعِ؛ لأنَّه ذَكَرَ صَوْمَ رَمَضَانَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي تُوجِبُ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالْمَبَاعِدَةَ عَنِ النَّارِ.

وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ: أي: تَذْهَبُ بِهَا وَتَمْحُو أَثَرَهَا الْمُرْتَبِّ عَلَيْهِا، "كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ"، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنْ بُدُّوا

الْصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ

مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الصَّدَقَةَ يُكَفِّرُ بِهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ:

إِمَّا مُطْلَقًا، أَوْ صَدَقَةَ السَّرِّ.

والمرادُ بها أيضًا هنا صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ؛ لِأَنَّ زَكَاةَ الْفَرَضِ سَبَقَ ذِكْرُهَا.

وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: ذَكَرَ أَفْضَلَ أَوْقَاتِ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ، وَهُوَ جَوْفُ اللَّيْلِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ أَيْضًا كَالصَّدَقَةِ.

فَقِيَامُ اللَّيْلِ يُكَفِّرُ الْخَطَايَا؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ، فَقَدْ قَالَ - ﷺ -، قَالَ:

"عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قَرَبَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ". رَوَاهُ

الترمذي من حديث أبي أمامة.

ثُمَّ تَلَا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْمَلُونَ):

أي: يُبَيِّنُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَجْرٍ، وَمَا تَقَرَّبَ بِهِ أَعْيُنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ نَعِيمٍ.

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ: أي: رأس الدين الذي بعث به ﷺ وهو الإسلام، وقد جاء تفسيره في الرواية الأخرى بالشهادتين، فمن لم يقرّ بهما ظاهراً وباطناً، فليس من الإسلام في شيء.

وَعَمُودِهِ: أصل الدين وما يقوم ويعتمد عليه.

وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ؟: السنام: ما ارتفع من ظهر الجمل، والمراد: أعلى ما في الدين وأرفعُه؟

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ: جاء تفسيره في الرواية الأخرى بالشهادتين، فمن لم يقرّ بهما ظاهراً وباطناً، فليس من الإسلام في شيء.

وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ: أي أن قوام الدين الذي يقوم به الدين كما يقوم الفسطاط على عموده، فهو الصلاة.

فبالمحافظة على الصلاة يقوى الدين ويشتد، وتظهر آثار الالتزام بالدين عليه، فالصلاة هي الركن الدائم الذي يؤدي بصورة يومية خمس مرات ولا عذر لأحد في التخلي عنها وتركها، فصارت كالعمود الذي لا يقوم البناء إلا به.

وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ: أي: أن من جاهد في سبيل الله حصلت له الرفعة ولدينه. وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض، وبهذا قال الإمام أحمد وغيره من العلماء.

المراد بذلك أنه ما لم يقر العبد بكلمتي الشهادة لم يكن له من الدين شيء أصلاً، وإذا أقر بهما حصل له أصل الدين إلا أنه ليس له عمود، فإذا صلى وداوم على الصلاة قوي دينه ولكن لم يكن له رفعة وكمال، فإذا جاهد حصل لدينه رفعة

ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟: الْمَلَاكُ ما به إحكام الشيء وتقويته من ملك العجين إذا أحسن عجنه وبالغ فيه وأهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها والرواية بالكسر وذلك إشارة إلى ما ذكر من أول الحديث إلى هنا من العبادات، وأكدته بقوله كله لئلا يظن خلاف الشمول أي بما تقوم به تلك العبادات جميعها.

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا: إشارة إلى اللسان، وإنما أخذ عليه الصلاة والسلام بلسانه وأشار إليه من غير اكتفاء بالقول تنبيهها على أن أمر اللسان صعب.

والمعنى لا تكلم بما لا يعينك فإن من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ولكثرة الكلام مفسد لا تحصى.

قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ: أي هل يؤاخذنا ويعاقبنا أو يحاسبنا ربنا. **بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟:** يعني بجميعه إذ لا يخفى على معاذ المؤاخذة ببعض الكلام. **فَقَالَ: تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ:** أي فقدتك وهو دعاء عليه بالموت على ظاهره ولا يراد وقوعه بل هو تأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر.

وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ: يَفْتَحِ الْيَأْسَ وَضَمَّ الْكَافِ مِنْ كَبَّهْ إِذَا صَرَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ، أَيِ هَلْ تَظُنُّ غَيْرَ مَا قُلْتَ وَهَلْ يَكُوبُ

وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ: أي يُلقِيهِمْ
ويُسْقِطُهُمْ وَيَصْرِعُهُمْ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ.
وإنما خص الوجوه والمناخر بالكب لأنها أول الأعضاء سقوطاً.
إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ: حصائد الألسن ما حصلت للإنسان واكتسبه من الإثم
بالكلام فيما لا ينفع.

والمعنى لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم من الكفر والقذف والشتم
والغيبة والنميمة والبهتان ونحوها والاستثناء مفرغ وهذا الحكم وارد على الأغلب
أي على الأكثر لأنك إذا جربت لم تجد أحداً حفظ لسانه عن السوء ولا يصدر عنه
شيء يوجب دخول النار إلا نادراً.

فظاهر هذا الحديث يدلُّ على أنَّ أكثر ما يدخل النَّاسُ به النار النَّطْقُ بألسنتهم،
فإنَّ معصية النَّطق يدخل فيها الشُّرْكُ وهو أعظمُ الذُّنُوبِ عندَ الله - عز وجل -،
ويدخل فيها القولُ على الله بغير علم، وهو قرينُ الشُّرْكِ، ويدخل فيه شهادةُ الزُّورِ
التي عدلت الإِشْرَاقَ بالله - عز وجل -، ويدخل فيها السَّحَرُ والقذفُ وغيرُ ذلك
مِنَ الكبائرِ والصَّغائرِ كالكَذِبِ والغيبةِ والنَّمِيمَةِ، وسائرُ المعاصي الفعلية لا يخلو
غالباً من قول يقترب بها يكون معيناً عليها.

فوائد الحديث:

١. حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير ومعرفة ما يوصل إلى الجنة
ويُبَاعَدُ من النار.

٢. فيه دليل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة.
٣. أن الطريق الموصل إلى النجاة شاق، وسلوكه يحصل بتيسير الله.
٤. فيه إشارة إلى أن التوفيق كله بيد الله عز وجل، فمن يسر الله عليه الهدى اهتدى، ومن لم يسره عليه، لم يتيسر له ذلك
٥. فيه إشارة إلى أن الإسلام من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه وعدم بقائه دونه
٦. أن أهم شيء كُلف به الثقلان عبادة الله عز وجل، وقد أنزلت الكتب وأرسلت الرسل لذلك.
٧. أن من أهم ما يقترب به إلى الله بعد أداء الفرائض الصدقة والصوم وقيام الليل.
٨. فيه حرص النبي ﷺ على تزود أمته من أبواب الخير؛ حتى تزداد درجاتهم في الجنة.
٩. أن على العالم والداعي إلى الله سبحانه تعليم الناس ما ينفعهم عند ربهم ويرفع درجاتهم.
١٠. بيان خطورة اللسان، وأنه يفضي إلى المهالك ويوقع في النار.

١١. فيه تشبيه ما يتكلم به الإنسان بالزراع المحصود بِالْمَنْجَلِ^(١)، فكما أن المنجل يقطع من غير تمييز بين رطب ويابس وجيد ورديء كذلك لسان المكثار في الكلام بكل فن من الكلام من غير تمييز بين ما يحسن وما يقبح.

١٢. في الحديث دلالة على التحذير من أذى اللسان ومن آفاته، وآفاته كثيرة لا تنحصر، وأكثر معاصي ابن آدم فيه من أقبحها وأضرها للناس وأفحشها الغيبة.

١٣. فيه أَنَّ كَفَّ اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كُلِّهِ، وَأَنَّ من ملك لسانه، فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه.

١٤. أَنَّ الإنسان يحصد يوم القيامة ما زرع في الدنيا، فمن زرع خيراً من قولٍ أو عملٍ حَصَدَ الكرامة، ومن زرع شراً من قولٍ أو عملٍ حَصَدَ غداً الندامة.

ما ينبغي معرفته:

١. سبب وصف هذا المسئول عنه بأنه عظيم، لأنه سر الحياة والوجود، فكل موجود في هذه الدنيا من بني آدم أو من الجن غايته إما الجنة وإما النار، فلذلك كان هذا السؤال عظيماً.

٢. ما الجمع بين هذا الحديث وبين وقوله ﷺ: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ؟"

(١) هو الآلة التي يحصد بها الحشيش والزرع.

الجواب: قال ابن رجب: إنَّ العملَ بنفسِه لا يَسْتَحِقُّ به أحدُ الجنَّة، لولا أنَّ الله عزَّ وجلَّ جعله بفضلِه ورحمته سبباً لذلك، والعملُ بنفسِه من فضلِ الله ورحمته على عبده، فالجنَّة وأسبابها كلُّ من فضلِ الله ورحمته. اهـ

٣. قوله: **وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**: سبب هذا التشبيه أنَّ الخطيئة فيها شيء من الحرارة لأنه يعذب عليها الإنسان بالنار، والماء فيه شيء من البرودة، ولهذا شبه النبي ﷺ ذلك بالماء يطفيئ النار.

٤. قوله: **وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**: أي: قيامُ اللَّيْلِ، وهو عامٌّ للرجل والمرأة، ولكن ذكر الرجل فقط تغليباً.

٥. قوله سبحانه: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴿١٧﴾ [سورة السجدة: ١٦-١٧].

يشمل ذلك كلُّ مَنْ ترك النَّومَ بالليل لذكر الله ودُعائه، فدخل فيه مَنْ صَلَّى بين العشاءين، ومن انتظر صلاة العشاء فلم ينم حتَّى يُصلِّيها لاسيما مع حاجته إلى النوم، ومجاهدة نفسه على تركه لأداء الفريضة، وقد قال النبي ﷺ لمن انتظر صلاة العشاء: ((إتكم لن تزلوا في صلاةٍ ما انتظرتُم الصَّلاة))، ويدخل فيه مَنْ نامَ ثمَّ قامَ مِنْ نومه بالليل للتهجد، وهو أفضلُ أنواع التطوُّع بالصَّلاة مطلقاً. وربما دخل فيه من ترك النَّومَ عندَ طُلُوع الفجر، وقام إلى أداء صلاة الصُّبح، لاسيما مع غلبة النَّوم عليه. ابن رجب.

الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ
فَلَا تَتَهَكَّؤُهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحِمَهُ لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبَحْثُوا عَنْهَا". حديثٌ
حسنٌ رواه الدَّارَقُطْنِيُّ وغيره.

تخريج الحديث:

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ مَكْحُولٍ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ، وَلَهُ عِلَّتَانِ: إِحْدَاهُمَا: أَنَّ
مَكْحُولًا لَمْ يَصَحَّ لَهُ السَّمْعُ مِنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ، كَذَلِكَ قَالَ أَبُو مُسْهَرٍ الدَّمَشْقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ
الْحَافِظُ وَغَيْرُهُمَا.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ اخْتَلَفَ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ عَلَى أَبِي ثَعْلَبَةَ، وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ مَكْحُولٍ
مِنْ قَوْلِهِ، لَكِنْ قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: الْأَشْبَهُ بِالصَّوَابِ الْمَرْفُوعُ، قَالَ: وَهُوَ أَشْهُرُ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ الصَّغِيرِ وَابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ مِنْ طَرِيقِ أَصْرَمَ بْنِ
حَوْشَبٍ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-
مَرْفُوعًا.

وَقَالَ ابْنُ عَدِي: وَهَذِهِ بِوَأْطِيلٍ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ كُلِّهَا لَا يَحْدُثُ بِهَا عَنْهُ غَيْرُ أَصْرَمَ
هَذَا أَه.

قلت: وَأَصْرَمَ كَمَا قَالَ يُحْيَى كَذَابٌ هَالِكٌ.

ولكن ذكر ابن رجب أنَّ له شواهد يحسن بها.

التعريف بالراوي:

أبو ثعلبة اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً نحو أربعين قولاً، منها ما ذكره المصنف، له صحبة ورواية، وممن بايع تحت الشجرة ت ٧٥ هـ بالشام. و(الخشني) نسبة إلى قبيلة معروفة.

له صحبة ورواية، وروى أيضاً عن أبي عبيدة، ومُعَاذ. روى عنه: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَجُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، وَأَبُو رَجَاءِ الْعُطَارِدِيُّ، وَمَكْحُولٌ، وَأَبُو الزَّاهِرِيَّةِ، وَعَمِيرُ بْنُ هَانِيٍّ. وسكن الشام، وكان يكون بدارياً. وقيل: إنه سكن قرية البلاط وله ذرية بها. وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ: بَايَعَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، وَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِسَهْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمِهِ فَأَسْلَمُوا. جرثوم وجرثومة: معناه في اللغة الأصل الذي يرجع إليه، فدلالته في اللغة دلالة قوية وليست للذم.

أهمية الحديث:

قال بعض أهل العلم: ليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من هذا الحديث .

قال ابن رجب: حديث أبي ثعلبة قَسَمَ فيه أحكام الله أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها. اهـ

قال أبو بكر ابن السمعاني: من عمل بهذا الحديث، فقد حاز الثواب، وأمن من العقاب؛ لأنَّ من أدى الفرائض واجتنب المحارم ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين؛ لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث.

وقال أيضاً: هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ: الفرائض فما فرضه الله على عباده وألزمهم القيام به، كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

فَلَا تُضَيِّعُوهَا: فلا تتركوها وتتهاونوا في أدائها.

وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا: المحارم هي التي حماها الله تعالى، ومنع من قربانها وارتكابها وانتهاكها.

وإنما عبّر هنا بلفظ الانتهاك؛ لبيان ما عليه حال من يقارف المعاصي من تعدٍّ وعدوان على أحكام الله عز وجل، فأتى بهذه اللفظة للتنفير عن كل ما نهى الله عنه.

وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا: الحد في اللغة المنع، ومنه الحد بين الأراضي لمنعه من دخول أحد الجارين على الآخر.

والمقصود بحدود الله التي نهى عن اعتدائها هي كل ما أُذِنَ في فعله، سواء كان على طريق الوجوب، أو الندب، أو الإباحة، واعتداؤها: هو تجاوز ذلك إلى ارتكاب ما نهى عنه.

والمراد: أن من لم يُجاوز ما أُذِنَ له فيه إلى ما نُهي عنه، فقد حفظ حدود الله، ومن تعدّى ذلك، فقد تعدّى حدود الله.

وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ: المسكوت عنه، هو ما لم يُذكر حكمه بتحليل، ولا إيجاب، ولا تحريم، فيكون مغفواً عنه، لا حرج على فاعله، وعلى هذا دلّت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا.

رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نَسْيَانٍ: يعني: أنه إنما سكت عن ذكرها رحمةً بعباده ورفقاً؛ حيث لم يحرمها عليهم حتى يعاقبهم على فعلها، ولم يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها، بل جعلها عفواً، فإن فعلوها، فلا حرج عليهم، وإن تركوها فكذلك.

فَلَا تَبَحْثُوا عَنْهَا: يحتمل اختصاص هذا النهي بزمن النبي ﷺ؛ لأن كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر قد يكون سبباً لنزول التشديد فيه بإيجاب أو تحريم.

فوائد الحديث:

١. تقسيم أحكام الدين إلى أربعة أقسام: فرائض حقها ألا تضيع، ومحارم حقها أن لا تقرب، وحدود حقها عدم مجاوزتها، ومسكوت عنه حقها ألا يبحث عنه، وهذا يجمع أحكام الدين كلها.

٢. أن من عمل بما ورد في الحديث فقد حاز الثواب وأمن العقاب.

٣. أن الإيجاب والتحريم كله من عند الله.
٤. فيه خطورة ما يقع من بعضهم من التحليل والتحريم بغير علم، وما علموا أن هذا من القول على الله بلا علم، وهذا من الجرأة على الفتوى.
٥. فيه أن الله عز وجل حد حدوداً، بمعنى أنه جعل الواجب بيناً والحرام بيناً: كالحد الفاصل بين أراضى الناس.
٦. فيه بيان رحمة الله سبحانه بعبادة لقوله "وسكت عن أشياء رحمة بكم".
٧. فيه أن كثرة التنقيب عما لم يرد من المسائل يدخل في التنطع.

ما ينبغي معرفته:

١. الفرق بين الفرض والواجب:
جمهور الأصوليين على أن الفرض والواجب مترادفان.
والفرض، أو الواجب: هو ما أمر به الشارع على سبيل الإلزام، بحيث يستحق فاعله الثواب، ويستحق تاركه العقاب. وسواء ثبت لزومه بدليل قطعي، أو دليل ظني، فلا فرق بينهما في الحكم، ولا في الثمرة.
وهذا القدر متفق عليه بين جميع العلماء، وهذا هو ما يحتاج إليه في الأحكام الفقهية.

٢. لما كان مدار التكليف كله على فعل المأمور وترك المحذور، والتقيد بأحكام الشريعة، والالتزام بما ورد فيها، والوقوف عند حدودها وعدم تجاوزها، أكد النبي ﷺ ذلك بقوله: (وحدّ حدوداً فلا تعتدوها)، والحدود لفظة وردت في مواضع

كثيرة من الكتاب والسنة، ولها مدلولات كثيرة بحسب ما تتعلق به، ففي الأوامر: يكون الوقوف عند حدود الله بعدم الخروج عن دائرة المأذون به إلى دائرة غير المأذون، وأما فيما يتعلق بالنواهي فيحرم مجرد الاقتراب منها؛ لأن الله تعالى إذا حرّم شيئاً، حرّم كل ما يؤدي إليه، وتلك هي خطوات الشيطان التي جاء التحذير منها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة النور: ٢١] (النور: ٢١). ابن رجب.

٣. مما ينبغي أن يُعلم: أن ذكر الشيء بالتحريم والتحليل مما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنة، فإن دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصریح، وقد تكون بطريق العموم والشمول، وقد تكون دلالة بطريق الفحوى والتنبيه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] "١"، فإن دخول ما هو أعظم من التأنيف من أنواع الأذى يكون بطريق الأولى، ويُسمّى ذلك مفهوم الموافقة "٢".

وقد تكون دلالة بطريق مفهوم المخالفة، كقوله: "في الغنم السائمة الزكاة" فإنه يدل بمفهومه على أنه لا زكاة في غير السائمة، وقد أخذ الأكثرون بذلك، واعتبروا مفهوم المخالفة، وجعلوه حجة.

وقد تكون دلالة من باب القياس، فإذا نص الشارع على حكم في شيء لمعنى من المعاني، وكان ذلك المعنى موجوداً في غيره، فإنه يتعدى الحكم إلى كل ما وجد

في ذلك المعنى عند جمهور العلماء، وهو من باب العدل والميزان الذي أنزله الله، وأمر بالاعتبار به، فهذا كله مما يعرف به دلالة النصوص على التحليل والتحرير. فأما ما انتفى فيه ذلك كله، فهنا يستدل بعدم ذكره بإيجاب أو تحريم على أنه معفو عنه

٤. البحث عما لم يوجد فيه نص خاص أو عام على قسمين:

أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالات النصوص الصحيحة من الفحوى والمفهوم والقياس الظاهر الصحيح، فهذا حق، وهو مما يتعين فعله على المجتهدين في معرفة الأحكام الشرعية.

والثاني: أن يدقق الناظر نظره وفكره في وجوه الفروق المستبعدة، فيفرق بين متماثلين بمجرد فرق لا يظهر له أثر في الشرع، مع وجود الأوصاف المقتضية للجمع، أو يجمع بين متفرقين بمجرد الأوصاف الطردية التي هي غير مناسبة، ولا يدل دليل على تأثيرها في الشرع، فهذا النظر والبحث غير مرضي ولا محمود. قاله ابن رجب.

الحديث الواحد والثلاثون

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمَلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَأَزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ". حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

تخريج الحديث:

أخرجه ابن ماجه والحاكم من طرق عن خالد بن عمر القرشي عن سفيان الثوري عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي. وفيه خالد بن عمر قال فيه الإمام أحمد: (مُنْكَرُ الْحَدِيثِ) وقال عنه الذهبي: كذاب وضاع.

لكنه لم يتفرد به وقد تابعه محمد بن كثير الصنعاني كما ذكر العقيلي، ومحمد بن كثير الصنعاني هو المصيصي، فيه ضعف من جهة حفظه ويعتبر في الشواهد والمتابعات. له طريق أخرى عن ابن عمر؛ أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" من طريق محمد بن أحمد بن العلس

وإسناد رجاله رجال الشيخين غير محمد بن العلس وهو مجهول لا يعرف قال الألباني لم أعرفه

وله شاهد مرسل عن مجاهد رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، وإسناده حسن.

ومرسل آخر حسن عن ربعي بن خراش .

فهو بالطريق الثانية طريق محمد بن كثير وبالشواهد الأخرى يرتقي إلى الحسن والحمد لله .

التعريف بالراوي:

سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة، الإمام الفاضل المعمر، بقية أصحاب رسول الله ﷺ، أبو العباس الخزرجي الأنصاري الساعدي، وكان أبوه من الصحابة الذين توفوا في حياة الرسول ﷺ، كان سهل يقول: شهدت المتلاعنين عند رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة سنة.

وقال ابن حبان: كان اسمه حزناً، فسماه رسول الله ﷺ سهلاً.

وقال عبيد الله بن عمر: تزوج سهل بن سعد خمس عشرة امرأة.

ويروى أنه حضر مرة وليمة، فكان فيها تسع من مطلقاته، فلما خرج وقفن له

وقلن: كيف الحال يا أبا العباس؟!

وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، توفي سنة إحدى وتسعين، ومروياته

مائة حديث وثمانية وثمانون حديثاً

أهمية الحديث:

تكمُن منزلة الحديث ببيانه سبب محبة الله، وهي أعظم ما يوفق إليه الإنسان فمن أحبه الله أكرمه ووفقه وسدده وأعانه ويسر أموره ووضع له القبول في الأرض، ومن أبغضه وضع له البغضاء في الأرض.

وهو أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام، ونظمها بعضهم فقال:

عمدة الدين عندنا كلماتٌ أربعٌ قائلُنَّ خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك واعملنَّ بنية

شرح الفاظ الحديث:

ازهد في الدنيا: الزهد في الشيء: الإعراض عنه لاستقلاله، واحتقاره، وارتفاع

الهمة عنه، يقال: شيء زهيد، أي: قليل حقير

والزهد في الدنيا الرغبة عنها، وأن لا يتناول الإنسان منها إلا ما ينفعه في الآخرة.

وحقيقة الزهد هو في القلب، ويكون بأن يخرج منه حب الدنيا والحرص عليها.

فحقيقة الزهد في الدنيا يرادُ به تفرُّغ القلب من الاشتغال بها؛ ليتفرَّغ لطلب الله،

ومعرفته، والقرب منه، والأنس به، والشوق إلى لقائه.

فالدُّنيا وكلُّ ما فيها ملعونة، أي: مُبعدة عن الله؛ لأنها تشغل عنه، إلا العلم

النَّافع الدَّالَّ على الله، وعلى معرفته، وطلب قُرْبِهِ ورضاه، وذكر الله وما والاها مما

يُقَرِّبُ مِنَ الله، فهذا هو المقصودُ مِنَ الدُّنيا، فَإِنَّ الله إِنَّمَا أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَتَّقُوهُ

وَيُطِيعُوهُ، وَلَا زِمَ ذَلِكَ دَوَامُ ذِكْرِهِ، وَإِنَّمَا شَرَعَ الله العبادات لأجل ذكره، وأفضلُ

أهل العبادات أكثرهم ذكراً لله فيها، وهو المقصود من إيجاد الدنيا وأهلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

يحبك الله: إنما كان الزهد في الدنيا من أسباب نيل محبة الله تعالى؛ لأن الزهد في الدنيا يؤدي إلى الاجتهاد في الأعمال الصالحة، وهي من أسباب نيل محبة الله، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري.

والذي يدفع العبد للزهد في الدنيا أمور منها:

قوة إيمان العبد واستحضار وقوفه بين يدي الله عز وجل، واستحضار أهوال يوم القيامة، هذا يجعل حب الدنيا ونعيمها يتضاءل في قلب العبد فينصرف عن لذائذها وشهواتها ويقنع بالقليل منها.

ومنها شعور العبد بأن الدنيا تشغل القلوب عن التعلق بالله، وتؤخر الإنسان من الرقي بدرجات الآخرة، وأن الإنسان سوف يسأل عن نعيمها، قال تعالى: ﴿ثم لتسألن عن النعيم﴾.

ومنها التفكير في سرعة زوال الدنيا.

ومنها تذكر الموت والقبر والجنة ونعيمها والنار وجحيمها.

ومنها مصاحبة الزهاد وطلاب العلم والعباد، قال سليمان الداراني - رحمه الله

:- (الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرّك الحرص، ومجالسة الزاهد ترهّد في الدنيا).

ومنها قراءة سير السلف الصالح، فإنها ترفع الهمة وتدفع للاقتداء بهم.

فالزهد في الدنيا هو من طرق محبة الله جل وعلا، ومحبة الله للعبد شيء عظيم، من أحبه الله وفقه وأغدق عليه نعمه الظاهرة والباطنة.

وازهد فيما عند الناس يحبك الناس: يعني لا تتطلع لما في أيديهم، ارغب عما في أيدي الناس يحبك الناس، وهذا يتضمن ترك سؤال الناس أي لا تسأل الناس شيئاً لأنك إذا سألت وأكثر من الطلبات أثقلت عليهم فاستثقلوك، وملوا منك ومقتوك.. والإنسان بحاجة إلى محبة الناس إليه لأنه يشعر بسعادة وانشرح عندما يعيش بين ظهرائي أناس يحبونه، ويشعر بضيق وانقباض عندما يحيا بين قوم يكرهونه.

فالزهد فيما في أيدي الناس يشمل أمرين:

الأول: أن لا تسأل الناس شيئاً.

والثاني وهو أشد أن لا تتطلع لما عندهم، لأنه يقودك للتعريض في سؤالهم بأساليب.

ولتكن أنت المعطي، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا تكن أنت السائل،

ولهذا قيل: استغن عن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره،

واحتمل إلى من شئت تكن أسيره.

فدائماً اجعل يدك هي اليد العليا، وكن عزيزاً ولا تذلل نفسك بالسؤال.

فوائد الحديث:

١. أن الله يحب ويُحب سبحانه.
٢. وفيه إثبات صفة المحبة لله عز وجل وهي محبة حقيقية على الوجه اللائق بالله سبحانه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة.
٣. أن الله يحبُّ الزاهدين في الدنيا.
٤. أن الله سبحانه يحب من أطاعه وسعى في محابه.
٥. أنه لا تجتمع محبة الله جل جلاله مع محبة الدنيا.
٦. أنه لا بأس أن يسعى الإنسان لطلب محبة الناس لقوله (يحبك الناس) وأن يكون سعيه لذلك من غير أن يقع في رياء أو سمعه أو محذور شرعي فهذا لا بأس به.
٧. أن الزهد فيما في أيدي الناس دليل على الطمع لما عند الله، وأن العبد مفتقر إلى الله سبحانه، ومستغنٍ عن الناس.
٨. فيه أن العبد كلما كان عما في أيدي الناس أبعد كلما كان لهم أحب.
٩. أن الناس جبلوا على حب الدنيا.
١٠. أن من زاحم الناس في دنياهم يصير مبعوضا عندهم بقدر ذلك، ومن تركها لهم يكون محبوبا في قلوبهم بقدر ذلك.

ما ينبغي معرفته:

١. معنى الزهد في الدنيا:

الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، ويدخل تحته أربعة أشياء:

المحرمات والمكروهات والمشتبهات وفضول المباحات وهي ما زاد على قدر الحاجة، ويكون باستصغار شأنها، فلا يغتر بها أقبل عليه منها، ولا يحزن على ما فاته مما عند غيره من أموال وقصور وجاه وغيره.

٢. فسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كُلُّها من أعمال القلوب، لا من أعمال

الجوارح:

أحدها: أن يكون العبدُ بما في يد الله أوثقَ منه بما في يد نفسه، وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوّته.

فمن حقق اليقين، وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له، وانقطع عن التعلّق بالمخلوقين رجاءً وخوفاً، ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة، ومن كان كذلك، كان زاهداً في الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، وإن لم يكن له شيء من الدنيا.

والثاني: أن يكون العبدُ إذا أُصيبَ بمصيبةٍ في دُنياه من ذهاب مالٍ، أو ولدٍ، أو غير ذلك، أرغبَ في ثواب ذلك ممّا ذهبَ منه من الدنيا أن يبقى له، وهذا أيضاً ينشأ من كمال اليقين.

والثالث: أن يستوي عند العبد حامدُه وذامُّه في الحقّ، وهذا من علامات الزُّهد في الدنيا، واحتقارها، وقلة الرّغبة فيها، فإن من عظمت الدنيا عنده أحبّ المدح وكرهه الذمّ، فربما حمله ذلك على ترك كثيرٍ من الحق خشية الذمّ، وعلى فعل كثيرٍ من

الباطل رجاء المدح، فمن استوى عنده حامدٌ وذامُّه في الحقّ، دلّ على سُقوط منزلة المخلوقين من قلبه، وامتلائه من محبة الحقّ، وما فيه رضا مولاه. ابن رجب.

٣. الزهد ثلاثة أنواع:

(١) الزهد عن الحرام وهذا واجب، ويدخل فيه الزهد عن التعامل بالربا والمحرمات والظلم والرشاوي والسرقة وغير ذلك.

(٢) الزهد عن المعصية وهذا واجب أيضاً أن يزهد الإنسان في المحرمات فيبتعد عنها من الزنا والنظر المحرم وغيره.

(٣) الزهد في الحلال وفضول المباحات وهو مستحب وهو المقصود به في الحديث.

٤. إنما كان الزهد في الدنيا من أسباب نيل محبة الله تعالى؛ لأن الزهد في الدنيا يؤدي إلى الاجتهاد في الأعمال الصالحة، وهي من أسباب نيل محبة الله، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري

٥. كيف نحصل الزهد؟

لا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر في حقيقة الدنيا، وسرعة زوالها وفنائها.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ودوامها، وبقائها، كما قال الله -

عز وجل - ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة الأعلى: ١٧] [الأعلى: ١٧]. قاله ابن القيم.

فإذا نظر الإنسان نظرًا صحيحًا إلى هذين الأمرين حصل له الزهد في الدنيا، لا بعد أن يعرف أن هذه الدنيا أنها متاع الغرور وأنها فانية أنها لا تستحق من الإنسان كل هذا العنى والنصب والتعب والقلق والشقاء، وأيضًا أن يتفكر وينظر للآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى وأن نهاية البشرية في الآخرة إلى دارين عظيمتين الجنة أو النار، فهذان النظيران يعينان الإنسان على تحقيق الزهد في الدنيا.

٦. كيف يُحصِّل العبد محبة الناس؟

وذلك بأن يحسن العبد أخلاقه مع الناس وأن يهدي إليهم وأن يحترمهم ويكرمهم وأن يتعد عن أذيتهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة.

الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا، وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوطَأِ مُرْسَلًا عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْقَطَ أَبُو سَعِيدٍ، وَلَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

التعريف بالراوي:

أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، استشهد أبوه مالك يوم أُحُد، وشهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وهو من المكثرين من الرواية، روي له ألف ومائة وسبعون حديثًا، توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين، ودفن بالبقيع، وله أربع وثمانون سنة.

أهمية الحديث:

هذا الحديث يعتبر قاعدة من قواعد الشريعة، وهي أن الشريعة لا تقر الضرر، وتنكر الإضرار.

شرح ألفاظ الحديث:

لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ: الضرُّ: ضد النفع، ضَرَّه يَضُرُّه ضَرًّا وَضِرَارًا وَأَضَرَّ بِهِ يُضِرُّ إضرارًا.

واختلف في التفريق بين الضرر والضرار، وذلك لأن ذكرهما في هذا الموطن معاً يدل على التفريق بينهما.

وخلاصة الأقوال في ذلك:

القول الأول: أن معنى قوله لا ضرر أي لا يضر الرجل أخاه فينقصه شيئاً من حقه، والضرار: فعلاً من الضر: أي لا يجازيه على إضراره بإدخال الضر عليه.

القول الثاني: قيل الضر: ما تضر به صاحبك وتتفع به أنت، والضرار: أن تضره من غير أن تتفع به.

القول الثالث: أن الضرر يحصل بدون قصد، وأنه إذا تبين لمن وقع منه الضرر رفعه، والضرار يكون بقصد، ويرضى به إذا تحقق.

وملاك ذلك كله أن يقال: إن الحديث فيه النهي عن الإضرار بالغير.

والقاعدة في ذلك: أنه متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبت الإضرار وجب رفعه مع عقوبة قاصد الإضرار.

فوائد الحديث:

١. أن الضرر يزال.
٢. تحريم الضرار بالقول أو الفعل أو بالترك.
٣. من مقاصد الإسلام منع الضرر قبل وقوعه ورفع بعد وقوعه.
٤. النهي عن إلحاق الضرر بالآخرين.
٥. اجتناب سائر المضرات في النفس والمال والأهل والعرض.

١. سبب ورود الحديث

قال عبد الرزاق في المصنف: أخبرنا ابن التيمي عن الحجاج بن أرطاة قال: أخبرني أبو جعفر أن نخلة كانت بين رجلين، فاختصما فيها إلى النبي ﷺ فقال أحدهما: اشققها نصفين بيني وبينك، فقال النبي ﷺ: "لا ضرر في الإسلام".

٢. تفصيل الفرق بين الضرر والضرار:

الضرر أن يدخل على غيره ضررًا بما يتنفع هو به.

وهو أن يتصرف المكلّف في ملكه، وبسبب هذا التصرف يتضرر الآخرون دون قصدٍ مضرة الآخرين. كمثّل أن يتصرف على طريقةٍ غير معتادةٍ ومألوفةٍ، مثّل أن يضرّم نارًا في أرضه في يومٍ شديد الرّيح فيحترق ما حوله، ففي هذه الحالة هو ضامنٌ لما أتلف.

ومثّل أن يتصرف بطريقةٍ معتادةٍ مألوفةٍ، مثّل أن يحفر بئرًا في أرضه، فيسحب ماءً بئرٍ جاره، ومثّل أن يبني على أرضه بناءً عاليًا يمنع الشمس والضوء عن جاره ويكشف عورته، في هذه الحالة اختلفت أنظار أهل العلم، فمنهم من منع كأحمد بن حنبل، ووافقه مالك في بعض الصور، وهذا موافقٌ لكثيرٍ من الأدلة التي تنهى عن ضرر المسلم وتأمّر بالإحسان إليه وترغب بإيثاره.

والضّرار أن يدخل على غيره ضررًا بلا منفعة له به، ورجح هذا القول طائفة منهم

ابن عبد البر وابن الصلاح، واختاره العلامة العثيمين.

كالإضرار في الوصية، قال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ [سورة النساء: ١٢]، ووجه الإضرار أن يخص بعض الورثة أكثر من نصيبه، فيتضرر باقي الورثة، وهذه الوصية لا تنفذ، قال **ﷺ**: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ"، إلا إذا أجازها الورثة.
أو أن يخص أجنبياً بأكثر من الثلث فيتضرر الورثة بذلك، وهذه الوصية لا تنفذ إلا بإجازة الورثة

الرجعة في النكاح: قال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١] فمن قصّد بالرجعة المضارّة بالمرأة أثم بذلك، كما كان يفعل الجاهليّون: يطلق امرأته فإذا قاربت انتهاء العدة راجعها، وهكذا فتكون بذلك معلقة لا هي مطلقة ولا مسمكة.
٣. القاعدة من هذا الحديث: متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبت الإضرار وجب رفعه مع عقوبة قاصد الإضرار، وهذه القاعدة أصل في الحديث.

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنه مَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ" حديث حسن رواه البيهقي هكذا بعضه في الصحيحين.

أهمية الحديث:

هذا الحديث يعتبر أساساً وأصلاً في علم القضاء، وهو مرجع للحكام وطريق للحكم، وذلك أن القاضي يطالب المدعي بالبيينة، وإذا لم يستطع إقامة البيينة فإنه يطلب من المدعى عليه أن يحلف.

قال ابن دقيق العيد: وهذا الحديث أصل من أصول الأحكام، وأعظم مرجع عند التنازع والخصام.

وقال النووي: وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع، ففيه أنه لا يُقبل قول إنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه، بل يحتاج إلى بيينة، أو تصديق المدعى عليه، فإن طلب يمين المدعى عليه فله ذلك.

شرح ألفاظ الحديث:

لَوْ يُعْطَى النَّاسُ: أي: لو تُلْزِمُ وَتَحِبُّ لَهُمُ الْحَقُوقُ.
بِدَعْوَاهُمْ: بِمُجَرَّدِ دَعْوَاهُمْ بَدُونِ بَيِّنَةٍ أَوْ إِقْرَارٍ مِنَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ.

لَادَّعَى رِجَالٌ: ممن لا يخافون الله تعالى، وأما من خاف الله تعالى فلن يدعي ما ليس له.

وذكر الرجال لا لإخراج النساء، بل لأن الدعوى غالباً إنما تصدر منهم.

أَمْوَالُ قَوْمٍ: فيدعي ديناً أو عيناً.

وَدِمَاءُهُمْ: أي يستبيح دم غيره.

وَلَكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي: يَعْنِي: يَسْتَحِقُّ بِهَا مَا ادَّعَى.

وإنما كانت البينة على المدعي؛ لأنه يدعي خلاف الظاهر، والأصل براءة الذمة.

وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ: أي: أي: مَنْ أَنْكَرَ دَعْوَى خَصْمِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَخَصْمِهِ بَيِّنَةٌ

فإنَّه يحلف يميناً وتبرأ بها ذمته وتسقط الدعوى إن لم يكن ثمة بينة.

وإنما كانت اليمين في جانب المدعى عليه؛ لأنه يدعي ما وافق الأصل، وهو براءة

الذمة.

فوائد الحديث:

١. أن الشريعة جاءت لحماية أموال الناس ودماءهم عن التلاعب.
٢. أنه لا يحكم لأحد بمجرد دعواه.
٣. أن القاضي لا يحكم بعلمه وإنما يرجع إلى البيِّنات.
٤. ذَكَرَ الْأَمْوَالَ قَبْلَ الدِّمَاءِ مَعَ كَوْنِهَا أَعْظَمَ خَطَرًا لِأَنَّ الْخُصُومَاتِ فِي الْأَمْوَالِ أَكْثَرُ، وَامْتَدَادَ الْأَيْدِي إِلَيْهَا أَعْمُ، وَلِهَذَا تَرَى الْإِنْسَانَ يَسْرِقُ وَيَغْصِبُ وَيَنْهَبُ فِي عُمْرِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَلَعَلَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا، وَإِنْ قَتَلَ فَوَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ. قَالَ الْمَنَاوِي

٥. أن أكثر الدعاوى تكون في الدماء والأموال، غالباً، وإلا فقد يدعي حقوقاً أخرى.

٦. أنه إذا لم تُقم البينة حُلف المدعى عليه وبرئت ساحتُهُ، وإن لم يحلف قُضي عليه بالنكول.

ووجه ذلك أنه إذا أبى أن يحلف فقد امتنع مما يجب عليه، فيحكم عليه بالنكول.

٧. أن كل من ادعى دعوى خالية عن برهان فهي مردودة، وسواء كانت في الحقوق والمعاملات أو في مسائل الإيمان والعلم

ما ينبغي معرفته:

١. قوله: البينة على المدعي: البينة: هي اسم لكل ما يبين الحق ويظهره، فيدخل فيه الشهود والإقرار والقرائن الدالة وفهم القاضي باختبار.

٢. إنها كانت البينة على المدعي لأن جانب المدعي ضعيف؛ لأنه يقول خلاف الظاهر فكلف الحجة القوية وهي البينة؛ لأنها لا تجلب لنفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرراً فيقوى بها ضعف المدعي وجانب المدعى عليه قوي لأن الأصل فراغ ذمته فاكتفى منه باليمين وهي حجة ضعيفة؛ لأن الحالف يجلب لنفسه النفع ويدفع الضرر فكان ذلك في غاية الحكمة. قاله الحافظ في الفتح.

٣. لا فرق في هذه الدعاوى بين الرجل العدل وغيره، فإذا ادعى شيئاً على آخر فلا ينظر إلى قوله إلا ببينة، وهذا أمر لا بد منه.

٤. يشترط في الشهود: البلوغ - والعقل - والكلام - والإسلام - والعدالة.

ويكون في الزنا: أربعة رجال ولا يقبل فيها النساء.

وفي النكاح والطلاق والرجعة وبقية الحدود: اثنان.

وفي الأموال وما يقصد به المال كالبيع والأجل: رجلان أو رجل وامرأتان.

وفي الرضاع والولادة والبكارة، ومثل هذه الأمور التي لا يطلع عليها الرجال،

تقبل شهادة امرأة واحدة.

٥. كما أن المدعي عليه البيّنة فيما يدّعيه من الأمور الدنيوية، فإنّ على المدّعي

البيّنة في الأمور الأخروية، فمن ادّعى محبة الله ورسوله ﷺ يكون صادقاً في دعواه

إذا اتّبع الرسول ﷺ، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذه

الآية الكريمة حاكمة على كلّ من ادّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمّدية،

فإنّه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمّدي والدين النبوي في جميع أقواله

وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّه قال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ

عليه أمرنا فهو رد"، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل

عمران: ٣١]، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيّاه، وهو محبته إيّاكم، وهو

أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تُحب، إنّما الشأن أن

تُحَبَّ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنّهم يُحِبُّونَ اللَّهَ، فابتلاهم

الله بهذه الآية". قاله العباد

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

أهمية الحديث:

هذا الحديث حديث عظيم فيه بيان درجات تغيير المنكر، وأن الناس فيه ليسوا على حد سواء.

قال القرطبي في المفهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإيمان، ودعائم الإسلام، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. اهـ

قال القاضي عياض: إِنَّ هَذَا الْبَابَ بَابٌ عَظِيمٌ فِي الدِّينِ بِهِ قِوَامُ الْأَمْرِ وَمِلَاكُهُ، فَإِذَا فَسَدَ عَمَّ الْعِقَابُ الصَّالِحِ وَالظَّالِمِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال: ٢٥] [الأنفال: ٢٥]. نقله صاحب المرقاة

شرح ألفاظ الحديث:

مَنْ رَأَى: أي: علم، إذ لا يشترط في الوجوب الآتي رؤية البصر، بل المدار على العلم أبصر أم لا. قاله الهيتمي
منكم: أي من كان مكلفًا قادرًا.

منكرًا: المنكر: هو المحرم الواضح البين الذي قد علم تحريمه فإن تغييره مطلوب.

والمنكر هو ما أنكره الشرع قولًا أو فعلاً.

قال العلامة الشنقيطي: لا يحكم على الأمر بأنه منكر إلا إذا قام على ذلك دليل من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ أو إجماع المسلمين، وأما إن كان من مسائل الاجتهاد فيما لا نص فيه، فلا يحكم على أحد المجتهدين المختلفين بأنه مرتكب منكرًا، فالمصيب منهم مأجور بإصابته، والمخطئ منهم معذور كما هو معروف في محله. اهـ **فليغيره:** أي فليسع في إزالة ذلك المنكر.

وهذا أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين. ابن دقيق العيد **فليغيره بيده:** يتعين التغيير باليد إن كان ذلك المنكر مما يحتاج في تغييره إليها، مثل: كسر أواني الخمر، وآلات اللهو؛ كالمزامير والأوتار والكبر، وكمنع الظالم من الضرب والقتل وغير ذلك، فإن لم يقدر بنفسه، استعان بغيره، فإن خاف من ذلك ثوران فتنة، وإشهار سلاح، تعين رفع ذلك إلى الإمام، فإن لم يقدر على ذلك، غير بالقول المرتجى نفعه، من لين أو إغلاظ؛ حسب ما يكون أنفع، وقد يُبلغ بالرفق والسياسة، إلى ما لا يُبلغ بالسيف والرياسة.

فإن لم يستطع: أي: التغيير باليد وإزالته بالفعل، لكون فاعله أقوى منه.

فَبِلِسَانِهِ: أي: فليغيره بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه، وذكر الوَعْظِ والتَّخْوِيفِ والنَّصِيحَةِ (فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ) أي: التَّغْيِيرَ بِاللِّسَانِ أَيْضًا.

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ: معناه: فلينكره بقلبه، بأن لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه، فيكون تغييرًا معنويًا إذ ليس في وسعه إلا هذا القدر من التغيير. ويعزم على أن لو قَدَرَ على التغيير لغير.

قال ابن دقيق العيد: والإنكار بالقلب ليس بإزالة وتغيير لكنه هو الذي في وسعه.

اهـ

وَذَلِكَ: أي: الإنكار بالقلب وهو الكراهية.

أضعف الإيمان: في معناه أقوال:

الأول: أنه أقلها ثمرة.

الثاني: أن معناه وذلك أضعف زمن الإيمان، إذ لو كان إيمان أهل زمانه قويا لقدر على الإنكار القولي أو الفعلي، ولما احتاج إلى الاقتصار على الإنكار القلبي.

الثالث: أن ذلك الشخص المنكر بالقلب فقط أضعف أهل الإيمان، فإنه لو كان قويا صلبا في الدين لما اكتفى به.

الرابع: أن إنكار المعصية بالقلب أضعف مراتب الإيمان، لأنه إذا رأى منكرا معلوما من الدين بالضرورة فلم ينكره ولم يكرهه، ورضي به واستحسنه كان كافرا، ولعل الإطلاق الدال على العموم لإفادة التهديد والوعيد الشديد. قاله صاحب

المراقبة

فوائد الحديث:

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شأنه عظيم في الإسلام؛ وذلك لأن فيه الدلالة على الخير، والتحذير من الشر، وإزالة المنكرات الواقعة.
٢. الحديث أصل في مراتب تغيير المنكر.
٣. أن إنكار المنكر واجب لا بد منه بحسب الاستطاعة.
٤. فيه بيان كون تغيير المنكر من الإيمان.
٥. أن إنكار المنكر يختلف باختلاف قدرة الشخص على الإنكار.
٦. أن من غير المراتب مع القدرة كان عاصيا.
٧. أن من لم ينكر قلبه المنكر، دل على ذهاب الإيمان من قلبه.
٨. أن الإيمان يزيد وينقص.

ما ينبغي معرفته:

١. لوجوب تغيير المنكر شرطان:
أحدهما: العلم بكون ذلك الفعل مُنْكَرًا أو معروفًا.
والثاني: القدرة على التغيير. قاله القرطبي في المفهم
٢. في الإتيان بمن التبعية إيماء إلى أنه لا يباشره إلا من يعرف مراتب الإحسان وتفاوت المنكرات، ويميز بين المتفق عليه والمختلف فيه منها، وهذا

المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤]

٣. قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [سورة المائدة:

١٠٥] ليس مخالفاً للحديث؛ لأن معنى الآية الكريمة أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم مثل قوله: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. وإذا كان كذلك فمما كلف به المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا فعله ولم يمثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك فإنها عليه الأمر والنهي لا القبول والله أعلم. ابن دقيق العيد.

٤. يشترط في الأمر بالمعروف أن يكون له علم يعلم به أن ما يأمر به معروف، وأن ما ينهى عنه منكر؛ لأنه إن كان جاهلاً بذلك، فقد يأمر بما ليس بمعروف، وينهى عما ليس بمنكر، ولا سيما في هذا الزمن الذي عم فيه الجهل، وصار فيه الحق منكراً، والمنكر معروفاً، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]. الشنقيطي في تفسيره

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقي وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر.

٦. قد يتعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر ويقصر.

٧. لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يُقبل في ظنه بل يجب عليه فعله قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْتَفِعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٥٥].

٨. لا يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ممثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مرتكباً خلاف ذلك؛ وذلك لأنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها. وأن يأمر غيره وينهاها. فإذا أخذ بأحدهما لا يسقط عنه الآخر.

٩. لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولاية بل ذلك ثابت لأحاد المسلمين وإنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه فإن كان من الأمور الظاهرة مثل: الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، فكل المسلمين علماء بها وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد ولم يكن للعوام فيه مدخل فليس لهم إنكاره بل ذلك للعلماء.

١٠. ينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون من ذلك برفق ليكون أقرب إلى تحصيل المقصود فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وعابه.

١١. أن الواجب هو الرجوع للكتاب والسنة لمعرفة ترتب العقوبة على المنكر، وليس باتباع الأهواء.

قال النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٤):

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ أَغْنَى بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ قَدْ ضِيعَ أَكْثَرُهُ مِنْ أَزْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ إِلَّا رُسُومٌ قَلِيلَةٌ جِدًّا.

وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ بِهِ قِوَامُ الْأَمْرِ وَمُلَاكِهِ وَإِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ عَمَّ الْعِقَابُ الصَّالِحِ وَالطَّالِحِ وَإِذَا لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ أَوْشَكَ أَنْ يُعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابِهِ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْآخِرَةِ وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيلِ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَذَا الْبَابِ فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيمٌ لَا سِيَّمَا وَقَدْ ذَهَبَ مَعْظَمُهُ وَيَخْلُصُ نِيَّتُهُ وَلَا يَهَابُنْ مَنْ يُنْكَرُ عَلَيْهِ لِرِزْقِهِ لَرِزْقِهِ لَرِزْقِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَقَالَ تَعَالَى وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَقَالَ تَعَالَى وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَقَالَ تَعَالَى أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَجَرَ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ.

وَلَا يُتَارَكُهُ أَيْضًا لِصِدَاقَتِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَمُدَاهَنَتِهِ وَطَلَبِ الْوَجَاهَةِ عِنْدَهُ وَدَوَامِ الْمُنَزَلَةِ لَدَيْهِ فَإِنَّ صِدَاقَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ تُوجِبُ لَهُ حُرْمَةً وَحَقًّا وَمَنْ حَقَّهُ أَنْ يَنْصَحَهُ وَيَهْدِيَهُ إِلَى مَصَالِحِ آخِرَتِهِ وَيُنْقِذَهُ مِنْ مَضَارِّهَا وَصَدِيقُ الْإِنْسَانِ وَمُحِبُّهُ هُوَ مَنْ سَعَى فِي عِمَارَةِ آخِرَتِهِ وَإِنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَقْصٍ فِي دُنْيَاهُ وَعَدُوُّهُ مَنْ يَسْعَى فِي ذَهَابِ أَوْ نَقْصِ آخِرَتِهِ

وَإِنْ حَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ صُورَةٌ نَفَعٍ فِي دُنْيَاهُ وَإِنَّمَا كَانَ إِبْلِيسُ عَدُوًّا لَنَا هَذَا وَكَانَتْ
الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَوْلِيَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ لِسَعْيِهِمْ فِي مَصَالِحِ
آخِرَتِهِمْ وَهَدَايَتِهِمْ إِلَيْهَا. اهـ

الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ - بِحَسْبِ امْرِءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" رواه مسلم.

أهمية الحديث:

قال الإمام النووي: ما أعظم نفع هذا الحديث، وأكثر فوائده!.

قال ابن حجر الهيتمي: هو حديث كثير الفوائد، مشير إلى جل المبادئ والمقاصد، بل هو عند تأمل معناه وفهم مغزاه حاوٍ لجميع أحكام الإسلام منطوقاً ومفهوماً، ومشمئلاً على جميع الآداب أيضاً إيماءً وتحقيقاً.

شرح ألفاظ الحديث:

لا تحاسدوا: الحسد هو تمنى زوال النعمة عن المحسود، والمعنى: لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض، سواء أرادها لنفسه أو لا.

ولا تناجشوا: أصل النَّجَشِ فِي اللُّغَةِ: إثارة الشيء بالمكر والحيلة والمخادعة، ومنه سمي الناجش في البيع ناجشاً، ويسمى الصائد في اللغة ناجشاً، لأنه يثير الصيد

بحيلته عليه، وخداعه له، وحينئذ فيكون المعنى لا تتخادعوا، ولا يعامل بعضكم بعضا بال المكر والاحتيال.

فيدخل على هذا التقدير في التناجش المنهي عنه جميع أنواع المعاملات بالغش ونحوه، كتدليس العيوب، وكتماها، وغش المبيع الجيد بالرديء.

ويدخل في النجش: أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها، إما لنفع البائع لزيادة الثمن له، أو بإضرار المشتري بتكثير الثمن عليه، وهذا منهي عنه.

وقد فُسر الحديث به لأنه الغالب على تعاملات الناس، وإلا فالمعنى أعم.

ولا تباغضوا: البُغْضُ هو النُفْرَةُ عَنِ الشَّيْءِ لِمَعْنَى فِيهِ مُسْتَقْبَحٍ، والمقصود نهى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله، بل على أهواء النفوس، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون.

ولا تدابروا: التدابر: المصارمة والهجران، مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دبره، ويعرض عنه بوجهه، وهو التقاطع.

والمقصود النهي عن التهاجر والتقاطع، وفي الصحيحين عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ "

وقيل للإعراض مدبرة لأن من أبغض أعرض ومن أعرض ولي دبره والمحب بالعكس.

ولا يبيع بعضكم على بيع بعض: وصورته أن يقول الرجل لمن اشترى سلعة في زمن خيار المجلس أو خيار الشرط: افسخ لأبيعك خيرًا منها بمثل ثمنها، أو مثلها بأنقص، ومثل ذلك الشراء على الشراء، كأن يقول للبائع: افسخ البيع لأشتري منك بأكثر، وقد أجمع العلماء على أن البيع على البيع والشراء على الشراء حرام.

وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا: ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَالْتَّعْلِيلِ لِمَا تَقَدَّمَ، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ إِذَا تَرَكَوا التَّحَاسُدَ، وَالتَّنَاجُشَ، وَالتَّبَاغُضَ، وَالتَّدَابُرَ، وَبَيَعَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، كَانُوا إِخْوَانًا.

والمقصود من ذلك حث المؤمنين على التعامل معاملة الإخوة والتعاون في الخير، مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال.

المسلم أخو المسلم: أخوة في الدين؛ فتجمعهم الأخوة الدينية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

لا يظلمه: أي: لا يتعدى عليه، ولا يدخل عليه ضررًا في نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله بغير إذن شرعي.

ولا يخذله: لا يترك إعانته ونصره في مقام يجب أن ينتصر فيه.

ولا يكذبه: أي لا يحل له أن يحدثه فيكذبه، بل لا يحدثه إلا صدقا.

ولا يحقره: أي: لا ينظر إليه بعين الاحتقار، فإن الاحتقار ناشئ عن الكبر.

التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -: إشارة إلى أَنَّ كَرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى، فَرَبٌّ مَنْ يَحْقِرُهُ النَّاسَ لضعفه، وَقَلَّةُ حِظِّهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَن لَه قَدْرٌ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَفَاوَتُونَ بِحَسَبِ التَّقْوَى.

بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ: يعني: يَكْفِيهِ مِنَ الشَّرِّ احْتِقَارُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْقِرُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَتَكَبُّرِهِ عَلَيْهِ، وَالْكِبَرُ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ الشَّرِّ. **كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ:** بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ إِيصَالُ الْأَذَى إِلَيْهِ بِوَجْهِ مَنْ الْوُجُوهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ بغيرِ حَقٍّ.

دُمُهُ: أَي: لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَيْهِ بِقَتْلِ أَوْ فِيمَا دُونِهِ.

وَمَالُهُ: أَي: أَخْذُهُ بغيرِ وَجْهِ حَقٍّ؛ بِسَرَقَةٍ أَوْ نَهْبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَعِرْضُهُ: أَي: هَتَكَهُ وَذَمَّهُ وَالْوُقُوعُ فِيهِ بِالْغِيْبَةِ وَنَحْوِهَا.

فوائد الحديث:

١. أَنَّ مَحَلَّ التَّقْوَى الْقَلْبُ، وَلَا بَدَأَ أَنْ تَظْهَرَ آثَارُ هَذِهِ التَّقْوَى عَلَى الْجَوَارِحِ.
٢. أَنَّ الْإِسْلَامَ عَقِيدَةٌ وَعِبَادَةٌ وَأَخْلَاقٌ وَمَعَامِلَةٌ.
٣. أَنَّ الْأُخُوَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ أَمْرٌ مَقْصُودٌ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ.
٤. فِيهِ أَمْرٌ بِاكتِسَابِ مَا يَصِيرُ الْمُسْلِمُونَ بِهِ إِخْوَانًا عَلَى الْإِطْلَاقِ.
٥. فِيهِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ عِبِيدٌ لِلَّهِ فَحَقُّهُمْ أَنْ يَتَوَاضَعُوا بَذَلِكَ.
٦. تَحْرِيمُ كُلِّ مَا يَجْلِبُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.
٧. أَنَّ الْأُخُوَّةَ الدِّينِيَّةَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُخُوَّةِ فِي النِّسْبِ.

٨. أن الأخوة بين المسلمين تقتضي إيصال الخير إليهم ودفع الضرر عنهم.
٩. التحذير من تحقير المسلم، فإن الله لم يحقره إذ خلقه.
١٠. أن كرم الخلق عند الله إنما هو بالتقوى.
١١. أن التقوى محلها القلب، وأثرها يكون ظاهراً على الجوارح.
١٢. بيان خطورة احتقار المسلم لأخيه، وأن ذلك كافٍ للمحتقر من الشر، وإن لم يكن عنده شرٌّ سواه.
١٣. أن المسلم مصون الدم والمال والعرض.

ما ينبغي معرفته:

١. الحسد أنواع تنحصر في ثلاث:

الأولى: الحسد على شيء محقق: وهو تمنى زوال النعمة عن الغير، وتكون له دونه، وهذا شرُّ أنواع الحسد؛ وذلك مثل حسد الكفار للنبي ﷺ على النبوة.

الثانية: الحسد على شيء مقدَّر: وهذا النوع من الحسد يتمنى صاحبه عدم استصحاب النعمة للمحسود، لا في الحاضر، ولا في المستقبل، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، وهذا قبيح مذموم أيضاً.

الثالثة: أن يكون عنده حسد ولكنه يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد في قلبه شيئاً من ذلك ولا يعاجل أخاه إلا بما يجب الله فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه الله، لكن الفرق بين القوة التي في قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا ياتمر بها بل يعصمها طاعة لله وخوفاً وحياءاً منه وإجلالاً له

أن يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفة لله وبغضا لما يحب الله ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمني زيادة الخير له.

الرابعة: حسد الغبطة: وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به، ولا يُعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة؛ وقد

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٦]. (١)

٢. هل التقاطع والتهاجر مذموم على كل حال؟

الجواب: إن كان لأمر الدنيا فهذا منهي عنه فوق ثلاث لحديث: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث).

وإن كان لأمر الدين فإنه يجوز الزيادة على ثلاث. نص عليه الإمام أحمد. كقصة الثلاثة الذين خلفوا.

(١) انظر بدائع الفوائد (٢ / ٢٣٦)

الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَخَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ". رواه مسلم بهذا اللفظ

أهمية هذا الحديث:

قال ابن دقيق العيد: هذا حديث عظيم، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما ييسر؛ من علم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة، أو غير ذلك.

شرح ألفاظ الحديث:

من نفَسَ: من التنفيس أي فرج وأزال وكشف، قال الطيبي: كأنه فتح مداخل الأنفاس، فهو مأخوذ من "أنت في نفس" أي سعة، كأن من كان في كربة سد عنه مداخل الأنفاس، فإذا فرج عنه فتحت.

عن مؤمنٍ كُربةً: الكُربة: هي الشدة العظيمة التي تُوقع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يُخَفَّفَ عنه منها، مأخوذٌ من تنفيس الخناق، كأنه يُرَخِي له الخناق حتَّى يأخذ نفساً، والتفريجُ أعظمُ من ذلك، وهو أن يُزِيلَ عنه الكُربةَ، فتتفرج عنه كُربته، ويزول همُّه وغمُّه، فجزاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وجزاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ.

من كُرب الدنيا: من تبعيضية، أي بعض كرها.

نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُربةً من كُرب يوم القيامة: ولم يقل: " من كُرب الدنيا والآخرة " كما قيل في التيسير والستر؛ وذلك لأنَّ كُرب الدنيا بالنسبة إلى كُرب الآخرة كلاً شيءٍ، فادَّخر الله جزاءَ تنفيسِ الكُربِ عنده، لينفَسَ به كُرب الآخرة. **وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ:** والتيسير على المعسر غالباً يكون من جهة المال، وهو على ثلاثة أنواع:

الأول: بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجبٌ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُوْعُسْرَةً﴾ **فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ** ﴿[سورة البقرة: ٢٨٠]،.

الثاني: بالوضع عنه إن كان غريباً.

الثالث: بإعطائه ما يزولُّ به إعساره.

وكل واحدٍ من هذه الثلاث له فضل عظيم، وهو داخل في الحديث. التيسير على المعسر هو أيضاً من تفريج الكرب، وإنما خصه لأنه أبلغ، وهو إنظاره لغريمه في الدين أو إبراءه له منه أو غير ذلك.

يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا: بأن يهون عليه أموره الدنيوية ويسهلها له.

والآخرة: والتيسير لأمر الآخرة بأن يهون عليه المشاق فيها ويرجح وزن الحسنات ويلقي في قلوب من لهم عنده حق يجب استيفاءه منه في الآخرة المسامحة وغير ذلك.

ويكفي في معرفة فضل ذلك ما ورد في الصحيحين من حديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " كان تاجر يُداينُ النَّاسَ، فإذا رأى معسراً، قال لصبيانه: تجاوزوا عنه، لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنا، فتجاوزَ الله عنه ".

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا: أي: في قَبِيحٍ يَفْعَلُهُ فَلَا يَفْضَحُهُ، فمن اطلع منه على ما لا ينبغي إظهاره من الزلات والعثرات فإنه مأجور بما ذكره من ستره في الدنيا والآخرة. ويشمل الحديث ستر بدن العبد باللباس، أو ستر عيوبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه.

والنَّاس في ذلك على ضربين:

أحدهما: من كان مستوراً لا يُعرف بشيءٍ من المعاصي، فإذا وقعت منه هفوة، أو زلة، فإنه لا يجوز كشفها، ولا هتكها، ولا التحدث بها، لأنَّ ذلك غيبة محرمة، وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوص، وفي ذلك قد قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [سورة النور: ١٩]. والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتهم به وهو بريء منه، كما في قصة الإفك.

والثاني: من كان مشتهراً بالمعاصي، معلناً بها لا يُبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجرُ المعلنُ، وليس له غيبة، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره، لِتُقَامَ عليه الحدودُ، واستدلَّ بقولِ النَّبِيِّ ﷺ: " واغْدُ يا أنيس على امرأةٍ هذا، فإنِ اعترفت، فارجمها ". ومثل هذا لا يُشْفَعُ له إذا أُخِذَ، ولو لم يبلغِ السُّلطان، بل يُترك حتى يُقَامَ عليه الحدُّ لينكفَّ شرُّه، ويرتدَّ به أمثاله.

سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: فيستره في الدنيا بأن لا يأتي زلة يكره اطلاع غيره عليها، وإن أتاها لم يطلع الله عليها أحداً، وستره في الآخرة بالمغفرة لذنوبه وعدم إظهار قبائحهِ وغير ذلك.

وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ: أي: مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ أَعَانَهُ اللَّهُ، وَمَنْ كَانَ سَاعِيًّا فِي قَضَاءِ حَاجَاتِ أَخِيهِ، قَضَى اللَّهُ حَاجَاتِهِ؛ فالجزاء مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، ومثله: " وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ". أخرجاه عن ابن عمر.

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا: سلوكُ الطَّرِيقِ لالتماسِ العلمِ يدخلُ فيه سلوكُ الطَّرِيقِ الحَقِيقِيِّ، وهو المشيُّ بالأقدامِ إلى مجالسِ العلماء، ويدخلُ فيه سلوكُ الطُّرُقِ المعنويَّةِ المؤدِّيَةِ إلى حُصُولِ العلمِ، مثل حفظه، ودارسته، ومذاكرته، ومطالعتَه، وكتابتَه، والتفهُمُ له، ونحو ذلك مِنَ الطُّرُقِ المعنوية التي يُتَوَصَّلُ بها إلى العلم.

سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ: قد يُراد بذلك أَنَّ الله يسهِّلُ له العلمَ الذي طلبه، وسلك طريقه، وييسِّرُه عليه، فإنَّ العلمَ طريقٌ موصلٌ إلى الجنة، وهذا كقوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [سورة القمر: ١٧].

وقد يُراد: أَنَّ الله يُيسِّرُ لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله الانتفاع به والعمل بمقتضاه، فيكون سبباً لهدايته ولدخول الجنة بذلك.

وكلاهما وارد ويدخل فيهما طالب العلم، فمن سلك طريق العلم ولم يعوجَّ عنه وصل إلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها، فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه إلاَّ بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ: بُيُوتُ الله في الأرضِ المساجدُ، وأضيفت إلى الله سبحانه تشریفًا وتعظيمًا، ولأنَّها محلُّ ذكره، وتلاوة كلامه، والتَّقَرُّبِ إليه بالصَّلَاةِ، وأهل السنة والله الحمد يجعلون من هذه المساجد منارات للعلم يتعلم فيها الطلاب العلم النافع من كتاب الله وسنة ورسوله ﷺ وما يوصل إليهما، وهذا من فضل الله عليهم.

يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ: بأن يقرأه بعضهم على بعض، ويتدبروا معانيه، ويتدارسوا أحكامه، ويتعهدوه خوف النسيان.

ومن فعل ذلك أثابه الله سبحانه الثواب الجزيل، وأعطاه الخير العميم، مع ما يدخره له في الآخرة، وقد أعطاهم الله تعالى منحًا أربع:

إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ: وهي ما يحصلُ به صفاء القلب بنور القرآن وذهاب ظلمته النفسانية، فإنَّ السكينة تنزل بالقرآن، وفي "الصحيحين" عن البراء بن عازب، قال: كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف وعنده فرسٌ، فتغشَّته سحابةٌ، فجعلت تدور وتدور، وجعل فرسه ينفِرُ منها، فلما أصبح، أتى النَّبِيُّ ﷺ، فذكر ذلك له، فقال: "تلك السَّكِينَةُ نَزَلَتْ للقرآن".

وهذه السَّكِينَةُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَنْهَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة الفتح: ٤] [الفتح: ٤].
فالسكينة التي ينزلها الله على الذاكرين هي ما يشعرون به من طمأنينة القلب، وارتياح النفس، وسعادة لا يعادها شيء.

وَعَشِيَّتَهُمُ الرَّحْمَةُ: أي: غطتهم وسترتهم رحمة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]، وهوؤلاء من المحسنين.

ولا يستعمل غشي إلا في شيء شمل المغشي من جميع أجزائه، قال الشيخ شهاب الدين بن فرج: والمعنى في هذا فيما أرى أن غشيان الرحمة يكون بحيث يستوعب كل ذنب تقدم إن شاء الله تعالى. ابن دقيق العيد.

وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ: أي أحاطت بهم ملائكة الرحمة والبركة إلى سماء الدنيا ورفرفت عليهم الملائكة بأجنحتهم يستمعون الذكر.

فكأن الملائكة قريب منهم قريباً حففتهم حتى لم تدع فرجة تتسع لشیطان.

وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ الطَّبَقَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ،

فيذكرهم الله تعالى ويباهي بهم الملائكة.

فذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملائكة الأعلى بين ملائكته ومباهاتهم به وتنويه

بذكره

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "يقول الله عز وجل:

أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي،

وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خيرٍ منهم".

وكفى بهذا شرفاً وفضلاً.

وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ: مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ أَنْ يَلُغَ بِهِ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ

عند الله تعالى، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ، فَيَلْغُهُ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ الْجُزْءَ

عَلَى الْأَعْمَالِ، لَا عَلَى الْأَنْسَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ

يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١]، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالمَسَارَعَةِ إِلَى

مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ

رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾ [سورة المؤمنون: ٥٧-٦١].

فَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ نَاقِصًا لَمْ يَلْحَقْهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَكَلَّ عَلَى شَرَفِ النَّسَبِ وَفَضِيلَةِ الْأَبَاءِ وَيَقْصُرَ فِي الْعَمَلِ.

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ فَلَا تَتْرِكُ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ
لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سُلَمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشَّرْكَ النَّسَبَ أَبَاهُ.

فوائد الحديث:

١. أنجزاء قد يكون من جنس العمل كما في الحديث.
٢. الترغيب في ستر المسلم الذي لا يُعرَف بالفساد.
٣. أن المسلم عليه أن يسعى في تخفيف الكرب عن المسلمين ولو لم تنزل الكرب بكاملها.
٤. ظاهر الحديث الحث على التكثير من السعي في تفريج الكرب، فإن كرب يوم القيامة كثيرة.
٥. يؤخذ منه أن من عسر على معسر عسر عليه، ويؤخذ منه أنه لا بأس على من عسر على موسر لأن مظهره ظلم يحل عرضه وعقوبته.
٦. أن العبد إذا قصد الثواب الذي رتبته الله للعبد على عمل من الأعمال؛ فإن هذا لا ينافي الإخلاص، فإن العمل إذا رتب عليه الثواب في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، وجاءت الشريعة بذلك، فإن قصده مع ابتغاء وجه الله جل وعلا والإخلاص له لا حرج فيه.
٧. أنه تعالى يتولى إعانة من أعان أخاه.

٨. استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته.
٩. فضل الاشتغال بطلب العلم والانتقال له من بلد إلى بلد آخر.
١٠. أن السعي في طلب العلم سبب لدخول الجنة.
١١. أن العزة والشرف والسعادة بالأعمال الصالحة لا بالأنساب والأحساب.
١٢. الحث على علو الهمة في العلم والعمل، والسعي في نيل الدرجات العالية بالعلم والعمل.

ما ينبغي معرفته:

١. هل هناك تعارض بين قول النبي ﷺ (ومن بطأ به عمله) ... وبين قول الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور: ٢١].
الجواب: لا تعارض بينهما: فإن الآية في إلحاق الذرية بالأباء في درجاتهم العالية، والمراد بالذرية هنا والله أعلم من لم يتزوج ويكون له ذرية، فأما من تزوج وكان له ذرية فهو مستقل بنفسه مع ذريته في درجته التي كتبها له^(١)، والحديث إنما هو في أصل دخول الجنة والنجاة من النار والسرعة على الصراط.
٢. سمي يوم القيامة لثلاثة أمور: الأول: أنه يقوم الناس فيه لرب العالمين.
الثاني: لأنه يقام فيه الأشهاد. الثالث: يقام فيه القسط والعدل.
٣. لماذا قال في الستر: ستره الله في الدنيا والآخرة، وفي الكربة قال من كرب يوم القيامة، ولم يقل من كرب الدنيا؟

(١) قاله العثيمين.

قيل: إن الدنيا لما كانت محل العورات احتيج إلى الستر فيها، وأما الكرب: وإن كانت الدنيا محلاً لها إلا أنه لا مقارنة بين كرب الدنيا والآخرة.

٤. المراد بالعلم الذي يمدح صاحبه هو علم الشريعة وما يسانده من علم العربية والتاريخ ونحو ذلك، دون العلوم الدنيوية الأخرى، فالعلوم الدنيوية إن كان فيه مصلحة عامة فهو من خدمة الإسلام، وإلا فلا.

٥. هل الخصال الأربع خاصة بمن اجتمعوا في المسجد لتلاوة القرآن؟ ذكر ابن رجب رحمه الله أن هذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة (إن لأهل ذكر الله أربعاً.. ثم ذكرها) وإنما ذكرت بيوت الله بناء على الغالب. والله أعلم.

الحديث السابع والثلاثون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مَا، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ يَبَيِّنُ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلُهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلُهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

أهمية الحديث:

هذا الحديث حديث عظيم، يدل على أفضال الله تعالى على خلقه، ورأفته بهم؛ فهو ربٌّ كريم، وفضله عظيم، يضاعف الحسنات دون السيئات.

قال ابن بطال رحمه الله: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحد الجنة؛ لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات.

قال المناوي رحمه الله: وأعظم بمضمون هذا الحديث من منة! إذ لولاه لما دخل أحد الجنة؛ لغلبة السيئات على الحسنات.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ: أي أَنَّ الله عز وجل قَدَّرَ الحسنات والسيئات في الأزل وفق علمه سبحانه وتعالى وذلك بتقدير وقوعها وتقدير ثوابها وجزائها.

فتمت هذه الكتابة أمرين:

الأول: أَنَّ الله كتبها وقدرها في اللوح المحفوظ بحسب علمه السابق سبحانه وتعالى، ففي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ".

الثاني: أَنَّ الله أمر الملائكة الحفظة بكتابة الحسنات والسيئات للعبد؛ ليجازيه بهما في الدار الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمَلَكُائِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۗ﴾ [سورة ق: ١٧-١٨]، وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۙ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۙ كِرَامًا كُنُوزًا ۚ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۚ﴾ [سورة الانفطار: ٩-١٢]..

والمراد بالحسنات ما يتعلق به الثواب، وبالسيئات ما يستحق فاعله العقاب.

ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ: أي فصل ووضح ذلك الذي أجمله في قوله كتب الحسنات والسيئات، ليتبين كيف تكتب هذه الحسنات والسيئات، وليعلم الناس مدى فضل الله ورحمته بخلقه سبحانه وتعالى.

فَمَنْ هَمَّ: الفاء فصيحة والهم هو العزم على القيام بالأمر، فقولك هممت بكذا أي قصدته بهمتي وهو فوق مجرد خطور الشيء بالقلب.

بِحَسَنَةٍ: الحسنة هي الأعمال الصالحة التي من جاء بها وفق ما شرع الله، فله أجر عظيم خير من ذلك، قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [سورة النمل: ٨٩].

سواء كانت هذه الحسنة من الحسنات القولية أو الفعلية، الظاهرة أو الباطنة، المتعلقة بحق الله أو المتعلقة بحق خلقه.

ولا بد أن يتوفر في العمل أمران ليكون حسناً وتعد من الحسنات:
الأول: أن يجعلها خالصة لله سبحانه وتعالى.

الثاني: أن تكون على هدي نبينا محمد ﷺ.

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة هود: ٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف: ٧].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك: ٢].

فقوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولم يقل: أكثر عملاً بل ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله عز وجل، على شريعة رسول الله ﷺ. فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين بطل وحبط.

قال الفضيل في قوله تعالى: (لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)

قال: أخلصه وأصوبه، وقال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً، لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، قال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة.

فَلَمْ يَعْمَلْهَا: أي منعه من ذلك ما نع وإلا فقد كان عزم على فعلها.

كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ: أي كتب الله تلك الحسنة التي هم بها وأمر الحفظة بأن تكتب ذلك.

عِنْدَهُ: أي عند الله وهذه إشارة إلى الشرف، وهي تدل على مزيد الاعتناء به.

ومنه قول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ

وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم: ١١]

حَسَنَةً كَامِلَةً: المراد بالكمال عظم القدر لا التضعيف إلى العشرة.

وأشار بقوله كاملة إلى رفع توهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرد، وإلى تعظيم الحسنة وتأکید أمرها.

ولا يقال إن التعبير بكاملة يدل على أنها تضاعف إلى عشر لأن ذلك هو الكمال لأنه يلزم منه مساواة من نوى الخير بمن فعله والتضعيف مختص بالعامل قال تعالى:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠] والمجيء بها هو العمل بها.

فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا: أي قام بأدائها على الوجه المشروع.

كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ: وهذا أقل ما يكون من التضعيف، وهذا

التضعيف للحسنة بعشر أمثالها لازم لكل الحسنة، وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿مَنْ

جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ: وقد وردت الأدلة التي فيها المضاعفة إلى سبعمائة ضعف

ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

وفي مسند أحمد عن عِيَاضِ بْنِ عُطَيْفٍ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ نَعُوذُهُ قَالَ إِنِّي

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِسَبْعِ مِائَةٍ وَمَنْ

أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى أَهْلِهِ أَوْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ مَارَ أَذَى عَنْ طَرِيقٍ فَهِيَ حَسَنَةٌ بِعَشْرِ

أَمْثَالِهَا". وإسناده حسن

وفي "صحيح مسلم" عن أبي مسعود، قال: جاء رجلٌ بناقةً مخطومة، فقال: يا

رسول الله، هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة».

إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ: وهذا صريح في أن التضعيف لا يقف على سبعمائة بل قد يزيد عليها لمن أراد الله تعالى زيادته له، وعلى ذلك أدلة أخرى ومنها قوله سبحانه:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

والشاهد: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، والمعنى الزيادة على سبعمائة ضعف على

قول لأهل العلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي".

يدل على ذلك رواية أحمد وفيها: "كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ، بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي".

فقوله: "إِلَّا الصَّوْمَ": قال القرطبي في المفهم (١٠ / ٣): يعني: أنه يجازي عليه

جزاء كثيراً من غير أن يعين مقداره، ولا تضعيفه، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ

الضَّالِّينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠]، وهم الصائمون في أكثر أقوال

المفسرين. اهـ

وقال السندي: فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ: كناية عن تعظيم جزائه، وأنه لا حدَّ له كسائر الأعمال بقرينة المقابلة، وذلك لأن اختصاصه من بين سائر الأعمال بأنه مخصوص بعظيم لا نهاية لعظمته ولا حد لها، وأن ذلك العظيم هو المتولي لجزائه، مما ينساق الذهن منه إلى أن جزاءه مما لا حدَّ له، ويمكن أن يقال على هذا: معنى "لي"، أي أنا المتفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيفه. اهـ

وقد ورد التضعيف بأكثر من السبعمئة في أحاديث ومنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ". أخرجه عن أبي هريرة.

وعند أحمد من حديث جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ.

وفي حديث عمر بن الخطاب أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ". الحديث رواه الترمذي والحاكم.

وهذا التضعيف يكون بقدر ما يقع في قلب العبد من الإخلاص والتصديق والإيمان، وحضور القلب، وتعدي النفع.

وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا: أي تركها خوفاً من الله وحياءاً منه.

كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ: ظاهر الإطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك لكنه قيده في حديث أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاتَّكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةٌ ". رواه البخاري.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْزُقُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاتَّكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ ".

قال النووي في شرح مسلم (١٨ / ٣٦٦): قال الإمام الهازري رحمه الله مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب: أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار، ويسمى هذاهما، ويفرق بين الهم والعزم، هذا مذهب القاضي أبي بكر، وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث، قال القاضي عياض رحمه الله: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخظة بأعمال القلوب لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها، وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها

خشية الله تعالى كتبت حسنة كما في الحديث: "إنما تركها من جراي" فصار تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأماراة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة، فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها، ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم. اهـ

فَإِنْ هُوَ هَمٌّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ: دون زيادة أو مضاعفة كما في الحسنات.

فوائد الحديث:

١. بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة وخففه عنهم مما كان على غيرهم من الإصر وهو الثقل والمشاق.
٢. أن ما يعمل به الإنسان في هذه الدنيا من الحسنات والسيئات قد كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ.
٣. أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب، خلافا لمن قال إنهم لا يكتبون إلا الأعمال الظاهرة.
٤. أن التضعيف لا يتقيد بسبعائة.
٥. فيه حث على النية الصادقة في فعل الخيرات.
٦. مقدار تفضل الله على عباده بأن جعل هموم العبد بالحسنة، وإن لم يعملها حسنة، وجعل همومه بالسيئة إن لم يعملها حسنة، وإن عملها كتبت سيئة واحدة.

٧. لولا التفضل العظيم من الله بمضاعفة الحسنات لم يدخل أحد الجنة؛ لأن السيئات من العباد أكثر من الحسنات، فلفظ الله بعباده بأن ضاعف لهم الحسنات، ولم يضاعف عليهم السيئات

٨. فعل الحسنة بعد الهم بها أفضل من مجرد الهم، ففرق بين حسنة يكتبها الله حسنة واحدة وبين أن تضاعف إلى أضعاف كثيرة.

٩. فيه لطف الله سبحانه وتعالى بعباده كما ذكره النووي رحمه الله.

١٠. جمع الحديث بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

١١. أن الله لا تخفى عليه خافية.

١٢. فيه فضل الخوف من الله ومراقبته سبحانه، فقد كتب لمن ترك السيئة خوفاً من الله كتبها له حسنة فهذا الذي يورثه الخوف من الله سبحانه ومطالعته ومراقبته.

ما ينبغي معرفته:

١. أفعال القلوب أربعة: الهاجس، والخاطر، ولا يعاقب الإنسان عليه ولا يؤجر عليه.

وحديث النفس: وهو ما يدور في الصدر من غير عمل، ويدخل فيه الهم، وهذا يثاب عليه ولا يعاقب عليه، والعزم والتصميم وهذا يثاب على فعله ويعاقب كذلك، وهو من الهم الجازم، وحديث النفس من الهم المتردد.

فالمقصود به في الحديث ليس مجرد حديث النفس بل العزم عليها.

٢. المضاعفة إلى عشر حسنات كتبه الله على نفسه ووعد به وهو لا يخلف الميعاد لقول الله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)، أما المضاعفة إلى سبعمئة ضعف فهو راجع إلى مشيئة الله، فإن شاء ضاعف إلى هذا، وإن شاء لم يضاعف. العثيمين
٣. من هم بالحسنة فلم يعملها هل يؤجر؟

الجواب على ثلاثة وجوه:

أولاً: أن يهم بها ويسعى في أسبابها ولا يدركها فيؤجر أجراً كاملاً ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

ثانياً: أن يكون معتاداً على فعل حسنة وتركها لعذر فإنه يكتب له الأجر كاملاً. مثلاً: شخص معتاد يقوم الليل لكنه نسي أن يؤقت المنبه ونام عن قيام الليل، والدليل قوله ﷺ: (إذا سافر العبد ومرض كتب ما كان يعمل مقيماً صحيحاً).

ثالثاً: أن يتركها تكاسلاً: فيثاب على اهم الأول دون الفعل لأنه لم يفعل بلا عذر.

٤. اهم بالسيئة له أحوال:

الأول: أن يهم بها ويقدر على فعلها ثم يراجع نفسه فيتركها لله عز وجل فهذا يؤجر بحسنة كاملة، لما جاء في الحديث (لأنه إنما تركها من جرائي) مسلم.

الثاني: أن يهم بها ويعزم عليها ويعجز عنها بدون السعي في أسبابها فيأثم (ليت لي مثل ما...) فتكتب عليه ولكن ليس كعامل السيئة بل تكتب عليه النية.

الثالث: يهيم بها ويعزم عليها ويسعى في أسبابها ولكن يعجز عنها فتكتب عليه سيئة كاملة (إذا التقى المسلمان بسيفيهما).

الرابع: أن يهيم بها ثم يتركها لعدم رغبته فيها، لا خوفاً من الله ولا عجزاً عنها، فلا

له ولا عليه. جاء في صحيح مسلم مرفوعاً (ولا يهلك على الله إلا هالك..) أي لا يعاقب مع هذه المساحة إلا مفرط غاية التفريط. قاله العثيمين.

٥. ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره عند قول الله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠] [الأنعام: ١٦٠] أن من هم بالسيئة له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يتركها من أجل الله، فهذا يثاب عليها بالحسنة كما جاء في هذا الحديث.

الثانية: أن يتركها ذهولاً وغفلة عنها لكونها ما جاءت على باله، فهذه ليست له ولا عليه.

الثالثة: وإذا هم بها ولم يفعلها من أجل العجز أو أي مانع آخر مع حرصه عليها ورغبته الشديدة في الوقوع فيها، فإن هذا يكسب إثماً ولا يجد أجراً وثواباً؛ لأن تركه للسيئة إنما كان للعجز مع تصميمه وحرصه عليها وفعله الأسباب التي توصل إليها، ولكنه لم يقدر ولم يتمكن، فهذا مأزور غير مأجور.

الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ. وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَنْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. وَلَكِنْ سَأَلَنِي لِأُعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ». رواه البخاري

أهمية الحديث:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو أشرف حديث روى في صفة الأولياء.

قال الشوكاني رحمه الله: هذا الحديث اشتمل على فوائد كثيرة النفع جليلة القدر

لمن فهمها حق فهمها، وتدبرها كما ينبغي.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أي في الحديث القدسي لأن النبي ﷺ رواه عن ربه، وكل

حديث رواه النبي ﷺ عن ربه يسمى عند العلماء حديثاً قدسياً.

وهي التي يرويها النبي ﷺ عن ربه عز وجل بواسطة جبريل عليه السلام أو

بالوحي يقظة أو مناماً، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى القدس وهو الطهر؛ لإضافتها

إلى الله تعالى وهو القدوس المنزه عن كل عيب ونقص.

مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا: المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣]..
يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقيا كان لله وليا.

والولي: هو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٦] [الأعراف: ١٩٦] ولا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى سبحانه وتعالى رعايته.

فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ: أَذِنَ بِالشَّيْءِ إِذْنًا عِلْمَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿فَآذِنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٩] أي كونوا على عِلْمٍ وَأَذَنَهُ الْأَمْرَ وَأَذَنَهُ بِهِ أَعْلَمَهُ، ويقال قد آذنته بكذا وكذا إذا أَعْلَمْتُهُ، قال الله عز وجل فقل آذنتكم على سواء.
والمعنى: من آذى عبداً من عباد الله المؤمنين واتخذهُ عدواً، فقد أَعْلَمْتَهُ بِأَنِّي محارب له، حيث كان محارباً لي بمعاداة أوليائي.

وهذا فيه الغاية القصوى مِنَ التَّهْدِيدِ؛ إِذْ مَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ وَعَامَلَهُ مُعَامَلَةَ الْمُحَارِبِ، فهو هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ، وَمَنْ يُطِيقُ حَرْبَ اللَّهِ؟!

فألله سبحانه وتعالى يدافع عن عباده المؤمنين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ

عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [سورة الحج: ٣٨]

فكل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقل ومستكثر.

وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي: لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف

أوليائه الذين تحرم معاداتهم، وتجب موالاتهم.

فذكر ما يُتَقَرَّبُ به إليه، وأصل الولاية القرب، وأصل العداوة البعد، فأولياء

الله هم الذين يتقربون إليه بما يُقَرَّبُهم منه.

وقوله: **عَبْدِي:** العبودية نوعان: عامة، وخاصة.

فالعبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم

مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٩٣] فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وأما النوع الثاني: فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر قال تعالى: {يَا عِبَادِ لَا

خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} وقال: {فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}.

والمذكورة في هذا الحديث هي العبودية الخاصة.

بِشْيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ:

قَسَمَ اللهُ عز وجل أوليائه المقربين قسمين: أحدهما: مَنْ تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده.

ومصادقها في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٠ / ٦): وَكُلُّ مِنَ الصَّنَفَيْنِ

الْمُقْتَصِدِينَ وَالسَّابِقِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣]. فَحَدُّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَنْقَسِمُ: إِلَى "عَامٍّ" وَهُمْ الْمُقْتَصِدُونَ، وَ"خَاصٍّ" وَهُمْ السَّابِقُونَ وَإِنْ كَانَ السَّابِقُونَ هُمْ أَعْلَى دَرَجَاتٍ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ. اهـ

ولا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوْفِيلِ: وهذا القسم الثاني من أولياء الله المؤمنين،

وهم أعظم الفريقين؛ وهذه درجة السابقين المقربين، وهُمُ الَّذِينَ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ بِالْاجْتِهَادِ فِي نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَالْانْكَفَافِ عَنْ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ بِالْوَرَعِ.

ولفظ: **ولا يَزَالُ**: تدل على الدوام والاستمرار على تلك الحال إلا أن يلقي الله سبحانه وتعالى، فالفعل المضارع يدل على اللزوم والثبات، والمعنى أنهم لازموا الفرائض وتكثروا من النوافل، وثبتوا على ذلك حتى لقوا الله عز وجل.

والنوافل: جمع نافلة وهي الزيادة سميت بذلك لأنها زيادة على الواجب، والنفل التطوع والمندوب والمستحب والمرغب فيه والسنة كله يطلق عليه نافلة، وتشمل نوافل الصلاة والصيام والصدقات وغيرها من العبادات.

حَتَّى أَحَبَّهُ: حتى غائية، أي ما يزال يتقرب إلى الله جل جلاله بالطاعات والقربات، إلى أن أحبه الله، وإذا وجبت له محبة الله فلا تسئل عما يفتح له من الخيرات والبركات، ومنها ما ذكرها بعده فقال:

فَإِذَا أَحَبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا: المراد بهذا حفظ هذه المذكورات من أن تستعمل في معصية، فلا يسمع ما لم يأذن له الشرع بسماعه، ولا يبصر ما لم يأذن له في إبصاره، ولا يمد يده إلى شيء لم يأذن له في مدها إليه، ولا يسعى إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه.

بمعنى أن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوباً لله، فإذا صار محبوباً لله أوجبت محبته لله له محبة أخرى منه فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوه ألبتة، فصار ذكر محبوه وحبه ومثله الأعلى، ومالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه

استيلاء المحبوب على محبة الصادق في محبته، التي قد اجتمعت قوى محبة حبه كلها له.

ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ومعه وأنيسه وصاحبه، فالباء هاهنا للمصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها، ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالية لا علمية محضة، لا يعرفها إلا من عاشها وعاشها.

وَلَيْتَ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ، وَلَيْتَ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ: يعني أن هذا المحبوب المقرب، له عند الله منزلة خاصة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئاً، أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء، أعاده منه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على ربه عز وجل، وقد كان كثير من السلف الصالح معروفاً بإجابة الدعوة. فإنه لما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه؛ حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه، فإن سألَه أعطاه، وإن استعاذه أعاده.

فوائد الحديث:

١. إثبات الولاية لله عز وجل؛ أي: إن لله تعالى أولياء.
٢. أن طريق الولاية بالإيمان والتقوى، لا مجرد الدعوى.
٣. وجوب محبة أولياء الله تعالى، وتحريم مؤذاتهم.
٤. أن الفريضة أحب إلى الله من النافلة.
٥. أن من وازب على السنن وصل إلى محبة الله.

٦. أن من والى أولياء الله أكرمه الله.
٧. أن أفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات، وترك المحرمات.
٨. أن الله سبحانه وتعالى حصر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.
٩. أن من أحبه الله تعالى صرفه عن الأشياء إليه، وأقبل به عليه، فأحب الله تعالى كما أحبه الله، قال الله تعالى يحبهم ويحبونه.
١٠. أن من أحبه الله، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والخطوة عنده.
١١. أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمن ادعى ولاية الله، والتقرب إليه، ومحبته بغير هذه الطريق، تبين أنه كاذب في دعواه.
١٢. فيه رد على زعم أن الولي له منزلة من بلغها سقطت عنه التكاليف، فمن تأمل الحديث وجد أن من بلغ مرتبة الولاية فعليه أن يزداد حفاظاً على الفرائض والنوافل.
١٣. أن العبد كلما كان أسرع طاعة لله وأكثر تعبدًا كلما كان دعاؤه أسرع إجابة، وتعوذه أقرب للقبول.

١. أن الخصومات إن كانت بدون بغضاء، فإنه لا يدخل في هذا الحديث، أي لا يكون مؤذناً بالحرب، وذلك لأن سادات الأولياء من هذه الأمة قد وقعت بينهم خصومات؛ فتخاصم عمر وأبو بكر في عدة مجالس، وتخاصم العباس وعلي وحصل بينهم خصومة وترافعا إلى القاضي، وهكذا في عددٍ من الأحوال، فوقع الخصومة بلا بغضاء لولي من أولياء الله جل وعلا لا يدخل في هذا الحديث وأما إذا أبغض ولياً من أولياء الله جل وعلا فإنه مؤذن بالحرب، يعني قد آذنه الله جل وعلا بحربٍ من عنده.

٢. للنوافل فائدتان مذكورتان في الحديث:

الأولى: أنها تقرب إلى الله في المنزلة، ولهذا قال " ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل ".

الثانية: تورث محبة الله سبحانه للعبد لقوله " حتى أحبه ".

٣. أن المراد من قوله: " فإذا أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي

يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها " أن الله يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله، وتكون هذه الأعضاء مشغولة بالله تعالى، طاعة وامثالاً، فلا يصغي بسمعه ولا يرى ببصره، إلا ما يرضي الله تعالى ويكون هو المقصود بهذه الأعضاء والقوى، وليس كما يزعم أهل الحلول والاتحاد من خرافات باطلة

واعتقادات فاسدة من أن هذا القول يوجب أن يكون عين الحق هو عين أعضائه،
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

شبهة أهل الإلحاد:

زعم أهل الاتحاد والحلول أن قوله: "كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ..." على حقيقته،
وأن الحق سبحانه عينُ العبد، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وهذا القول من الاتحادية فاسد من وجوه كثيرة، بل هو كفر صريح بالله تعالى،
والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: أن ما جاء في آخر الحديث صريحاً ينفي تلك الشبهة تماماً، وهو قوله:
"وَإِنْ سَأَلْنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن المعلوم أن هذا صريح في أن السائل
المستعِذ ليس هو المستعَاذ به"، ويقول الحافظ ابن حجر: "فلا متمسك فيه للاتحادية
ولا القائلين بالوحدة المطلقة؛ لقوله في بقية الحديث: "ولئن سألتني...ولئن
استعاذني"؛ فإنه كالصريح في الرد عليهم".

الثاني: أنه ورد على سبيل التمثيل، والمعنى: كنت سمعه وبصره في إثارة أمري،
فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي، كما يحب هذه الجوارح.

يقول الخطابي: "هذه أمثال ضربها، والمعنى -والله أعلم-: توفيقه للأعمال التي
يياشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها، فيحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن

مواقعة ما يكره الله من إصغاء إلى اللهو بسمعه، ونظر إلى ما نهى عنه ببصره، وبطش إلى ما لا يحل له بيده، وسعى في الباطل برجله". اهـ

الثالث: من المعاني المستفادة: أن جميع جوارحه مشغولة بالله تعالى، فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيه سبحانه، ولا يرى ببصره إلا ما أمر الله تعالى به.

الرابع: أن الله تعالى يُحَصِّل للعبد مقاصده، كما يناله بسمعه وبصره.

الخامس: أن الله تعالى يكون له في العون والنصرة كبصره ويده اللذين يعاونانه على عدوه.

السادس: أنه على حذف مضاف، والتقدير: كنت حافظاً سمعه الذي يسمع به، فلا يسمع إلا ما يحل استماعه، وحافظاً بصره كذلك.

السابع: أن يكون معنى سمعه: مسموعه؛ لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول، مثل فلان أملي بمعنى مأمولي، والمعنى: أنه لا يسمع إلا ذكري، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضائي، ورجله كذلك.

٤. في الحديث أن أولياء الله على درجتين:

فالدرجة الأولى: درجة المقتصدين أصحاب اليمين الذين يتقربون إلى ربهم بأداء ما افترض عليهم، وهو يشمل فعل الواجبات وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده، فذكر سبحانه أن التقرب إليه بأداء الفرائض هو من أفضل الأعمال والقربات كما قال عمر رضي الله عنه: "أفضل الأعمال أداء

ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله تعالى " وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: " أفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المحارم ".
وأما الدرجة الثانية: وهي درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض، فاجتهدوا في نوافل العبادات من صلاة وصيام وحج وعمرة وقراءة قرآن وغير ذلك، واجتنبوا دقائق المكروهات، فاستوجبوا محبة الله لهم، وظهرت آثار هذه المحبة على أقوالهم وأفعالهم وجوارحهم.

الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

أهمية الحديث:

قَالَ النَّوَوِيُّ: وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمرٍ مهمّةٍ، لو جُمِعَتْ بُلَغَتْ مُصَنَّفًا لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْكِتَابُ.

قَالَ ابْنُ الْمَلْقَنِ: يصح أن يسمى نصف الشريعة لأن فعل الإنسان إما عن قصد أو عن غير قصد.

شرح ألفاظ الحديث:

إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ: بمعنى إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ لِي عَنْ أُمَّتِي

لِي: أي لأجلي.

عَنْ أُمَّتِي: المقصود بها أمة الإجابة.

الْخَطَأُ: هو أَنْ يَقْصِدَ بِفَعْلِهِ شَيْئًا، فَيُضَادِفُ فَعْلُهُ غَيْرَ مَا قَصَدَهُ، مثل: أَنْ يَقْصِدَ

قَتَلَ كَافِرٍ، فَيُضَادِفُ قَتْلَهُ مُسْلِمًا.

وَالنَّسْيَانَ: أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا لَشَيْءٍ، فَيَنْسَاهُ عِنْدَ الْفِعْلِ.

وكلاهما معفو عنه، بمعنى أَنَّهُ لَا إِثْمَ فِيهِ، دلت على ذلك الأدلة من كتاب الله

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]،
وقال: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [سورة
الأحزاب: ٥]

وفي " الصحيحين " عن عمرو بن العاص سمع النبي ﷺ يقول: " إذا حكم
الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ، فله أجر " .
ورفع الإثم لا يُنافي أن يترتب على نسيانه حكم.

كمن نسي الوضوء، وصلى ظاناً أنه متطهر، فلا إثم عليه بذلك، ثم إن تبين له أنه
كان قد صلى محدثاً فإن عليه الإعادة.

الناسي والمخطئ إنما عُفي عنهما بمعنى رفع الإثم عنهما؛ لأن الإثم مرتب على
المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما، وأما رفع الأحكام
عنهما، فليس مراداً من هذه النصوص، فيحتاج في ثبوتها ونفيها إلى دليل آخر.
وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ: يعني ما أكرهوا على فعله؛ فعملوا شيئاً على جهة الإكراه،

فالله جل وعلا قال: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النحل: ١٠٦].

فوائد الحديث:

١. فيه كرم الله سبحانه وتعالى وعظيم عفوه، حيث تجاوز عن تلك الأمور.

٢. ظاهر لفظ الحديث في قوله "أمتي" يدل على أن ذلك من خصائص هذه الأمة المحمدية.

٣. فيه سهولة الشريعة الإسلامية وتيسير الله لها.

٤. رفع الإثم عن المخطئ والناسي والمستكره.

٥. فيه دليل على المؤاخذه على سيئات الأقوال والأفعال لقوله ﷺ: "مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ".

٦. سعة رحمة الله عز وجل ولطفه بعباده فلو شاء سبحانه لعاقب من خالف أمره على كل حال.

ما ينبغي معرفته:

١. أن رفع الإثم عن المخطئ والناسي والمستكره، وأما الحكم فغير مرفوع، فلو أتلّف شيئاً خطأ، أو ضاعت منه الوديعة نسياناً ضمن، ولو نسي صلاة حتى خرج وقتها لم يَأْثَمَ ووجب عليه أن يصلي، ولو قتل إنساناً خطأ لم يَأْثَمَ ولكن عليه الكفارة والدية.

ويستثنى من الإكراه: الزنى والقتل فلا يباحان بالإكراه، ويستثنى من النسيان: ما تعاطى الإنسان سببه، فإنه يَأْثَمُ بفعله لتقصيره..

٢. سبب العفو عن هؤلاء: أن المقصود من التكليف تمييز المطيع من العاصي وهذا يتطلب نية وقصدًا وهؤلاء الثلاثة (المخطئ والناسي والمكره) لا قصد لهم، ولهذا ذهب غالب الأصوليين إلى سقوط التكليف عن هؤلاء. (ابن الملتن)

٣. موانع التكليف ثلاثة:

- ١- الجهل، وضده العلم. ودليله حديث النبي ﷺ صَلَاتُهُ.
- ٢- النسيان، وضده التذكير والقصد. ودليله حديث: "مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا".

- ٣- الإكراه، وضده الاختيار، ودليله قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦] [النحل: ١٠٦].

الحديث الأربعون

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ". وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا يَقُولُ: إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم النفع، يحث على الزهد في الدنيا وقلة الأمل والجد في العمل.
قال ابن دقيق العيد رحمه الله: فما أجمع هذا الحديث لمعاني الخير وأشرفه.
قال الطوفي رحمه الله: وهذا الحديث أصل في الفراغ عن الدنيا، والزهد فيها، والرغبة عنها، والاحتقار لها، والقناعة فيها بالبلغة. اهـ
فهذا الحديث أصل في الزهد في الدنيا واحتقارها، والقناعة منها بالقليل الذي يُبْلَغُ للآخرة.

شرح ألفاظ الحديث:

أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي: المَنْكَبُ هو مُجْتَمَعُ رَأْسِ الْكَتِفِ وَالْعَضُدِ.
وأخذ النبي ﷺ بمنكبه أي أمسكه بيده على منكبه، وهذا للدلالة على شدة الاهتمام به، وبِعَظِيم ما سيوصيه به.
فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ: أي: مِثْلُ الْغَرِيبِ.

وَالْغَرِيبُ هُوَ الْبَعِيدُ عَنْ وَطَنِهِ وَعَنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ مَشْغُولُ الْبَالِ بِوَطَنِهِ (الْآخِرَةُ) وَبِأَهْلِهِ (أَهْلِهِ فِي الْآخِرَةِ)، وَلَيْسَ مَعَهُ مِنَ الزَّادِ إِلَّا بِمِقْدَارِ حَاجَتِهِ، وَهُوَ رَجُلٌ مُعْرِضٌ عَنِ الدُّنْيَا مُتَّقِلٌ مِنْهَا.

والمعنى أي: لا تمل إلى الدنيا؛ فإنك مسافر عنها إلى الآخرة؛ فلا تتخذها وطنًا، ولا تألف مستلزماتها، واعتزل عن الناس ومخالطتهم فإنك تفارقهم، وألزم يدك اللازم، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا تتعلق بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله ووطنه.

أو: (أَوْ) بِمَعْنَى بَلْ، فَهِيَ لِلْإِضْرَابِ وَلَيْسَتْ لِلتَّخْيِيرِ.

عابر السبيل: هو المارُّ على الطريق طالبًا وطنه، فالمرء في الدنيا كعبدٍ أرسله سيِّده في حاجةٍ إلى غير بلده فشأنه أن يبادر بفعل ما أُرسل به ثم يعود إلى وطنه ولا يتعلَّق بشيءٍ غير ما هو فيه.

بمعنى أن الغريب قد يستوطن، وقد يسكن في بيت، أما عابر السبيل فليس له مأوى، يبحث عن هدفه ولا يقعد لحظة واحدة، فهذه تفيد معنى بل، فهي ليست للشك ولا للتخيير، بل بمعنى بل؛ كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

فعابر السبيل يسافر ويرحل كلَّ يومٍ مَرَحَلَةً لِيَصِلَ مَقْصُودَهُ، وَنَحْنُ فِي سَفَرٍ إِلَى الْآخِرَةِ.

وَوَجْهُ الشَّيْءِ: أَنَّ الْمُقِيمَ قَدْ يَرْكُنُ إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، وَالْمَسَافِرُ بَعَكْسِ ذَلِكَ لِيُعِدَّ عَنْهُمْ.

وقول ابن عمر رضي الله عنه: إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ.

مُتَنَزِّعٌ مِنْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى قِصْرِ الْأَمَلِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيُنَبِّغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَظَلَّ دَائِمًا مُسْتَشْعِرًا أَنَّ أَجَلَهُ مُدْرِكُهُ.

قوله: " إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ":
حضض منه على أن يجعل الموت نصب عينيه، فيستعد له بالعمل الصالح، وحض له على تقصير الأمل، وترك الميل إلى غرور الدنيا.

وقوله: "خذ من صحتك لمرضك" حضض على اغتنام أيام صحته فيمهد فيها لنفسه خوفاً من حلول مرض به يمنعه من العمل.
قال الحافظ: والمعنى: اشتغل في الصَّحَّةِ بالطَّاعَةِ، بحيث لو حصل تقصيرٌ في المرض يُجَبِّرُ بذلك.

وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعَا فغلب الكسل على الطَّاعَةِ فهو المغبون. وتأم ذلك أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التَّجَارَةُ الَّتِي يظهر ربحها في الآخرة، فَمَنْ استغلَّ فراغَهُ وصحَّتَهُ في طاعة الله فهو المغبوط، وَمَنْ استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأنَّ الفراغَ يعقبهُ الشُّغْلُ، والصَّحَّةُ يَعْقِبُهَا السَّقَمُ. اهـ

وقوله: "ومن حياتك لموتك": تنبيه على اغتنام أيام حياته، ولا يمر عمره باطلاً في سهو وغفلة، لأن من مات فقد انقطع عمله وفاته أملُه وحضره على تفريطه ندمه، فما أجمع هذا الحديث لمعاني الخير وأشرفه.

قَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ قَدْ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بُنُونٌ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ.

وَقَدْ رُوِيَ مَعْنَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهِ.

فَقِي (صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ".

وَفِي (صَحِيحِ الْحَاكِمِ): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ".

فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِاسْتِغْلَالِ أَعْمَارِنَا فِي مَرْضَاتِهِ وَفِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

فوائد الحديث:

١. فيه الحث على النصيحة للخلق.
٢. الحض على ترك الدنيا والزهد فيها، وألا يأخذ منها الإنسان إلا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة.

٣. المسارعة إلى الأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها، ويحال بينه وبينها.
٤. فيه الحث على تقليل الأمل والإكثار من العمل، فإن من قصر أمله زهد في الدنيا وأكثر من الطاعة، ومن طال أمله ترك الطاعة وسوف التوبة.
٥. أن الصحة والحياة نعمتان لا يغتنمهما إلا العاقل الموفق.

ما ينبغي معرفته:

١. الحديث لا يدل على ترك الرزق وتحريم ملذات الدنيا، بدليل فعل النبي ﷺ الذي قال هذه الوصية وصحابته الكرام الذين طبقوها فقد تاجروا وعملوا وتلذذوا بالحلal وإنما المراد بالحديث عدم التعلق بالدنيا واللهث رواءها بحيث تصد العبد عن طاعة ربه.

الحديث الحادي والأربعون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ". حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ!

درجة الحديث:

قوله: رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ! يُرِيدُ بِصَاحِبِ كِتَابِ الْحُجَّةِ الشَّيْخَ أَبَا الْفَتْحِ نَصْرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمُقَدِّسِيِّ الشَّافِعِيَّ الْفَقِيهَ الزَّاهِدَ نَزِيلَ دِمَشْقٍ، وَكِتَابُهُ هَذَا هُوَ كِتَابُ "الْحُجَّةِ عَلَى تَارِكِ الْمُحَجَّةِ" يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ أَصُولِ الدِّينِ عَلَى قَوَاعِدِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ. وَقَدْ خَرَّجَ هَذَا الْحَدِيثَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ "الْأَرْبَعِينَ".

وهذا الحديث من طريق نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِهِ. وقد تفرد به نُعَيْمٌ، وقد ضعفه جماعة من أهل العلم.

قال الحافظ ابن رجب: تَصَحَّيْحُ هَذَا الْحَدِيثِ بَعِيدٌ جِدًّا مِنْ وُجُوهِ، مِنْهَا:

أَنَّهُ حَدِيثٌ يَتَّفَرَّدُ بِهِ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْمُرُوزِيُّ، سَأَلَ عَنْهُ ابْنُ مُعِينٍ فَقَالَ: لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَكِنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، قَالَ صَالِحٌ: وَكَانَ يُحَدِّثُ مِنْ حَفْظِهِ، وَعِنْدَهُ مَنَاقِيرُ كَثِيرَةٌ لَا يَتَّبَعُ عَلَيْهَا. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: عِنْدَ نُعَيْمٍ نَحْوُ عَشْرِينَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لَيْسَ لَهَا

أَصْلُ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ: ضَعِيفٌ. وَقَالَ مَرَّةً: لَيْسَ ثِقَةً. وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ: يَصِلُ أَحَادِيثَ يُوقِفُهَا النَّاسُ، وَقَالَ أَبُو عَرُوبَةَ الْحَرَّانِيُّ: هُوَ مُظْلِمُ الْأَمْرِ، وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ يُونُسَ: رَوَى أَحَادِيثَ مَنَاكِرَ عَنِ الثَّقَاتِ، وَأَيْنَ كَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ، وَأَصْحَابُ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، وَأَصْحَابُ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ حَتَّى يَنْفَرِدَ بِهِ نَعِيمٌ؟ اهـ

وقال عنه الذهبي: لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب (الفتن) فأتى به بعجائب ومناكير.

ومنها: أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَ عَلَى نَعِيمٍ فِي إِسْنَادِهِ، فَرَوَى عَنْهُ، عَنِ الثَّقَفِيِّ، عَنْ هِشَامٍ، وَرَوَى عَنْهُ عَنِ الثَّقَفِيِّ، حَدَّثَنَا بَعْضُ مَشِيخَتِنَا هِشَامٌ أَوْ غَيْرُهُ، وَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ، يَكُونُ الشَّيْخُ الثَّقَفِيُّ غَيْرَ مَعْرُوفٍ عَيْنُهُ، وَرَوَى عَنْهُ، عَنِ الثَّقَفِيِّ، حَدَّثَنَا بَعْضُ مَشِيخَتِنَا، حَدَّثَنَا هِشَامٌ أَوْ غَيْرُهُ، فَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ، فَالثَّقَفِيُّ رَوَاهُ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولٍ، وَشَيْخُهُ رَوَاهُ عَنْ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، فَتَزَادُ الْجَهَالَةُ فِي إِسْنَادِهِ.

ومنها: أَنَّ فِي إِسْنَادِهِ عُقْبَةَ بَنِ أَوْسٍ السُّدُوسِيِّ الْبَصْرِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: هُوَ مَجْهُولٌ. وَقَالَ الْغَلَّابِيُّ فِي "تَارِيخِهِ": "يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَإِنَّمَا يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، فَعَلَى هَذَا تَكُونُ رِوَايَاتُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مُنْقَطِعَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والحديث وإن كان إسناده ضعيفاً فإنَّ متنه صحيحٌ، وله أصول وشواهد من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ تشهد له.

أهمية الحديث:

هذا الحديث حديثٌ عظيمٌ جليلٌ القدر فهو بمثابة المقياس والميزان للمؤمن حقاً في إيمانه اعتقاداً وقولاً وعملاً، مما يدلُّ أنَّه خارجٌ من مشكاة النبوة، ولهذا أخرجه النووي في هذه الأربعين وقد اشترط أن لا يخرج حديثاً ضعيفاً بالمرّة.

شرح ألفاظ الحديث:

لا يؤمن أحدكم: أي: لا يؤمن الإيمان الكامل، وليس المراد به نفي الإيمان بالكلية.

حتى يكون هواه: أي: حبه وميله.

تبعاً: أي: تابعاً

لما جئت به: من الشريعة المطهرة، فلا يلتفت إلى غيرها.

ومعنى الحديث: هو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه. وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع. قال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥] وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٦] وذم سبحانه من كره ما أحبه الله، أو أحب ما كرهه الله،

قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٩] [محمد: ٩]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٨] [محمد: ٢٨]. فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة، حتى أتى بما ندب إليه منه.

وقد ثبت في "الصحيحين" عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

فلا يكون المؤمن مؤمناً حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله. والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى: فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعاً لقوله، وعمله تبعاً لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين. انتهى.

فوائد الحديث:

١. أن من كان هواه تبعاً لما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مؤمن كامل الإيمان.

٢. إنما كان يجب على العبد أن يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ لأنه ﷺ إنما جاء بشرائع الدين الكاملة، من الإيمان والإسلام والإحسان، والنصح العام والخاص، والاستقامة.

٣. أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٤. تحذير المسلم من أن يحكم العقل أو العادة ويقدمه على ما جاء به الرسول ﷺ، فهذا طريق الضلال والهلاك.

٥. وجوب محبة النبي - ﷺ - واتباعه فيما يأمر به، والانتفاء عما نهى؛ من غير توقف ولا تردد.

٦. وجوب تحكيم الشريعة في كل شيء، لقوله: "لِمَا جِئْتُ بِهِ".

٧. أن كراهة شيء مما جاء به الرسول ﷺ ينافي الإيمان، إما لأصله أو لكماله الواجب.

ما ينبغي معرفته:

١. الإيمان على قسمين:

الإيمان الواجب: هو ما أوجبه الله تعالى على عباده وهو فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المحرمات.

وقد رتب الله تعالى على الإيمان الواجب الثواب والوعد بالجنة والعق من النار، والوعيد لمن قصر فيه بترك واجب أو فعل محرم.

الإيمان المستحب: وهو إيمان السابق بالخيرات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر: ٣٢] [فاطر: ٣٢]

وهو الزائد على الإيمان الواجب بفعل المندوبات والمستحبات وترك المكروهات والمشتبهات والسابق إلى فعل الخيرات والاجتهاد في الطاعات والقربات والترقي في مقامات الإحسان.

فهو دائم المراقبة لله والمشاهدة لآلائه وعظمته وجلاله سبحانه وتعالى يعبد الله كأنها يرى الله سبحانه وتعالى خوفا وتعظيما ومهابة وتوكلا عليه وإخلاصا له مع كمال الحب والذل والخضوع والإنابة والمسكنة. وهذا إيمان الصديقين والمقربين الأبرار فازوا بالمراتب العلية والمقامات السامية برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

المقصود بكمال الإيمان في الحديث يدخل فيها النوعان معاً، فمن قَصَّر في متابعة النبي ﷺ في الواجبات أو في ارتكاب المحرمات، فقد لعب به هواه، ونقص من كمال إيمانه الواجب بقدره، ومن قَصَّر فيما حثَّ عليه من المستحبات أو تساهل في المكروهات؛ نقص من إيمانه المستحب بقدره، فانظر لنفسك أين أنت من هذا وذاك.

وخلاصته ما قاله شيخ الإسلام في الإيمان حيث قال: وهو مركب - أي الإيمان - من أصل لا يتم بدونه، ومن واجب ينقص بفواته نقصا يستحق صاحبه العقوبة، ومن مستحب يفوت بفواته علو الدرجة. اهـ "مجموع الفتاوى" (٦٣٧/٧).

الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أهمية الحديث:

هذا الحديث من أرجى أحاديث السنة النبوية، فهو يربط العبد بربه، ويجعله فسيح الأمل والرجاء في واسع فضل الله سبحانه وتعالى، وكأن النووي رحمه الله يختم هذه المجموعة بهذا الحديث، ليعظم في نفس كل مسلم رجاء رحمة الله، وليعلم بسعة فضل الله.

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث بشارة عظيمة، وحِلْمٌ وكرم عظيم، وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان، والرفقة والرحمة والامتنان. اهـ

شرح ألفاظ الحديث:

يا ابن آدم!: كل بني آدم داخل في هذا النداء الذي يدعوهم به المولى سبحانه، بما فيهم المسلم والكافر، والبر والفاجر، والعاصي والتقّي، فهي دعوة إلى الإيمان

وتوحيد الله، وقال بعضهم المقصود بهذا النداء المسلم الذي اتبع رسالة نبينا محمد ﷺ وأقر له بختم الرسالة، وشهد له بالنبوة والرسالة، واتبعه على ما جاء به.

إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي: ما مصدرية ظرفية أي ما دمت تدعوني وترجوني يعني في مدة دعائك ورجائك.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٦ / ٣٨):

الإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجبٌ للمغفرة، والله تعالى يقول: "أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فليظنَّ بي ما شاء". اهـ
غفرتُ لك: المغفرة هي وقايةُ شرِّ الذُّنُوبِ مَعَ سِتْرِهَا، وسِتْرُ الذَّنْبِ مع سِتْرِ أثره في الدنيا والآخرة، فغفر الشيء بمعنى ستره.

والمقصود من ستر الذنب أن يستر الله جل وعلا أثره في الدنيا والآخرة، وأثر الذنب في الدنيا العقوبة عليه، وأثر الذنب في الآخرة العقوبة عليه. والمعنى أن من طلب ستر الله عليه في أثر ذنبه في الدنيا والآخرة؛ ستر الله عليه؛ بحجب أثر الذنب من العقوبة في الدنيا والآخرة.

على ما كان منك: يَعْنِي: عَلَى كَثَرَةِ ذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ، وَلَا يَتَعَاطَمُنِي ذَلِكَ، وَلَا أَسْتَكْثِرُهُ.

ولا أبالي: أَي: وَالْحَالُ أَنِّي لَا أَتَعَطَّمُ مَغْفِرَتَكَ عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ ذَنْبًا كَبِيرًا أَوْ كَثِيرًا، فَإِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ أَوْ غَلَبَتْ غَضَبِي. قَالَ الطَّبْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: وَلَا أَبَالِي مَعْنَى: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

يا ابن آدم لَوْ بَلَغْتَ ذُنُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ: بِفَتْحِ الْعَيْنِ أَي: سَحَابَهَا، وَقِيلَ: مَا عَلَا مِنْهَا أَي: ظَهَرَ لَكَ مِنْهَا إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الطَّبْيِيُّ: الْعَنَانُ: السَّحَابُ، وَإِضَافَتُهَا إِلَى السَّمَاءِ تَصْوِيرٌ لِارْتِفَاعِهِ، وَأَنَّهُ بَلَغَ مَبْلَغَ السَّمَاءِ.

ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، عَفَرْتُ لَكَ: مُجَرَّدُ قَوْلِ الْقَائِلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي دُونَ تَوْبَةٍ مِنَ الذُّنُوبِ هُوَ طَلَبٌ مِنْهُ لِلْمَغْفِرَةِ وَدُعَاءٌ بِهَا، فَيَكُونُ حُكْمُهُ حُكْمَ سَائِرِ الدُّعَاءِ، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَجَابَهُ وَغَفَرَ لِصَاحِبِهِ، لَا سِيَّمَا إِذَا خَرَجَ عَنْ قَلْبٍ مُنْكَسِرٍ بِالذَّنْبِ أَوْ صَادَفَ سَاعَةً مِنْ سَاعَاتِ الْإِجَابَةِ كَالْأَسْحَارِ وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ. قَالَ ابْنُ رَجَبٍ وَالمُرَادُ بِالِاسْتِغْفَارِ مَعَ عَدَمِ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ، فَافْضَلُ الْإِسْتِغْفَارِ مَا اقْتَرَنَ بِهِ تَرْكُ الْإِصْرَارِ، وَهُوَ حِينَئِذٍ تَوْبَةٌ نَصُوحٌ، وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَهُوَ غَيْرُ مُقْلِعٍ بِقَلْبِهِ، فَهُوَ دَاعٍ لِلَّهِ بِالْمَغْفِرَةِ، كَمَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَهُوَ حَسَنٌ وَقَدْ يُرْجَى لَهُ الْإِجَابَةُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: " تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ، فَمُرَادُهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِتَوْبَةٍ، كَمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ مَعَ الْإِصْرَارِ.

قَالَ الْحَسَنُ: أَكْثَرُوا مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ فِي بُيُوتِكُمْ، وَعَلَى مَوَائِدِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَفِي أَسْوَاقِكُمْ، وَفِي مَجَالِسِكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّكُمْ مَا تَدْرُونَ مَتَى تَنْزِلُ الْمَغْفِرَةُ.

يا ابن آدم إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا: أَي: لَوْ جِئْتَنِي بَعْدَ الْمَوْتِ، بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا وَمَعَاصِي.

ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا: أَي أَنْ مَنْ جَاءَ مَعَ التَّوْحِيدِ بِقُرَابِ الْأَرْضِ - وَهُوَ مِلْؤُهَا أَوْ مَا يُقَارِبُ مِلْأَهَا - خَطَايَا، لَقِيَهِ اللَّهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً.

فَائِدَةُ التَّقِيدِ أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ عَلَى التَّوْحِيدِ.

قوله: لَا تَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةٌ: هَذَا مَعَ مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ بِذُنُوبِهِ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ أَنْ لَا يُخَلَّدَ فِي النَّارِ، بَلْ يُخْرَجُ مِنْهَا، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

ففي هذا الحديث القدسي ذكرت ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب:

الأول: دعاء الله تعالى ورجائه، وفي الحديث: "ومن سره أن يستجيب له الله عند الشدائد والكرب؛ فليكثر الدعاء في الرخاء".

والثاني: كثرة الاستغفار، وقد كان النبي ﷺ يستغفر الله في المجلس الواحد مائة مرة.

والثالث: تحقيق التوحيد، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ شَاءَ).

فمن أخطأته هذه الثلاث فقد فاته خير كثير.

فوائد الحديث:

١. سعة كرم الله تعالى وجوده.
٢. العاصي لا يسلب عنه اسم الإيمان ويكفر، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال: هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة.

٣. بيان معنى لا إله إلا الله: أنه هو أفراد الله بالعبادة، وترك الشرك قليله وكثيره.

٤. حصول المغفرة بهذه الأسباب الثلاثة: الدعاء مع الرجاء، والاستغفار، والتوحيد وهو السبب الأعظم الذي من فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد جاء بأعظم أسباب المغفرة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كان الفراغ من تسويد هذا الشرح بعد ظهر يوم الأربعاء
السادس من شهر ذي الحجة لسنة خمس وأربعين وأربعمائة ألف للهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم



جدول المحتويات

٢	مقدمة
٧	ترجمة مختصرة للنووي
٧	اسمه ولقبه وكنيته:
٧	مولده:
٧	نشأته:
٨	مناقبه ومكانته العلمية:
٩	محبته للدروس:
١١	عنايته بوقته:
١٢	شيوخه:
١٣	مصنفاته:
١٣	ومن مصنفاته التي أتمها:
١٤	الكلام على عقيدة النووي:
١٨	فائدة
١٩	أصل الأربعين النووية:
٢٠	عدد الأحاديث:
٢١	الحديث الأول
٢١	التعريف بالراوي:
٢٣	من أخرج الحديث:
٢٤	أهمية الحديث:
٢٥	شرح ألفاظ الحديث:
٢٧	فوائد الحديث:
٢٩	ما ينبغي معرفته:
٣٥	الحديث الثاني
٣٦	شرح ألفاظ الحديث:

- ٥١..... فوائد الحديث:
- ٥٤..... ما ينبغي معرفته:
- ٥٧..... الْحَدِيثُ الثَّلَاثُ
- ٥٧..... التعريف بالراوي:
- ٥٩..... أهمية الحديث:
- ٦٠..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٦٣..... فوائد الحديث:
- ٦٣..... ما ينبغي معرفته:
- ٦٧..... الحديث الرابع
- ٦٧..... التعريف بالراوي:
- ٦٩..... أهمية هذا الحديث:
- ٦٩..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٧١..... فوائد الحديث:
- ٧٣..... ما ينبغي معرفته:
- ٧٦..... الحديث الخامس
- ٧٦..... التعريف بالراوي:
- ٧٩..... أهمية الحديث:
- ٧٩..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٨٠..... فوائد الحديث:
- ٨٢..... ما ينبغي معرفته:
- ٨٦..... الحديث السادس
- ٨٦..... التعريف بالراوي:
- ٨٧..... أهمية الحديث:
- ٨٨..... شرح الفاظ الحديث:
- ٩١..... فوائد الحديث:

- ٩٣..... ما ينبغي معرفته: الحديث السابع
- ٩٥..... التعريف بالراوي: أهمية الحديث: شرح الفاظ الحديث: فوائد الحديث: الحديث الثامن
- ٩٥..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث التاسع
- ٩٦..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث العاشر
- ٩٧..... شرح الفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الحادي عشر
- ٩٨..... فوائد الحديث: أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثاني عشر
- ١٠١..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثالث عشر
- ١٠١..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الرابع عشر
- ١٠١..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الخامس عشر
- ١٠٣..... فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث السادس عشر
- ١٠٦..... ما ينبغي معرفته: الحديث السابع عشر
- ١١٠..... الحديث التاسع: أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث العاشر
- ١١٠..... التعريف بالراوي: أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الحادي عشر
- ١١١..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثاني عشر
- ١١١..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثالث عشر
- ١١٤..... فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الرابع عشر
- ١١٥..... ما ينبغي معرفته: الحديث الخامس عشر
- ١١٨..... الحديث العاشر: أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الحادي عشر
- ١١٨..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثاني عشر
- ١١٨..... أهمية الحديث: شرح ألفاظ الحديث: فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثالث عشر
- ١١٩..... فوائد الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الرابع عشر
- ١٢١..... ما ينبغي معرفته: الحديث الخامس عشر
- ١٢٥..... الحديث الحادي عشر: التعريف بالراوي: أهمية الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثاني عشر
- ١٢٥..... أهمية الحديث: ما ينبغي معرفته: الحديث الثالث عشر

- ١٢٦..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٢٧..... فوائد الحديث:
- ١٢٨..... ما ينبغي معرفته:
- ١٢٩..... الحديث الثاني عشر
- ١٢٩..... درجة الحديث:
- ١٢٩..... أهمية الحديث:
- ١٣٠..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٣٠..... فوائد الحديث:
- ١٣١..... ما ينبغي معرفته:
- ١٣٤..... موعظة:
- ١٣٦..... الحديث الثالث عشر
- ١٣٦..... التعريف بالراوي:
- ١٣٦..... أهمية الحديث:
- ١٣٧..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٣٧..... فوائد الحديث:
- ١٣٩..... ما ينبغي معرفته:
- ١٤٢..... الحديث الرابع عشر
- ١٤٢..... أهمية الحديث:
- ١٤٢..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٤٣..... فوائد الحديث:
- ١٤٤..... مما ينبغي معرفته:
- ١٤٨..... الحديث الخامس عشر
- ١٤٨..... أهمية الحديث:
- ١٤٨..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٥٠..... فوائد من الحديث:

- ١٥١..... أمور ينبغي معرفتها:
 ١٥٤..... الْحَدِيثُ السَّادِسَ عَشَرَ
 ١٥٤..... أهمية الحديث:
 ١٥٤..... شرح ألفاظ الحديث:
 ١٥٥..... فوائد الحديث:
 ١٥٦..... ما ينبغي معرفته:
 ١٥٨..... موعظة:
 ١٦٠..... الحديث السابع عشر
 ١٦٠..... التعريف بالراوي:
 ١٦٠..... أهمية الحديث:
 ١٦١..... شرح ألفاظ الحديث:
 ١٦٢..... فوائد الحديث:
 ١٦٤..... ما ينبغي معرفته:
 ١٦٦..... الحديث الثامن عشر
 ١٦٦..... التعريف بالراوي:
 ١٦٦..... درجة الحديث:
 ١٦٧..... أهمية الحديث:
 ١٦٨..... شرح ألفاظ الحديث:
 ١٦٩..... فوائد الحديث:
 ١٧٠..... ما ينبغي معرفته:
 ١٧٧..... الْحَدِيثُ التَّاسِعَ عَشَرَ
 ١٧٧..... التعريف بالراوي:
 ١٧٨..... أهمية هذا الحديث:
 ١٧٨..... شرح ألفاظ الحديث:
 ١٨٢..... فوائد الحديث:

- ١٨٣..... ما ينبغي معرفته:
- ١٨٧..... الحديث العشرون
- ١٨٧..... التعريف بالراوي:
- ١٨٧..... أهمية الحديث:
- ١٨٧..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٨٨..... فوائد الحديث:
- ١٨٩..... ما ينبغي معرفته:
- ١٩١..... الحديث الحادي والعشرون
- ١٩١..... التعريف بالراوي:
- ١٩١..... أهمية الحديث:
- ١٩١..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٩٢..... فوائد الحديث:
- ١٩٣..... أمور ينبغي معرفتها:
- ١٩٥..... الحديث الثاني والعشرون
- ١٩٥..... التعريف بالراوي:
- ١٩٦..... أهمية الحديث:
- ١٩٧..... شرح ألفاظ الحديث:
- ١٩٨..... فوائد الحديث:
- ١٩٩..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٠٢..... الحديث الثالث والعشرون
- ٢٠٢..... التعريف بالراوي:
- ٢٠٣..... أهمية الحديث:
- ٢٠٣..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٢٠٩..... فوائد الحديث:
- ٢١١..... الحديث الرابع والعشرون

- ٢١٢..... التعريف بالراوي: الحديث
- ٢١٣..... أهمية هذا الحديث: الحديث
- ٢١٣..... شرح ألفاظ الحديث: الحديث
- ٢١٨..... فوائد الحديث: الحديث
- ٢٢٠..... ما ينبغي معرفته: الحديث
- ٢٢٣..... الحديث الخامس والعشرين: الحديث
- ٢٢٣..... أهمية الحديث: الحديث
- ٢٢٣..... شرح ألفاظ الحديث: الحديث
- ٢٢٥..... فوائد الحديث: الحديث
- ٢٢٧..... ما ينبغي معرفته: الحديث
- ٢٣٠..... الحديث السادس والعشرون: الحديث
- ٢٣٠..... شرح ألفاظ الحديث: الحديث
- ٢٣٢..... فوائد الحديث: الحديث
- ٢٣٣..... ما ينبغي معرفته: الحديث
- ٢٣٦..... الحديث السابع والعشرون: الحديث
- ٢٣٦..... التعريف بالراوي: الحديث
- ٢٣٧..... تخريج الحديث: الحديث
- ٢٣٧..... أهمية الحديث: الحديث
- ٢٣٧..... شرح ألفاظ الحديث: الحديث
- ٢٤٠..... فوائد الحديث: الحديث
- ٢٤١..... ما ينبغي معرفته: الحديث
- ٢٤٨..... الحديث الثامن والعشرون: الحديث
- ٢٤٨..... التعريف بالراوي: الحديث
- ٢٤٨..... أهمية الحديث: الحديث
- ٢٤٩..... شرح ألفاظ الحديث: الحديث

- ٢٥٣..... فوائد الحديث:
- ٢٥٤..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٥٨..... الحديث التاسع والعشرون
- ٢٥٨..... أهمية الحديث:
- ٢٥٩..... شرح الحديث:
- ٢٦٤..... فوائد الحديث:
- ٢٦٦..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٦٨..... الحديث الثلاثون
- ٢٦٨..... تخريج الحديث:
- ٢٦٩..... التعريف بالراوي:
- ٢٦٩..... أهمية الحديث:
- ٢٧٠..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٢٧١..... فوائد الحديث:
- ٢٧٢..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٧٥..... الحديث الواحد والثلاثون
- ٢٧٥..... تخريج الحديث:
- ٢٧٦..... التعريف بالراوي:
- ٢٧٧..... أهمية الحديث:
- ٢٧٧..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٢٨٠..... فوائد الحديث:
- ٢٨٠..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٨٤..... الحديث الثاني والثلاثون
- ٢٨٤..... التعريف بالراوي:
- ٢٨٤..... أهمية الحديث:
- ٢٨٤..... شرح ألفاظ الحديث:

- ٢٨٥..... فوائد الحديث:
- ٢٨٦..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٨٨..... الحديث الثالث والثلاثون
- ٢٨٨..... أهمية الحديث:
- ٢٨٨..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٢٨٩..... فوائد الحديث:
- ٢٩٠..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٩٢..... الحديث الرابع والثلاثون
- ٢٩٢..... أهمية الحديث:
- ٢٩٢..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٢٩٥..... فوائد الحديث:
- ٢٩٥..... ما ينبغي معرفته:
- ٢٩٨..... موعظة:
- ٣٠٠..... الحديث الخامس والثلاثون
- ٣٠٠..... أهمية الحديث:
- ٣٠٠..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٠٣..... فوائد الحديث:
- ٣٠٤..... ما ينبغي معرفته:
- ٣٠٦..... الحديث السادس والثلاثون
- ٣٠٦..... أهمية هذا الحديث:
- ٣٠٦..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣١٣..... فوائد الحديث:
- ٣١٤..... ما ينبغي معرفته:
- ٣١٦..... الحديث السابع والثلاثون
- ٣١٦..... أهمية الحديث:

- ٣١٧..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٢٤..... فوائد الحديث:
- ٣٢٥..... ما ينبغي معرفته:
- ٣٢٨..... الحديث الثامن والثلاثون
- ٣٢٨..... أهمية الحديث:
- ٣٢٨..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٣٣..... فوائد الحديث:
- ٣٣٥..... ما ينبغي معرفته:
- ٣٣٦..... شبهة أهل الإلحاد:
- ٣٣٩..... الحديث التاسع والثلاثون
- ٣٣٩..... أهمية الحديث:
- ٣٣٩..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٤٠..... فوائد الحديث:
- ٣٤١..... ما ينبغي معرفته:
- ٣٤٣..... الحديث الأربعون
- ٣٤٣..... أهمية الحديث:
- ٣٤٣..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٤٦..... فوائد الحديث:
- ٣٤٧..... ما ينبغي معرفته:
- ٣٤٨..... الحديث الحادي والأربعون
- ٣٤٨..... درجة الحديث:
- ٣٥٠..... أهمية الحديث:
- ٣٥٠..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٥١..... فوائد الحديث:
- ٣٥٢..... ما ينبغي معرفته:

- ٣٥٤..... الْحَدِيثُ الثَّانِي وَالْأَرْبَعُونَ
- ٣٥٤..... أهمية الحديث:
- ٣٥٤..... شرح ألفاظ الحديث:
- ٣٥٧..... فوائد الحديث: